



## مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية

تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك

ترجمة وتقديم: د. مرتضى سيدعمروف

مراجعة: أ. د. نعمة الله إبراهيموف

# منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)



الفنانة: فاطمة الحاج - لبنان  
الصدمة - ١٩٩٣ م  
زيت على قماش - ١٣٠ × ١٩٥ سم  
لوحة من معرض مختارات تشكيلية

# عالم الفكر



الكويت

إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب



عظم المعرفة



# الثقافة العالمية



الإصدارات  
الدورية



الفنون



إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب



إبداعات عالمية



المسرح العالمي



الإصدارات  
الدورية

# مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية

تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك

ترجمة وتقديم: د. مرتضى سيدعمر

مراجعة: أ.د. نعمة الله إبراهيموف

## سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	500 فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

## الاشتراكات

### دولة الكويت

للأفراد	10 دك
للمؤسسات	20 دك

### دول الخليج

للأفراد	12 دك
للمؤسسات	24 دك

### الدول العربية الأخرى

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

### خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل

على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٠٣٨

ردمك: ٩٩٩٠٦-٠٠-٢٩٤٤-٤

# إبداعات قالمية

تعر كل شهيرة من

المبلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:

بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:

د. زبيدة علي أشكناني

د. سعاد عبد الوهاب عبد الرحمن

د. سليمان خالد الرياح

د. سليمان علي الشطي

د. ليلي عثمان فضل

سكرتيرة التحرير

لمياء القبندي

التتضيد والإخراج والتتفيذ:

وحدة الإنتاج

في المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

:E.Mail

ebdaat\_alamia@yahoo.com

# • مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية

العنوان الأصلي:



(ТАНЛАНГАН ҲИКОЯЛАР Тўплами)

“ШАРҚ” НАШРИЁТ-МАТБAA КОНЦЕРНИНИНГ  
БОШ ТАҲРИРИЯТИ  
ТОШКЕНТ-1997

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2009م

إبداعات عالمية - العدد 381

---

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

---

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)





## المقدمة

رأيت أعداداً من سلسلة «إبداعات عالمية» خصص كل منها لأدب شعب ما، مثل الأدب الروسي، والإيراني، والأفريقي، وغيرها، فأحببت أن يكون للأدب الأوزبكي نصيب في هذه السلسلة المفيدة، فكان أن كتبت بحثاً يعرف ببعض مظاهر التطور لفن القصة القصيرة في الأدب الأوزبكي.

كما وقع الاختيار على عدد من الكتاب، وانتقيت من أعمالهم ما سيراه القارئ العربي مترجماً في هذا العدد. وأشير إلى أنني عرفت بالأدباء الذين ترجمت إبداعاتهم لتتم الفائدة. وحرصت على أن يكون هؤلاء الأدباء ممثلين للأدب الأوزبكي على مساحة القرن العشرين، لعل هذا يلقي بعض الضوء على الأدب الأوزبكي واتجاهاته وموضوعاته.

وقد حاولت أن أشرح بعض الألفاظ التي رأيتها مهمة وتحتاج إلى الشرح، فإن كنت قد أصبت فبتوفيق من الله، وإن كانت الأخرى، فهو جهد قدمته محاولاً تعريف القارئ العربي بالأدب الأوزبكي المعاصر.

وأرحب بكل نقد يصحح ويساعد في تقديم المفيد.  
والله من وراء القصد.

مرتضى سيدعمروف



## من مظاهر تطور الفن القصصي في الأدب الأوزبكي

مرتضى سيد عمر وف

فنّ القصة في الأدب الأوزبكي له تقاليد عريقة وغنية، وقد سار بخطى وثيدة - ولكنها واثقة - في طريق التطور الخاص به، وتعود جذور النماذج الأولى التي أفاد منها الأدب الأوزبكي عموماً إلى قرون بعيدة، فقد حملت المصادر اليونانية التي وصلتنا بعض القصص التي تملك شيئاً من عناصر القصة المعروفة في الآداب الحديثة مثل: «زارئادر وأدتيدة»، و«زرينة وسترئانقيا»، و«شيراق»، و«توماريس»، و«إيرخوبّي»، وهي تحكي عن نمط حياة أسلافنا، وعاداتهم، ومغامرات العشاق في مجتمعاتهم، ولوحات من بطولاتهم في الدفاع عن الوطن وغيرها، فأسطورة «توماريس» التي تسمى قصص البطولة في كتاب «التاريخ» للمؤرخ اليوناني هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق م)، وقصة «شيراق» في كتاب «الحيل العسكرية» للمؤرخ اليوناني بوليبي (القرن الثاني قبل الميلاد)، قصتان صغيرتان ولكن مضمونهما عميق؛ إذ إنهما تحكيان عن بطولات الناس المحبين للأوطان وعن إنسانيتهم، كما اشتهرت قصتا: «زارئادر وأدتيدة» و«زرينة وسترئانقيا» بوصفهما قصتين من قصص الحب والبطولة.

وكذلك توجد عناصر القصة في المؤلفات التركية المعروفة في البحوث والدراسات باسم «مكتوبات الأورخون وينييسي»، وقد

أُلِّفَتْ في القرون السادس والسابع والثامن الميلادية، وكُتِبَتْ بروح قصص البطولة.



إن قصص ريفغوزي (قصّي ريفغوزي) لناصر الدين برهان الدين ريفغوزي (في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) الذي له أثر كبير في تطور الأدب الأوزبكي، تعد نموذجا رائعا للنثر التركي القديم، وقد أسهمت إسهاما فعالا وواضحا في إبداع الأدباء الأوزبك الذين جاءوا بعده، ويمكننا ملاحظة آثارها الإيجابية في قصتي «مفتاح العدل» و«بستان» لخواجه (القرن السادس عشر الميلادي)، وكذلك نلاحظ هذا التأثير في قصة عبدالله أولاني بعنوان «البستان التركي أو الخلق».

ونورد قصة قصيرة جدا لريفغوزي بعنوان «قصة العنب» كي نعرض مهارته:

«يُحكى أن الشيطان الملعون سرق بذور العنب، وقد بحثوا عنها ولم يتمكنوا من معرفة مكانها، فسألوا جميع الحيوانات، ولم يعرف أحدها، وأخيرا أمسكوا بالشيطان، فقال: أجد لكم البذور إن سمحتم لي أن أسقي العنب ثلاث مرات، وقبل نوح عليه السلام، وجاء الشيطان ببذور العنب، ولما خرجوا من السفينة، زرعوا جميع البذور، وسقى الشيطان اللعين العنب ثلاث مرات، في المرة الأولى سقاه بدم الثعلب، وفي الثانية سقاه بدم الأسد، وفي الثالثة بدم الخنزير، وأصبح عصيره شرابا، فمن شرب منه يصبح كالثعلب، ويكون صديقا لمن لم يره من قبل، ثم يسكر ويصبح كالأسد، ويصير كريما سخيا يوزع عطاياه على الجميع،



ثم يصبح مثل الخنزير، ولا يخاف من أي شيء، ويعمل أعمالاً سيئة، وهذه نتيجة سقي الشيطان».

وفي إبداع العلامة علي شير نوائي (١٤٤١ - ١٥٠١م) نجد قصصاً قصيرة في دواوينه «تاريخ ملوك العجم»، و«محبوب القلوب»، و«نسائم المحبة»<sup>(١)</sup>، كتبت بأسلوب أدبي أنيق، ولها أهمية في تطور تقاليد الآداب الشرقية.



في بداية العشرينيات من القرن الماضي بدأ عهد التحديث أو التجديد في الحياة الثقافية للشعب الأوزبكي، وتطورت النهضة الوطنية، وظهر الشعور باستدراك الذات في البلاد، وكان على رأس هذه الحركة المثقفون «المجددون»، المحبون للمعرفة والعلم، وظهر المجددون باسم على مسمى، فقد جددوا وأيدوا ذلك التجديد ودعوا إليه. وفي ذلك الوقت بدأ النقاش الحاد بين «الجديد» و«القديم»، وشمل قضايا الحياة والموت في مسائل الثقافة والمعرفة والأدب والفن، وبشكل عام في مصير الشعب.

وقد أسست مجموعة «الأدباء المجددين» أو «أدباء التجديد» من محبي المعرفة لفن القصة الواقعية في بداية القرن العشرين الميلادي؛ فنشر عبدالله قادري - مؤسس النشر الأوزبكي الحديث في العقد الأول من القرن العشرين الميلادي - قصتي «الزار» و«سباق الخيل»، و«الزار» قصة وهمية مضحكة، وأما «سباق الخيل» فهي قصة تحكي عن عادات شعبية لها تقاليد وانتشار بين الناس كرمز البطولة والشجاعة. ونشر محمود خواجه بهبودي

---

(١) طبع هذا الكتاب كاملاً العام ٢٠٠١م.

قصة «من قتل أباه»، وهي قصة فاجعة تتحدث عن مأساة الجهل حيث كان الابن سببا في وفاة والده.

ونشر جوليان في الوقت نفسه قصة بعنوان «الطبيب محمد ديار»، وفيها نرى البطل يتعلم ويصبح طبيا مثقفا يخدم نفسه ووطنه ومجتمعه، ويشير المؤلف إلى أن «محاربة الجهل لا تكون بالسلاح وإنما بالعلم وبالعلم وبالعلم فقط»<sup>(٢)</sup>، ولا بد من القول: إن عناصر المقالة تظهر فيها أكثر من عناصر القصة، ولكنها كانت في مستوى القصة آنذاك، مع بعض الاختلاف في مفهوم القصة وتقنياتها كما نعرفها اليوم، وفيها دعوة إلى المعرفة والعلم؛ حيث يخاطب الكاتب مواطنيه ويقول:

«أيها المواطنون! إلى متى هذه الغفلة؟ لماذا أنتم كسالى؟ ألستم من بني آدم؟ تحركوا كالآخرين! ولماذا أنتم واقفون مكتوفي الأيدي ولا تستفيدون من ثمرات العلم والمعرفة؟ ولماذا لا تبدأون في هذه الأعمال؟ استيقظوا! استيقظوا! ابحثوا عن العلم والمعرفة والحرفة! حان الوقت، بل فات!»

وفي قصص عبدالله قادري توجد عناصر واقعية، وهو يعبر عن فكرة القصة من خلال تصرفات البطل وأقواله ومغنيواته، أما جوليان فيعلن عن نواياه بوضوح، وتغلب على قصصه العناصر الرومانسية، ويُعدّ الكاتبان من أوائل الأدباء الذين دعوا الشعب إلى سلوك طريق المعرفة.

ونلاحظ تطورا ملموسا في إبداع هذين الأدبيين في العشرينيات من القرن الماضي؛ ففي ذلك الوقت تفاقمت

---

(٢) جوليان، المجلدات الكاملة، ج٢، طشقند، دار غفور غلام للنشر، ١٩٩٣م، ص ٢٧٢.

المصاعب والشدائد في الحياة والمجتمع، فالاختلاف الواضح بين مبادئ البلاشفة الذين استولوا على السلطة بالقوة والبطش منذ فترة قريبة وبين تصرفاتهم الفعلية أثر في وعي المثقفين الأوزبك، وكان ثمة شعور أكيد لدى شعوب بلاد تركستان بأن ثورة أكتوبر ستعود عليهم بالحرية، وانعكس هذا في قصص قصيرة كثيرة للأدباء الأوزبك؛ فقد وصف هذه الحال الكاتب إيلبيك في قصته «الفلاح تورغون»، حيث إن بطل القصة كان يعيش حياة صعبة، وباع قطعة الأرض التي كان يملكها بسبب مرض زوجته، وقد صرف ماله عليها وعلى مراسم جنازتها بعد وفاتها، وفي هذه الأيام حدثت في روسيا ثورة فبراير، وكانت بلاد تركستان تابعة لروسيا، ثم حدثت ثورة أكتوبر، وبدأت الحملات الدعائية تبشّر بإعادة حقوق المظلومين إليهم، وجرت اجتماعات كثيرة لوصف الوضع الجديد وبيان حسناته، ويصف الأديب أحد هذه الاجتماعات، مبينا شعور الشعب وأفكاره ومعنوياته وتطلعاته بصورة واقعية:

«تحدث الشاب الفصيح الكلام نحو ساعة، ونزل عن المنبر بعد ما قال ما أراد أن يقوله... وبدأ الجمهور يتساءل ويسأله في موضوعات مختلفة، فقال أحدهم: «يا سيد، لا توجد لدينا أرض، نريد قطعة أرض»، وسأل آخر: «ألن يضايقنا إيفان -الحارس الروسي للجبال؟ أو ستطرد هذا الكافر بيدك؟» وسأله بعض الجبناء بخوف: «هل سيفادر الروس نهائيا؟».

يقول المثل الشعبي: «لا تسرق فتخاف العقاب!» ها هم الحراس الروس الذين كانوا يشتمون أهل القرية، ويسبونهم، ويعاملونهم

معاملة الكلاب، نراهم يتركون أماكن حراساتهم، أما الروس الآخرون الذين استولوا على أحسن الأراضي، قائلين إن هذه الأرض أصبحت ملك «القيصرية الروسية»، فكانوا مترددين بين البقاء أو المغادرة وترك الأراضي المسروقة... وعلى كل حال فقد استعدوا للهروب، وأعدوا أسلحتهم تحسباً من أن يحدث حادث ما!

كان أبناء الشعب المسكين يخافون من الروس، حتى أنهم ليرتجفون من قبعة الروسي إذا رآوها، كانت تخيفهم وتوقفهم بعض الوقت»<sup>(٣)</sup>.

تعد هذه القصة من القصص الواقعية في العشرينيات، وكان الاتجاه في الأدب الأوزبكي يميل إلى وصف القضايا الحيوية المهمة. وفي هذا الاتجاه كتب جولبان قصصه: «الفتاة الخبازة»، و«في الليالي المنيرة»، و«زنبقة في غضون الثلج»، وكتب فترت قصة «القيامة»، وكذلك كتب عبدالله قادري قصصاً قصيرة كثيرة، ووصفوا القضايا الاجتماعية المختلفة في حياة الشعب الأوزبكي، وقد أصبح هذا الوصف الواقعي لحياة الشعب، الذي أبدعته أقلام هؤلاء الأدباء، أساساً لتطور النثر الأوزبكي فيما بعد.

وفي قصة جولبان «بين الخرابات» نشاهد وصفاً واقعياً لحياة الشعب الأوزبكي، بما فيها من مشاهد مرعبة لقمع الجيش الأحمر للشعب الأوزبكي عقب أحداث قوقان (خوقاند)، وقد كتبت هذه القصة كمذكرات في السفر، لكنها كشفت وجهاً حقيقياً لنظام البلاشفة (النظام الشيوعي).



---

(٣) إيلبيك، المختارات، دار «الشرق» للنشر، طشقند، ١٩٩٩، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

عندما نتحدث عن فن القصة في الأدب الأوزبكي في العشرينيات لا بد أن نذكر إبداع القاص محمود سوباي، ذلك الأديب الذي يتحدث عنه النقاد الأوزبك قليلا، ولكنه كان صاحب إبداع مثمر؛ فله قصة بعنوان «تورسونباي» تكشف وجه الخدامين للإمبراطورية الحمراء وتبرز بعض الجوانب السلبية لكثير من الناس.

بطل القصة شاب متواضع بسيط (يشبه إلى حد بعيد بطل عبدالله قهار باسم بَير)، يعيش في إحدى القرى في بخارى، ليس لديه أي خبر عما يجري من عصيان وغلbian وثورات في العالم، وينزل جنود الجيش الأحمر الذي كان يلاحق أمير بخارى في دار تورسونباي ليرتاحوا وليريحوا خيولهم، ويأخذ الجنود كل ما جمع من برسيم ليطعموا خيولهم، ويكتب قائد الجيش الأحمر على ورقة يختمها ويعطيه إياها قبل أن يغادر قائلاً: «اذهب إلى المكان الفلاني في بخارى، وأعطها لفلان، وهناك سيدفعون لك ثمن البرسيم»!

ويركب تورسونباي حماره الأزرق ويذهب باحثاً عن العنوان، ولما اهتدى إلى المكان المقصود ترجل وربط حماره إلى شجرة قريبة، وتوجه إلى البوابة، وكان عندها جنود يرافقون جماعة من السجناء، وأخذ الجنود من دون أن يسألوه عن أي شيء، وسجنوه في القلعة، ومكث الشاب المسكين تسعة أشهر محبوساً في السجن، وكان يلاقي صنوفاً من العذاب والمعاناة، وخلال هذه الفترة الطويلة لم يسأله أحد «من أنت؟ وما ذنبك؟ ولماذا أنت في السجن؟»، ولم يجزؤ هو أيضاً على أن يدافع عن شرفه وأن



يقول: «لماذا أنا هنا؟ ما ذنبي أنا؟» وأخيرا تزور لجنة التفتيش السجن، وهنا يعرض تورسونباي الرسالة المخبأة في معطفه، ويستعطفهم ويقول: «أيها السادة، أنا أتنازل عن ثمن البرسيم، وأتنازل عن كل حقوقي، أخرجوني من هذا المبنى وأعيدوني إلى بيتي!» ودهش أعضاء اللجنة لما رأوا تلك الرسالة.

وصُحِّح الخطأ ونجا تورسونباي من رحى موت محقق، وعاد إلى قريته، وهناك وجد مشهدا مفعجا؛ إذ اعتقد أهل القرية أنه قد مات، ووزعوا ما كان يملكه بين وارثيه، وتشرّدت عائلته وأولاده.

هذه القصة تكتسب أهميتها من كشفها الوجه الحقيقي للنظام الذي وعد الشعب بالحرية والسعادة والرفاهية، وطبعا لم تكن القصة خالية من عناصر الضعف في أسلوب التعبير، كما كان السرد فيها عاديا وبسيطا، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت لها أهمية حقيقية؛ لأنها أتت إلى النثر الأوزبكي بروح الواقعية والمضمون الحيوي المهم.

يتميز فن القصة - والأدب الأوزبكي بشكل عام - في العشرينيات بواقعيته وبقربه من الحياة، وخصوصا أن معظم القصص التي كتبت حتى العامين ١٩٢٦ و ١٩٢٧م كانت خالية من علل وتأثيرات أيديولوجية تأثرت بها - لاحقا - مؤلفات كتبت بعد هذه الفترة، وابتعدت عن الحياة الحقيقية وزينت الواقعية بزينات مزيفة، وكان لها تأثير سلبي وضرر واسع في الأدب الأوزبكي؛ ولذلك فإن الأدب الأوزبكي في فترة العشرينيات كان له دور مهم في تاريخ المجتمع الأوزبكي.

وفي سنوات الثلاثينيات ساهم الأدباء الأوزبك مثل: عبدالله قهار، وغفور غلام، وآيدين، وشاكر سليمان، بإبداعاتهم في تطور الفن القصصي في الأدب الأوزبكي، واشتهر عبدالله قهار في هذه الفترة بالذات، واعترف بأنه «لأول مرة يصف طبيعة الإنسان»، وذلك في قصته «إنسان بلا رأس»، وقد تعلم من مهارات الأدباء البارزين في الأدب العالمي بشكل عام، والأدب الروسي بشكل خاص، أمثال: أنطون تشيخوف، وغوغول، وتولستوي، وآ. هينري، وج. لندن، وطاغور، وغيرهم، ونشر في منتصف الثلاثينيات قصصا كثيرة، بينها قصص في مستوى عهده، ومنها قصص لها أهمية وقيمة أدبية كبيرة، وقدّر النقاد كثيرا من قصصه، مثل: «إنسان بلا رأس»، و«مستان»، و«فتح عين الأعمى»، و«المرأة التي لم تأكل زيبيا»، و«المتزهر»، و«ميرزا»، و«الرماني»، و«اللص»، و«الفنان»، و«معلم الآداب» وغيرها، وكتبت الناقدة الروسية المشهورة سميرنوا تقول: «إن عبدالله قهار كاتب يستحق أن يكون في صف واحد مع كتاب القصة العالميين»<sup>(٤)</sup>.

وقد شهدت الثلاثينيات أزمات وتناقضات، إذ بدأت الحياة الجديدة مع افتتاح المزارع التعاونية والمصانع والمعامل من جهة، ومن جهة أخرى كشف النظام الدكتاتوري عن وجهه الوحشي الحقيقي، واتهم آلافا من الناس بـ «القومية»، وأعلن أنهم «أعداء الشعب»، وأخذهم بأفانين من التعذيب والقمع والقتل، ولم ينج المثقفون الأوزبك، وبينهم أدباء وفنانون، من هذا القمع؛ حيث قتل من دون ذنب كثير من الأدباء العظماء الذين كانوا فخر الثقافة

---

(٤) عبدالله قهار. المؤلفات في ٥ مجلدات، دار غفور غلام للنشر، ج ١، ١٩٨٧م، ص ١١.

الأوزبكية والشعب الأوزبكي، مثل: عبدالله قادري، وجولبان، وفترت، وإيلبيك، وباطو، وعثمان ناصر وغيرهم من الشعراء والكتاب والعلماء، وعاد هذا الحدث بضرر معنوي كبير على تطوّر الأدب والثقافة الأوزبكية، وأجبر النظام الجديد الأدب على التعبير عن شعارات الحزب الشيوعي، وفي هذه الظروف أصبح من الصعب أن يبدع الأدباء، وأن يكتب الكتاب في موضوعات تهمّهم وتفيد الناس، ولم يستطيعوا أن يعبروا عن مشاهد الحياة الإنسانية والتناقضات في الواقع، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ساد الاتجاه إلى تقديم الحياة بألوان إيجابية فقط، وانحرف أدباء كبار مثل عبدالله قهار وآيبك وغفور غلام عن متابعة الحياة الحقيقية.

في أواخر الثلاثينيات كتب عبدالله قهار عن الواقع الماضي قبل العهد الشيوعي، أي في موضوعات تاريخية، وفي هذه الفترة كتب قصصه القصيرة «المرأة المريضة»، و«اللس»، و«الرمان»، و«الحديقة»، وتعدّ هذه القصص القصيرة حجماً العميقة مضمونا، وكذلك مجموعته القصصية بعنوان «حكايات الماضي» من أحسن وأروع القصص في الأدب الأوزبكي؛ حيث عبّر الكاتب فيها عن معاناة الفقراء الذين عانوا الفقر والعذاب، وصبروا على حياة الامتهان والظلم في العهد القيصري. فبطل قصة «المرأة المريضة» واسمه «ساتب آلدي» لا يستطيع أن يعالج زوجته بطرق مختلفة، مثل شرب الماء «المقروء عليه آيات من القرآن الكريم» أو تعليق الحجاب وغير ذلك، ولا بد من مراجعة الطبيب والمستشفى، أما عند ذكر المستشفى فيتذكر «ساتب

آلدي» العربية، والعملة الورقية ذات الخمسة والعشرين سوما، وعليها صورة القيصر الأبيض، وهو لا يملك نقودا، ولا يملك القدرة على اقتراضها من أحد ما، وأكثر ما يستطيعه هو أن يأخذ عشرين قرشا دينا من البقال فقط، وتموت المرأة المريضة بسبب الفقر والحاجة.

ويعبر الكاتب عن علل الماضي وأوجاعه ومآسيه بمهارة فائقة، حيث كتب في قصته «اللس» عن فلاح فقير سُرق ثوره، ولم يساعده الموظفون في الحكومة القيصرية مثل «إيليك باشي»، و«أمين» وغيرهما، بل إنهم يأخذون ماله! واضطر بطل قصة «الرمّان» واسمه «ترابجان» إلى أن يسرق لأنه لا يستطيع أن يجد رمانا لزوجته الحامل! أما في قصة «الحديقة» فالمسنّ حمراقول (الخزّاف الفقير) والمسن الروسي ستايغولوف (الفخّار الأسطى) دخلا حديقة المدينة بلا إذن، ولذلك أمسك بهما رجال الشرطة، وضربوهما، وحبسوهما، وفي نهاية القصة، عندما يأخذ الحراس الرجلين المسنين للسجن، تظهر زوجة الفخار وترمي بنفسها على رجلي الضابط وترجوه، أما الفخار الأسطى فيقول: «لا تبكي! أنا أنتقل من سجن إلى سجن آخر، فلماذا تبكين؟».

وهكذا كانت الحياة بالنسبة إلى الناس العاديين والعمال الفقراء أسوأ من السجن!

ويمكن أن يُعدّ هذا التعبير مفتاحا لفهم فكرة ومضمون قصص عبدالله قهار المكرّسة لموضوع الماضي، وهناك بعض الآراء التي تقول إن عبدالله قهار وصف ماضي الشعب الأوزبكي بلون أسود فقط، وإنه بأحداث قصصه ينقلنا «من سجن إلى

سجن آخر» فقط! ولكن عندما نقرأ قصص عبدالله قهار - ومنها قصص «المرأة المريضة»، و«الرمان»، و«الرص»، وغيرها من القصص المكرسة لهذا الموضوع - نلاحظ أنه كتب عن عهد استعمار القيصرية الروسية، وعن عهد «القيصر الأبيض»، فاضحا الممارسات القمعية في ذلك العهد، صحيح أننا لا نجد في هذه القصص تعبيراً يرفض حكم القيصرية الروسية، ولكن الكاتب يترك استنتاج هذا الأمر للقارئ.

لقد كان الكاتب يكتب تحت عناوين قصصه عبارة «قصة من الماضي»، ولولا هذه العبارة لقبلنا هذه القصص على أنها تتحدث عن حياة الشعب الأوزبكي في عهد السلطة السوفييتية، ويمكن القول إنه وصف ظلم السلطة السوفييتية الشيوعية من خلال تبين وجه حكم القيصرية الروسية!

واستفاد أدباء كثيرون من مهارة عبدالله قهار في فن القصة؛ حيث سار على خطاه سيد أحمد، ومير محسن، وعادل يعقوبوف، وبريمقول قادروف، وأولماس عمر بيكوف، وأوجقون نظروف، وأوكتام عثمانوف، وشكور خالمرزايف، وأوتكير هاشموف، وسعد الله سيايوف، ونعمة أمينوف، وخير الدين سلطانوف، وطاغي مراد، وإركين أعظموف، ودداخان نوري، وخورشيد دوست محمد، وزاهد أعلم، وغيرهم من الكتاب، وقد تابعوا تقاليد عبدالله قهار بمهارة عالية.

إن لغفور غلام وعبدالله قهار دوراً مهماً في تطور فن القصة الأوزبكية القصيرة، ففي إبداع عبدالله قهار نجد مبادئ التعبير عن الواقعية ومميزات خاصة بقصص الكاتب الروسي تشيخوف،



مثل: اختصار التعبير، وبساطته، وطبيعته! أما قصص غفور غلام فنجد فيها خصائص وتقاليد الفولكلور والأدب الأوزبكي الكلاسيكي، وكذلك يستخدم عناصر التعبير التي استخدمها عبدالله قادري في قصصه الساخرة، ونجد عادات وتقاليد شعبية تذكر نوادر «نصر الدين أفندي» (جحا الأوزبكي) في إبداع الأديب المرح والفرح بطبيعته، ونذكر على سبيل المثال بعض قصصه التي كتبها في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي مثل: «الشاب»، و«صيد في ألاتيه»، و«جورا بوزمه»، و«الحيلة الشرعية»، وغيرها.

تجري أحداث قصة غفور غلام «أيها الولد اللص» (١٩٤١م) في الماضي، وتبنى على حوار اللص الفاشل والمرأة المسنة الفقيرة، ونلاحظ فيها روح السخرية، والعادات الأوزبكية الشعبية، إذ تغفر العجوز الفقيرة والرحيمة ذنب اللص وتقول: «إن الزمان صعب، أيها الولد اللص، إن الزمان صعب»، والفكرة في قصة غفور غلام هذه يلخصها هذا القول، كما في مؤلفاته الأخرى بشكل عام، وبهذه العبارة ينقد الأديب النظام القيصري الروسي والنظام السوفييتي أيضا، فهو كما يقول المثل الشعبي الأوزبكي: «إنه الحقيقة إذا فهم، وهو مزاح إن لم يفهم»! وهو يمتاز عن أسلوب عبدالله قهار بهذا الأسلوب الساخر، ونجد أن كتاب القصة الأوزبكي مثل: سيد أحمد، ومير محسن، ونعمت أمينوف، وسعد الله سيايوف، وسيد أنور، وأنور مقيموف، وأدهم حمدم، وغيرهم، قد اقتفوا أثر غفور غلام وتابعوا أسلوبه بنجاح كبير.



بدأت مرحلة التحديث في فن القصة في الأدب الأوزبكي في الستينيات من القرن العشرين، وتحت تأثير الدفء الذي بدأ يظهر في حياة المجتمع أخذ الكتّاب يكتبون قصصا عاطفية تعبر عن العلاقات الإنسانية الصافية، والأحاسيس المعقدة في قلوب الناس، والأخلاق الفاضلة، وكتب سيد أحمد عشرات من القصص العاطفية، منها: «مصاييح الإقبال»، و«دوتار» (آلة موسيقية أوزبكية)، و«الأمواج»، و«مياه الربيع» التي نشرت في مجموعتيه القصصيتين: «الليالي المنيرة»، و«الكز»، وكذلك فإن قصته «عصيان الكائن» التي كتبها أخيرا عادت عليه بشهرة كبيرة.

كما أسهم أدباء كثيرون مثل: بريمقول قادروف، وأولماس عمر بيكوف، وأوجقون نظروف، وأوتكير هاشموف، وشكور خالمرزايف في تطوير الاتجاه الواقعي، والتعبير عن تناقضات الحياة بصورة أقرب إلى الحقيقة، ووصف عادل يعقوبوف في قصصه القصيرة «وداعا»، و«الخاتم الذهبي»، و«عصفور السعادة» لحظات صعبة، وهموما وأياما عصيبة تمرّ في حياة الإنسان إلى جانب الأيام السعيدة، بخلاف قصص الفترة السابقة التي كانوا يكتبون فيها عن الحياة الهادئة، وأيام الفرح، والحب الهنيء ونهايته السعيدة.

وتعمّق بريمقول قادروف في هذا المجال، ودخل تفاصيل الحياة، وكتب في موضوع كان ممنوعا في ذلك الوقت، فهو في قصته «الحياة لذيدة» يكشف خيانة الطبيب الذي كتب تشخيصا غير صحيح للمرضى المسمّمين بـ «البوطيفوص»، (من المبيدات

الكيماوية القوية المستخدمة في زراعة القطن، وإنتاج القطن يعتبر أهم الموارد الزراعية في اقتصاد البلاد، ويعمل أكثر من نصف سكان البلاد في مجال الزراعة)، وفي هذه القصة يجرؤ قادروف على كشف علة اجتماعية تحاول أن تخفي الحقيقة، وبذلك فتح بابا اجتماعيا جديدا في فن القصة الأوزبكية.

ونلاحظ الروح العاطفية في العلاقات الإنسانية والاجتماعية في إبداع أولماس عمر بيكوف، وأوتكير هاشموف، وأوجقون نظروف، ويمكن القول إن «النثر العاطفي» في الأدب الأوزبكي بدأ من إبداع هؤلاء الكتاب.

وفي السبعينيات نشر عدد من الكتاب مجموعاتهم القصصية الاجتماعية، مثل: حميد غلام «نجوم الأرض»، وأوكتام عثمانوف «الليلة غير الهادئة»، و«الساحل السري»، وشكور خالمرزايف «عندما ينتقل الحجر الثقيل»، وزاهد أعلم «العيون الصغيرة».

وبشكل عام فإن القصة في الستينيات إلى الثمانينيات كانت تناقش قضايا سلوكية ومعنوية، وذلك من خلال وصف مسائل الواجب الإنساني، والحب والعلاقات بين الناس والمجتمع، وبين الإنسان والطبيعة، كما يلاحظ فيها وصف الأوضاع المتنوعة والشخصيات المختلفة في الحياة، وقد كتب شكور خالمرزايف قصصه: «مساء يوم أمس»، و«مر الربيع»، و«الحياة الأبدية»، و«لسان الطير»، و«الضحك والمضحك»، و«التمثال»، و«الاشتياق»، و«السيارة الخضراء» بأسلوب عبدالله قهار، أي بأسلوب الواقعية، إذ وصف فيها تناقضات الحياة المتنوعة، ووجهات النظر المختلفة، والمتناقضات المعقدة بين الناس.

في قصة «العيون الصغيرة» لزاهد أعلم يجري الحديث حول القضايا السلوكية والمعنوية الخاصة بعلاقات الإنسان مع الطبيعة، ويتحدث عن آرائه والقضايا التي تقلقه على لسان شخصيات أبطاله، ويستكر الكاتب سلوك بعض الناس الذين يتعاملون مع الطبيعة والحيوانات بشكل وحشي، فيقدم أحد أبطال هذه القصة - عبد الوهاب - الذي يصطاد بعض الفزلان الممنوع صيدها، وعندما يعلم بالعقاب الذي قد يتعرض له يرجو أصدقاءه ألا يكشفوا ما قام به، وهذا الوصف يستتج من منطق شخصية هذا البطل، فقد كان الوصف طبيعيا ومقنعا .

أخذ أوكتام عثمانوف مكانته الخاصة في النثر الأوزبكي بتقديمه وصفا سيكولوجيا واعيا وعميقا في قصتيه: «الليلة غير الهادئة»، و«يومك الذي تعتمد فيه على غيرك»، وكذلك نلاحظ وصفا جيدا لهموم الناس في قصة «الخاتم الذي لم يلبس» لعاقلجان حُسنوف، وفي «السماء قريبة والأرض ناعمة» لعبدالقهار إبراهيموف، وفي «شخص بلا حظ»، و«السحر» لآمان مختار، حيث كانوا يكتبون عن هموم الناس ومشكلات حياتهم اليومية.

في هذه الفترة اهتم القراء كثيرا بإبداعات الكتاب مثل: مراد محمد دوست في قصته «في الحقول والصحراء»، وإيركين أعظموف في قصته «الحياة»، وخير الدين سلطانوف في قصصه «سعادة الشاب»، و«يا جمشيد»، و«حكاية الليلة»؛ حيث ناقشوا فيها القضايا التربوية والمعنوية الخاصة

بأبطالهم، ووصفوا تفاصيل حياتهم وطبيعتهم بصورة حيوية، ويخلد أبطال هذه القصص في ذاكرة القراء بوصفهم أناسا نشيطين وحيويين.



ويتميز الأدب الأوزبكي بالقصص التاريخية، ومن المعروف أن عبد الله قادري، وآبييك، وعادل يعقوبوف، وبريمقول قادروف، ومير محسن كتبوا روايات تاريخية رائعة في الأدب الأوزبكي، واشتهر الأدباء أويغون، وعزّت سلطان، ومقصود شيخ زاده، وحמיד عالمجان بمسرحياتهم التاريخية، وكتب عشرات الدواوين التاريخية في الأدب الأوزبكي، ووجد هذا الموضوع مواصلة مثمرة ومتابعة ناجحة من الكتاب الذين جاءوا بعد هؤلاء الأدباء العظام، وتمرسوا في فن القصة مقتفين آثارهم.

ويمكن القول إن الكاتب مير كريم عاصم هو واضع حجر الأساس في «فن القصة التاريخية»، فقد قدّم خلال سنوات طويلة إبداعا مثمرا، وكتب عشرات القصص التاريخية القصيرة والطويلة مثل: «شिरآق»، و«توماريس»، و«تيمور مليك»، و«إسكندر وسببیتامین»، و«نور في الظلام» وغيرها، وأدرج كثير منها إلى كتب تعليمية مدرسية.

ويتابع أسعد مختار، وأنور إيشانوف، وخير الدين سلطانوف، وإسفنديار، وعلي شير عبادينوف، وزاهد أعلم، وميرزا بولات طاشبولاتوف، وطاهر مليك، وغيرهم، هذا الأسلوب والتقليد في قصصهم، وتبرز من بينها قصة «الصلاة الأولى في بخارى» لزاهد أعلم، وفيها يصف الكاتب الشخصيات التاريخية أمثالا



الفتاح الإسلامي قتيبة بن مسلم، والحاكم الصغدي تركان،  
وتغشاده وردانخدا، وحياني نبتي، وغيرهم من الشخصيات  
التاريخية، وكذلك يصف العادات والتقاليد الخاصة بالشعوب  
المحلية، ويصوّر لوحات حياتهم اليومية ولوحات المعارك بوصف  
حيوي، كما قدّم الكاتب أبطال قصته بوصفهم أشخاصا بوسائل  
وفدائيين ومحبيين لوطنهم، وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف قد  
تمكن من الالتزام بمتطلبات فن القصة التاريخية، ورسم المشاهد  
بشكل طبيعي.



ومن بين القصص التي كتبت خلال سنوات الاستقلال نذكر  
قصة قصيرة لخورشيد دوست محمد بعنوان: «الصلاة التي  
قُضيت»، حيث يصف الكاتب شخصية المليونير رجل الأعمال  
«مير كامل باي» من أنديجان، ولحظاته الأخيرة من حياته،  
عندما اعتقلته الشرطة السوفيتية الشيوعية، حيث يأخذه  
جنديان لتنفيذ حكم الإعدام: أحدهما روسي، والآخر أوزبكي،  
ويستأذنها مير كامل باي في آخر لحظات حياته ليصلي،  
ويسمح له ذلك الشاب الروسي الذي لم ينس الإنسانية  
والشفقة، أما الشاب الأوزبكي - الذي استكبر عندما حمل  
السلاح - فلم ينتظر حتى يكمل مير كامل باي صلاته، فيقتله  
بطريقة رصاص في ظهره! ويستفيد الكاتب من أساليب الواقعية  
الحقيقية، ولكنه لم يشرح فكرة القصة بل ترك للقارئ أن  
يهتدي إليها بنفسه.



وفي فن القصة الأوزبكية القصيرة تجربة موفقة في موضوع عالمي، أي وصف حياة شعوب البلدان الخارجية، وتعد مجموعة «قصص عربية» لمير محسن خطوة ناجحة في هذا المجال، حيث يصف الكاتب في قصصه «المجني عليه»، و«موني»، و«مدرّب الأفعى»، و«المهدي»، و«الجواهر المفقودة» من هذه المجموعة حياة الناس في بعض الدول العربية، ويصف النهاية المؤلمة لحياة الفنانين في قصتيه: «مدرّب الأفعى» و«الجواهر المفقودة».

ونالت القصة القصيرة لسيد أحمد بعنوان «المجنون ذو العيون السوداء»، والقصة القصيرة لعادل يعقوبوف بعنوان «أين أنت أيها المغرب» إعجاب القراء، وهذان الأدبيان الكبيران لا يزالان يبدعان بمهارة.

وفي قصة «المجنون ذو العيون السوداء» (نشرت في كتاب بنفس العنوان)<sup>(٥)</sup> تعيش بطلتها الأم سعادة طوال حياتها على أمل أن تقوم بأداء فريضة الحج، وتجمع مالا من معاش التقاعد، وتبدأ القصة بآية كريمة وحديث شريف، وتعبّر عن علاقات حادة بين الأم وابنها، وبين الابن وأبيه، ويكمن جوهرها في كارثة العصر وسياسة النظام الظالم، والابن الذي كان سببا في مفارقة أمه الحياة بالألم والحسرة لم يكن سوى نتاج للسياسة المدهشة التي وجّهت إلى البطش بالقيم الدينية والأخلاقية وبالتقاليد الاجتماعية، وكذلك كان هو نفسه ضحية لهذه السياسة! أمّا بطلة القصة - الأم

---

(٥) سيد أحمد، «المجنون ذو العيون السوداء»، مجموعة قصصية، دار «أوزبكستان» للنشر، العام ٢٠٠١م.

سعادة - فقد وافتها منيتها بعد أن عاد الحجاج من رحلة الحج، وأخبرها إمام مسجد الحي بأن شخصا سيحج نيابة عنها... وكان موضوع هذه القصة - وهو موضوع العلاقات الدينية والعلاقات بين القوميات - ممنوعا أيام السلطة السوفيتية.

وفي قصة قصيرة أخرى لسيد أحمد بعنوان «آفتاب آيم» (المرأة الشمس) يتجلى الحب والوفاء والقيام بالواجب وحس الفداء، بأحاسيس حزينة كالحظات الرثاء، مغرورة ككلمات المديح، وهي تقدم حكاية الصداقة بين أسيرين، وهما القاص والأسير الياباني «ديون» في المعتقلات السوفيتية بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك بعد مرور خمسين عاما على الحدث، وتؤثر في أحاسيس القارئ القصة التي يقصها الأسير الياباني، وهي عن مصير الساموراي «سودزي» الذي لم يتمكن من أداء واجب «الشهيد» (كاميكادزي)، حيث يحكى في القصة أن امرأة جميلة (أم سودزي) لا مثيل لها، دخلت إلى صف الراقصات اليابانيات، وذلك بمقتضى خدمة الوطن، وعندما سمعت عن خيانة ابنها ترفض الحياة السعيدة، وتلبس لباس الراهبات وتذهب إلى الكنيسة، أما «سودزي» في يوم الفرح عندما ظهر له إمكان العودة إلى الوطن، فيهلك نفسه وهو لا يتحمل العار، وأما الساموراي المسن المريض «ديون» فقد وافته منيته يوم عاد إلى وطنه وهو مطمئن بأنه سيدفن في وطنه.



لقد مرفن القصة الأوزبكية - والقصيرة منها على وجه الخصوص - في طريق صعب ومثمر في الوقت نفسه، وتصورّ القصة عالم أبطالها الصعب والمعقد، وحياة المجتمع وتناقضاته، وأفراح الناس وآلامهم وأحاسيسهم المختلفة، بوصف حيوي طبيعي، يلاحظ فيه الإبداع الجيد والتطوير المستمر.



## الزار

عبدالله قادري

### قصة وهمية

عندما كان والدي يبدأ قصته هذه كان الخوف يملكني، وكنت أقول في نفسي وأنا ألتجئ إلى الله تعالى: «اللهم لا تجعلني ألاقي جنًا مثلها!».

جاءت خالتي أمس تزورنا، وجلس أبي وأمي وخالتي بعد العشاء يشربون الشاي ويتحدثون عن أشياء مختلفة، ودار الحديث وتوقف عند موضوع الجن والملائكة والغول في هذه المرة أيضا، أما أبي فلم يمتنع عن حديثه حول «الزار»، أي حفلة الجن التي شاهدها بنفسه، وكانت قصة أبي هذه مخيفة جدا بالنسبة إلي، ولذلك رقدت في فراشي، وتغطيت باللحاف، ونظر أبي إليّ وابتسم، وبدأ حديثه عن «حفلة الجن»:

«كان هذا بعد عدة أيام من زواجي، كنت مشغولا بأمور المعيشة، ولم أستطع أن أرتب كرم العنب في مزرعة لي خارج المدينة، وذات يوم وجدت فرصة وذهبت إلى المزرعة فوجدت أن غصون العنب قد طالت، ونما السُعد<sup>(٦)</sup> بمقدار كفين، ولذلك وجب تعديل إسنادات الكرم، وعندما ذهبت إلى المزرعة في اليوم الرابع كان المطر قد نزل ليلا وطالت غصون العنب، كأنها كانت تنتظر المطر، وانحنى على السُعد وكأنها غضبت مني لأنني لم

---

(٦) نوع من الحشائش.

أقم بتقليمها في الوقت المناسب، وقررت أن أكمل عمل العنب مهما كان الأمر. إذ فكرت أنني سأظلم نفسي وأظلم العنب إن لم أكمل قطع غصونه الزائدة.

تبين أنني أخذت كمية من حبال القنب أقل من المطلوب، وأنني قد أنهيت في الظهر، والذهاب إلى السوق لإحضار حبل القنب يستغرق وقتاً وقد يحل المساء حتى أعود، وعدا ذلك بقي جزء قليل من كرم العنب. ما العمل؟ لم أفكر طويلاً وبدأت أقشر أغصان أشجار التوت، والصفصاف، والحوار الأبيض.

وما أن مضى وقت بمقدار ما يصنع فيه إبريق من الشاي حتى جمعت كل ما قطعت من قشر الأشجار، وأخذته، ثم دخلت المزرعة. وأخيراً، تخلصت من قطع غصون العنب عندما حل الظلام تماماً، ثم غسلت يدي ووجهي، وكان الظلام قد غطى كل مكان. ولم يبق أحد من الجيران الذين جاءوا للعمل في مزارعهم، إذ ذهبوا كلهم إلى المدينة، ولم يكن هناك صوت في الشارع إلا أصوات الجراد والضفادع.

وخرجت من المزرعة قبيل صلاة العشاء، وبدأت أمشي وأنا أتعثر في أشياء مختلفة في طريقي. وخاطب أبي خالتي، قائلاً:

« إنك تعرفين أن مزرعتنا محاطة بساحات كثيفة من الأشجار... »

مشيت عبر هذه الساحات لكي أخرج إلى الشارع الكبير بسرعة، فقد كانت مظلمة ومخيفة جداً، وكانت بيني وبين الشارع الكبير قطعة أرض «الفخاري حمدم».

وعندما وصلت قصة أبي إلى هذا المكان تغطيت بلحافي  
بشدة.

وواصل أبي حديثه:

«مشيت خطوة وأخرى في اتجاه حقل «الفخاري حَمْدَم»...  
ورأيت من بعيد، ضوءاً وتلفت حولي واستغريت... كان الضوء  
في الساحة ساطعاً جداً... وليس هذا فقط، بل كانت تُسمع من  
هناك أصوات أناس يتحدثون، ورقص، وأحياناً، تُسمع ألحان  
«دوتار»<sup>(٧)</sup> و«طنبور» وآلات موسيقية أخرى، وكانت هذه الأصوات  
ضعيفة لكنها تؤثر في القلب.

تجمدت، ووقفت في مكاني بعض الوقت، وفي الحقيقة، كان  
غريباً أن يحدث مثل هذا الشيء في مكان خرب يمكن أن يكون  
عشاً للبوم، ومع ذلك فقد مررت بهذه الساحة صباحاً، آنذاك لم  
يكن هناك ما يشير إلى وجود حفلة. وفكرت: من الممكن أن يكون  
الشباب قد بذلوا جهوداً في النهار.

وأردت أن أعبر الساحة التي تقام فيها الحفلة وقفزت فوق  
السور... يا إلهي كانت الساحة منيرة كما لو أنها في النهار،  
والمصابيح معلقة على غصون الأشجار، والبسط مفروشة على  
الأرض. وأقيمت «سماورات»<sup>(٨)</sup> في جهة، وفي الجهة الأخرى  
قدور كبيرة يطبخ فيها طعام، واجتمع في وسط الساحة نحو  
مائة شخص يقيمون الحفلة بينهم شباب وكبار، يعزفون على  
آلات موسيقية ويضربون الدفوف.

---

(٧) الدوتار والطنبور: من الآلات الموسيقية الشرقية.

(٨) «سماورات»: أباريق كبيرة للشاي، كلمة مقتبسة من اللغة الروسية.



وحينئذ استقبلني شخص مسرعا، وخاطب الحضور وقال:  
- ها قد جاء إلينا «أخونا أوسر».  
وانتفت الحضور إلي وقالوا:  
- تفضل، تفضل، هل أكملت عملك في المزرعة، أيها الأخ  
أوسر؟

ولم أذكر الآن ما أجبتهم به آنذاك، لأنني كنت حائرا.  
وأصروا على جلوسي في صدر المجلس بغير إرادة مني، وكما  
تعودنا، كان علي أن أقرأ الفاتحة عند الجلوس في المجلس<sup>(٩)</sup>،  
ولكن شغلتي الإجابات عن أسئلتهم والمحادثات معهم، ونسيت  
قراءة الفاتحة... وبعد قليل جمعت أفكاري، ونظرت إلى  
الحضور في المجلس، وكأني رأيت أكثرهم في مكان ما... ثم  
نظرت إليهم بدقة، يبدو أنهم أناس لا أعرفهم ولم أرهم من  
قبل. ولكن أدهشني شيء آخر، فهم يتعاملون معي وينادونني  
باسمي، ويسألونني عن الأشياء التي عملتها اليوم، وهم يعرفون  
أنني قشرت أغصان الأشجار لأعدّ منها حبلا.  
وتكلم واحد من بينهم لا أعرفه، ربما كان رئيس المجلس،  
وقال:

- أحضروا السفرة لـ «الأخ أوسر»!  
عارضه آخر من بين الذين يجلسون في صدر المجلس:  
- سنقيم حفلة، ثم نفرش السفرة للجميع، ثم توجه إلي وقال:  
ربما أنك أيضا اشتقت إلى الحفلة، سنقيم الحفلة قبل كل شيء،  
ما رأيك؟

---

(٩) الفاتحة: سورة الفاتحة وتشتمل على دعاء قصير.

ولم يبق لي شيء إلا أن أوافق على فكرته لكوني ضيفا هنا  
ولو كنت جائعا.

وبدأ العازفون يعدون آلاتهم الموسيقية، والتي أعرف بعضها منها  
مثل: «الدوتار»، و«الطنبور»، و«الجنك»، و«الناي»، و«الدف»<sup>(١٠)</sup>  
ولا أعرف بعضها الآخر ولم أرها من قبل. وتم ضبط الآلات  
الموسيقية، وبدأ العازفون يعزفون لحنا هادئا مؤثرا.

وكان اللحن ساحرا... وبدأت أنحني، وأكاد أغوص في الأرض،  
كنت مضغوطة وأسيراً لهذا اللحن ولا أعرف أين أضع نفسي.  
ويطور العازفون اللحن قليلا قليلا... ولم أستطع أن أصبر  
وبدأت أبكي، ولا أعرف لماذا أبكي... بكيت طويلا، وانتهى اللحن  
أخيرا. انتهى ولكنه أنهاني أنا أيضا، كنت مجروحا وكأني كنت  
تحت حجر الرحي، وليس لي قوة على الحركة. وفتحت عيني،  
وكان الحاضرون ينظرون إليّ ويبتسمون من حالي، ونظرت إلى  
الأرض وأنا خجل.

يستعد العازفون لعزف لحن آخر، ولكني كنت خائفا من  
الاستماع إلى لحن يشبه الأول، وبدأ قلبي يخفق، ربما أموت إذا  
سمعت لحنا يشبه الأول...

وبدأ اللحن الثاني... وجرى ماء الحياة في جسمي مع بداية  
اللحن، وشعرت بلذة ما في نفسي، وكان اللحن ذا ذوق عجيب،  
ولا أعرف كيف أسميه أو أصفه.

وحينئذ حضرت فتاة شابة - ذات خمس عشرة أو ست  
عشرة سنة - إلى وسط المجلس، شعرها مجعد مفلفل، وجفناها

---

(١٠) آلات موسيقية أوزبكية شعبية.

ممثلتان وعيناها جميلتان، وكانت تلبس صدرية مزركشة من المخمل، وعندما مشت عدة خطوات في الوسط، دقت الأجراس في رجليها، وبدأت الفتاة ترقص على اللحن.

ويستمر اللحن، وكأن صوت الآلة الموسيقية النفيسة يجعل الفتاة ترقص بحركات غير إرادية، وينزل الفرع على الدنيا حيناً، وتنزل الروح عليها حيناً آخر، وكأنها تحيي الموتى وتهز الأراضي وتهدم الجبال، وتحرك غصون الأشجار.

وأخيراً، ملأت الفرحة قلبي، ثم خرجت منه، وأقاممتي قوة ما من مكاني، ولم أقم بإرادتي، وبدأت أرقص بجانب الفتاة.

ولم تستطع أمي وخالتي أن تصبرا، وضحكتا، أما أنا فتصورت كيف يرقص أبي.

وواصل أبي حديثه وقال:

«إذن، بدأت أرقص، وأنا أحاول أن أرقص مع الفتاة مهما كان، أما الفتاة فرقصت قليلاً معي ثم خرجت من الوسط، وذهبت إلى الطرف، ولكني لم أتوقف عن رقصي، ولم أفكر في التوقف، والناس يصفقون لي، ويصيحون بي كأنهم يسخرون مني، وأنا لا ألتفت إليهم وأستمر في رقصي...

فجأة تعثرت بشيء ما ووقعت على الأرض، ووقفت على رجلي، وحاولت أن أستمر في الرقص، ووقعت من جديد.

وبعد وقت قليل قمت ونظرت حولي... لا يوجد أحد هنا، ولا آلة موسيقية واحدة، ولا شيء آخر... لا أحد، ولا شيء!.. وأنا واقف في حفرة في وسط الساحة المظلمة...

وتحدثت عن هذا الحدث الذي شاهده أبي إلى المعلم، فابتسم وقال:

- إنه وهم، إنه تخيل!

- هل في الحقيقة هذا وهم؟ إذن، كيف يحدث مع الإنسان؟ سألته، وأجابني:

- في الجمعة المقبلة سأخبر الأولاد عن الوهم، إن حضرت هذا المجلس، ستعرف كيف يحدث الوهم!

سأذهب إلى المدرسة في الجمعة المقبلة لأستمع إلى حديث معلمنا كيف يحدث الوهم. إن وجدتم فرصة، فتعالوا أنتم أيضا يوم الجمعة المقبل.



## زنبقة في غضون الثلج

جوليان عبد الحميد سليمان أوغلي

- ١ -

واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة... خمسة، خمسة... ستة... سبعة،  
ثمانية، تسعة، عشرة...

وانطلقت كرة صغيرة مزركشة بخيوط حمراء، واصطدمت  
بشجرة المشمش التي تنمو منحنية على جدار الحظيرة، وسقطت  
في حوض الماء...

فجأة صاحت البنات جميعهن وقلن:

- يا إلهي، سقطت في الحوض.

ووقفت شرافت خان في مكانها وكانت تلاحق الكرة...  
غطست الكرة في الماء ثم طفت في وسط الحوض، وبدأت  
تسبح مغرورة أمام عيون البنات الحاسدة الفرحة.  
وحدقت البنات قليلاً في الكرة التي تتهاوى سابحة في الماء،  
ونظر بعضهن إلى بعض، وضحكن قليلاً.

أسرعت تورغونبوش ابنة الجزار تاجي الصغيرة إلى  
الحظيرة، وتساقطت الجدار إلى سقفها، وأخذت غصناً من  
أغصان التوت الجافّة من بين الأخشاب الملقاة في الزاوية،  
ورجعت إلى حافة الحوض، وأخذت تسحب به الكرة، وتجمّعت  
البنات حولها، وبدأن ينتظرن اقتراب الكرة التي كانت تسبح  
في الماء، وكانت تغيب تارة ثم تطفو تارة أخرى وفق حركة

الغصن، واقتربت الكرة منهن فأمسكن بها وهن يتصايحن ضاحكات.

وأخذت شرافت خان الكرة المبتلة وضربت بها بالأرض قائلة: تبا لك، أمسكنا بك يا لعينة! وغضبت توتي خان ابنة الجلاب عبدالله من تصرفها، ورفعت الكرة عن الأرض وقالت:

- ما ذنبها وهي ليست حيّة... أسقطتها بنفسك وتلعنينا أيضا؟

ثم غسلت الكرة بالماء وبدأت تجففها بكل قوتها وهي تعضّ على شفيتها.

وخاطبت شرافت خان البنات قائلة:

- لا تصلح هذه الكرة للعب وإن حاولنا تجفيفها، فمن عندها كرة أخرى؟

... -

- يا إلهي، أليست عند إحداكن كرة؟ يا سلطانة، كانت عندك كرة؟

- نعم كانت، ولكن جولنار أضععتها أوّل أمس...

- إذن، انتهت اللعبة؟

- لا، سنلعب لعبة أخرى.

- وهل هناك لعبة أخرى أحسن من لعبة الكرة؟

- يا شرافت خان، اذهبي إلى بيتك، وأحضري كرتك

الروسية!

- كرّتي الروسية انشقت...

- يا للأسف، متى؟

- منذ زمن بعيد...
- وفي هذا الوقت دخلت طفلة من باب الحديقة الصغير، وأخذت تتلفت حولها وهي تقترب منهم.
- قالت تورغونبوش فجأة:
- ها هي أختي قادمة، سأرسلها إلى البيت كي تحضر الكرة.
- فقالت البنات:
- نعم، سنرسل فضيلة لتحضر الكرة!
- واقتربت الطفلة الصغيرة فضيلة من أختها وحضنتها من رقبتها.
- هيا يا أختي نبتعد قليلا، وسأخبرك خبرا ممتعا.
- وقالت كل البنات:
- يا لهذا الخبر الممتع، قوليه لنا جميعا!
- لا، سأقوله لأختي فقط.
- قوليه لأختك، وسوف نخبرنا...
- ابتعدت الأختان عن بقية البنات وذهبتا إلى جانب الحوض.
- ووقفت تيلا ابنة الحارس إيشمات، وهي بنت كثيرة الكلام، وتعرف الإشاعات الممتعة، وقالت:
- وما هو الخبر الممتع، أعرفه وإن لم تقولي.
- أخبرينا إذا كنت تعرفين!
- الخبر الممتع هو أن الخاطبات جئن ليخطبن تورغونبوش!
- وضحكت البنات جميعا، وعادت تورغونبوش إليهن وقالت:
- يا تيلا، لقد جاءت الخاطبات حقًا، ولكن ليس لي، بل لشرافت خان!



ونظرت البنات بعضهن إلى بعض، واحمرّت وجنتا شرافت خان، وتسمّرت في مكانها لا تعرف ماذا تقول.

-٢-

كان الأخ سمندر - أبو شرافت خان - تاجرا مشهورا منذ زمن، وكانت أعماله التجارية تسير بنجاح حتى في أحلك الظروف، في الشدائد، والغلاء، والكساد، ولكنه أفلس في ربيع السنة قبل الماضية، ويومها باع كل ما يملك ليسدّد ديونه، ثم أصبح متديّنا جدّا، وصار يخدم في دار «إيشان».

كان يذهب في الصباح الباكر إلى منزل إيشان ويخدم فيه حتى المغرب، بغض النظر عما إذا كانت هناك حلقات للذكر أم لا، وعندما يرجع إلى بيته يتناول عشاءه مما هو موجود من طعام أو شراب، ثم يجلس على سجادة الصلاة، ويظلّ يسبّح ويكي بكاء شديدا حتى منتصف الليل أو الصباح.

ذات يوم كانت إحدى حلقات الذكر في دار إيشان، وجاء إليها حُفّاظ من المدن المجاورة، وغصّت الدار بالناس، وعند صلاة العشاء اختتم «الذكر» الذي بدأ بعد صلاة الفجر مباشرة.

وفي اليوم التالي جلس حضرة «الإيشان» في محراب غرفة الذكر، وجلس بجانبه ستة من الحفّاظ: ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله، وأمامه نحو عشرة أشخاص من المريدين... وكان إيشان يجلس ساكتا مطأطئ الرأس.

أما الفناء فكانت تسمع فيه ضجة وأصوات... هذا واحد  
يسحب خروفا، وآخر يحمل أرغفة الخبز الطازج، وثالث  
يحمل ملابس للهدية...

وخرج الأخ سمندر من غرفة الذكر، ورأى كل من قدّم نذرا  
«للإيشان»، ومكث فترة ينظر إليهم.

- قال المؤذن الذي ينقل دعاء حضرة «الإيشان» من غرفة  
الذكر إلى الموجودين في الفناء: أحسنت، بارك الله فيك، انظروا  
إلى جمل سلطان عارف! ثم نظر إلى الأخ سمندر، وابتسم،  
وقال:

- يا أخي سمندر، هل عندك شيء من النذر؟  
- إن شاء الله، سيكون أيها المؤذن! أجاب الأخ سمندر وهو  
يخرج من البوابة.

اضطربت أحاسيس الأخ سمندر، وظلّت تتصارع في فكره وهو  
في طريقه إلى منزله، أراد أن يهدي لأستاذه «الإيشان» شيئا  
جيدا وكبيرا، لا يستطيع أن يقدمه شخص آخر من بين مريدي  
«الإيشان»، ولكن لا يوجد في البيت شيء له قيمة، فقد باع كل  
أشياءه الثمينة ليسدد ديونه... فكر طويلا، ولكنه لم يصل إلى أي  
قرار... «آه... لو عادت أيامي الماضية، لأهديته حصانا...» وشعر  
بقلبه ينقبض من الحسرة، وتذكر ثراه وأمواله: حصانه، وأفراسه،  
وعربته من مصنع موسكو... وأملاكه، وأراضيه، وغيرها...  
ولم ير في إهداء شيء متواضع أمرا مناسباً لشخصه، وفكر  
في إهداء نذر أكبر وأفضل من نذور الآخرين.

وتذكر الرجل الغني «يولداش»:

- لقد قدم «يولداش» خمسين صاعا من الأرز، وجوادا جيدا، وكسوة كاملة...

بهذه الخواطر المتضاربة وصل إلى منزله وأراد أن يدخل، فأوقفته زوجته قائلة:

- هناك نساء في الداخل، ادخل الغرفة الخارجية، وسأحضر لك طعاما مما جهّزته للضيوف.

وبدأ الأخ سمندر يأكل من صحن صغير، ولما أكل نصف الطعام جاءت زوجته وجلست أمامه، وقالت:

- جيد أنك حضرت الآن، فقد جاءت الخاطبات لابنتك، ولا أدري ماذا أقول لهن!

- من هن؟ ولن يخطبنا؟

- فيهن «عزيزة آتون» وزوجة الأخ رستم... جئن ليخطبن ابنتك «لإيشانكم»!... إن هذا الشيخ «الإيشان» رجل مسن، وله زوجتان، ثم...

حملق الأخ سمندر بعينيه حالما سمع هذا الكلام، وقال:

- هل هذا صحيح؟ هل هن من طرف «الإيشان»؟ ولماذا لم يخبرني «الإيشان» بنفسه؟

- أقول إن «الإيشان» رجل مسن، أما ابنتنا فهي في السابعة عشرة من عمرها، هل أرد عليهن هذا الرد؟ وهنا جاء صوت إحدى النساء:

- يا «قومري بوش»، الضيوف يردن الانصراف! قامت «قومري بوش» من مكانها، ووقفت ونظرت إلى زوجها كأنها تريد أن تقول شيئا...

أما الأخ سمندر فلم يطل تفكيره، وتصور ابنته الصغيرة تارة، و«الإيشان» تارة أخرى، وتذكر موضوع النذر... وأخيرا سيكون «الإيشان» له نصيبا! ثم قال:

- قولي لهن: إن كانت لدينا ابنة وحيدة، فلنقدمها لحضرة «الإيشان»! قولي هكذا!

اقشعرّ جلد «قومري بوش» من هذا القول المفاجئ، وابيضّ لونها واستدتت إلى الجدار...

- ٣ -

كانت شرافت خان البنت الوحيدة للأخ سمندر، وكانت وحيدة أيضا في الجمال والمهارة، وإن اجتمع شابان أو ثلاثة في مكان واحد، كانوا يتحدثون عن هذه الفتاة، وكان يهمهم أن يعرفوا صاحب الحظ السعيد - يحفظه الله - الذي ستكون هذه الفتاة من نصيبه؟ ومن الذي سوف تتورّ بيته هذه الفتاة؟

وشاع الحديث عن أن شرافت خان ستتزوج من «الإيشان»، وتحدث كل الناس في الحي بضعة أيام في هذا الموضوع... وتسابقت عدة عربات في الشارع، وعلت أصوات النساء اللواتي يغنين أغاني العرس بشكل عشوائي.

وكذلك جاءت العربات التي تحمل أغراض العروس مثل الصندوق، والبساط، والفراش، والأغراض الأخرى، وكان في كل عربة امرأة أو امرأتان.

واقتربت القافلة التي تنتشر ضجّتها في كل أنحاء الحي من بيت «الإيشان»، وتجمّع عدد من الرجال يلعبون حول النار

المشتعلة في وسط الشارع، وقريبا منهم كانت النسوة والعرائس  
والفتيات يغنين لشراھت خان:

الخشب للجسر، والعرش لك، يار - يار!

فلتكن لك السعادة مثل بنت الرسول، يار- يار!

الحبل الطويل للأرجوحة، يار - يار!

يناسب الفستان للعروسة، يار - يار!

وصاحت النسوة اللواتي اجتمعن قريبا من شعلة النار فجأة:  
«وصلت العروس، وصلت العروس!» وخرج بعض الشباب بحزمة  
من خشب القطن ووضعوها في وسط الشعلة، فشبت النار  
وتعالت ألسنة اللهب وأضاءت المكان.

وبدأ الأولاد يجرون إلى قافلة العروس.

وأخيرا وصلت العريات بين الأصوات والضجة، ويأتي صوت  
مرتفع من بين الجمهور:

- ها هي العروس! ها هي عربة العروس!

وقف سائق العربة التي تركب فيها العروس عند باب المنزل  
بعد أن مر بها من خلال الشعلة، وكأنه يعرض مهارته!  
وتعالت الأصوات من هنا وهناك.

- يا عريس! أيها العريس! أين شيخنا؟ أفسحوا الطريق!

وحينئذ ظهر شيخ مسنّ عجوز ذو لحية بيضاء، يلبس جبة  
العريس الذهبية، وفي وسطه حزام عريض، يحيط به عدة شيوخ  
مسنين وهم من مريديه، واقترب من العربة، فتعالت أصوات من  
بين الجمهور:

- ارفعها، أيها العريس! ارفعها!

- كن قويًا يا شيخ!  
- يا شيخ، احملها!  
مد الشيخ يديه المرتعشتين ورفع الفتاة من العرية، ومشى بها  
خطوتين أو ثلاثا، ثم أنزلها إلى الأرض، وجاءت الأصوات من بين  
الجمهور من جديد:  
- أحسنت يا شيخ!  
- بارك الله فيك، يا شيخ!  
- شيخنا مازال قويا!  
انتهت الحفلة بعد منتصف الليل، وانتهت معها الضجة،  
وساد الهدوء في الشارع الذي كان مسرحا لعروض وألعاب  
متنوعة قبل قليل، وانطفأت النار، وغرق الشارع في ظلام  
دامس...

-٤-

خرج شابان من بيت «الإيشان» وأحدهما يقول:  
- يا له من شارع! إن الظلام فيه شديد!  
- كلامك صحيح، لا توجد ولا نجمة واحدة في السماء.  
- لنذهب، إن هذه الليلة تشبه قلب الجد «إيشان»!  
- يؤسفني مصير الفتاة، ومن كان نصيبها!  
- نعم، تبًا لوالدها! إنه ليس إنسانا.  
- أحزنني منظر الشيخ المسن بلحيته البيضاء وهو يحمل فتاة  
في عمر حفيداته، أردت تشبيه تلك الصورة، ولكنني لم أجد لها  
تشبيها!

وفي هذا الوقت صفّر الحارس محمد صفيّرا يشبه صوت  
البكاء، وقال:

- نعم، كلامكما صحيح، أيها الشابان! إن هذه الدنيا مقلوبة...  
لقد سقط الثلج على الزنبقة!...  
ولم يرد الشابان جوابا، وغابا في الظلام وضاع أثرهما.

## أيها الولد اللص

### غفور غلام

#### قصة واقعية

مرت عدة سنوات على وفاة والدنا، وفي ربيع هذه السنة - السنة السابعة عشرة<sup>(١١)</sup> - فقدنا والدتنا أيضا، فأصبحنا أيتام الأبوين، وجاءت إلينا جدتنا - أم والدتنا المرحومة - لتعيش معنا وترعانا نحن الأيتام الأربعة، وكنا ندعوها «الجدة السمراء» محبة ومداعبة لها.

كنا ننام كلنا مع جدتنا في سقيفة مكشوفة من الأمام، ونحن نتدثر بأغطية بالية على بساط وحيد قديم من صنع «أوراتيبة».

وفي إحدى ليالي نهاية شهر سبتمبر وبداية الخريف، والجو بارد نوعا ما، كنا ننام نحن الأيتام كلنا ملتصقين جنبا إلى جنب، يستدفئ بعضنا ببعض، وفي آخر السقيفة إلى جانبنا كانت ترفد «جدتي السمراء» مثل أم الطيور، وقد تجاوز عمرها ثمانين عاما، وكانت تمضغ «الناصر»<sup>(١٢)</sup>.

في هذه الليلة، بعد منتصف الليل، استيقظت على أصوات ضجة، وكانت جدتي تتحدث بصوت عال جدا مع شخص ما، وكانت دارنا كبيرة وشكلها مربع، وقد ورثناها عن الوالد والجد، وهي محاطة من جهاتها الأربع ببيوت كبيرة عالية، وفي الجانب

---

(١١) عام ١٩١٧م.

(١٢) «الناصر»: نوع من التبغ الشعبي، يضعه الرجل تحت لسانه فترة ثم يرميه، مثل «القات» اليمني.



الشمالي يسكن أبناء عمنا، لكنهم في الصيف كانوا ينتقلون إلى الاستراحة، لهذا السبب كان ذلك الجانب فارغا.

تصوروا، جاء لص إلى بيتنا! يا للعجب! يبدو أن هناك في الدنيا أشخاصا يعتقدون أننا مثل الناس؟ سأحدث عن هذا لأصدقائي بكل غرور وافتخار: «جاء إلى بيتنا لص»، ويمكنني الحديث رافعا رأسي، لكن هل سيصدقوني؟

صعد ذلك اللص إلى سطح بيت أبناء عمنا، وجاء ماشيا بهدوء إلى جهتها، لكنه عطس فيما صار أمام جدتنا، وكانت جدتي ترقد وهي تحضن مخدة، وتفكر، وتحت لسانها «الناصر». بصقت جدتي «الناصر» ونظرت إلى السطح وقالت:

- أيها الولد اللص، يا أيها الولد اللص، ربما صعدت إلى السطح لتكسب شيئا ما من لقمة العيش، وشغلك حساس، أليس من الأفضل أن تصعد بعد التخلص من الزكام؟  
- يا جدتي، أليس من الأفضل أن تهدئي وتنامي ليلة واحدة، إنك تعرقلين عملنا لنكسب شيئا ما - قال اللص.

وربما استيقظت عندما وصل الحديث إلى هذا الحد تقريبا، وسأكتب ما تبقى من الحديث كما سمعته:

- أيها الولد اللص، وهل أستطيع أن أنام وقد جاءت علي هذه المصيبة؟ أنا لم أنم منذ ستة أشهر ولا ساعة في الليل، أما في النهار فأمشي ورأسي مثل الدوامة، وأجلس في مكان ما يأخذني نعاس، وأنعم مثل نوم الطيور، وفي الليالي أغرق في الخيال.  
- بماذا تفكرين، يا جدتي؟ - سأل اللص، ثم خلع معطفه ولفه، ووضع على حافة السطح، وحضنه كمخدة واستلقى.

- بماذا أفكر؟ أفكر في مستقبل أيتامي الأربعة هؤلاء، أيها الولد اللص. وأنت ترى الزمن، والحياة صعبة، وهي أقسى من الحجر، ومن الأصعب أن تكسب قطعة خبز بمقدار عين الجمل، ولا يستطيع خالهم الوحيد - وهو سائق العربة - أن يعطيهم شيئاً وعليه أن يعيل عائلته، ولم يبق شيء في البيت نراه أو نمسكه، نبيع شيئاً بعد شيء، ونأكله، ولا يكفي جبل من المال إن صرفت وأنت لا تكسب شيئاً. يا إلهي... متى سيكبر هؤلاء الصغار، ومتى سيأكلون من كسب أيديهم؟ ويفكر الإنسان في هذا أراد أم لم يرد. علاوة على ذلك، فإن واحداً من هؤلاء الأيتام ولد ذكر، وهو الأكبر، أما البقية فهن بنات. وقد تجاوز الولد الرابعة عشرة من عمره، ولم يبلغ الخامسة عشرة. ومتى ستجد أولئك البنات مكانهن في الحياة؟ إن لم يوجد أحد يصرف عليهن ويعيلهن، فمن يريدهن؟ إن الزمن صعب، أيها الولد اللص، الزمن صعب!

- أنت تقولين الحقيقة، يا جدتي - قال اللص - وفي رقبتني ولدان وزوجة وأمي العجوز، وكما يقولون إن الدجاجة الواحدة تحتاج الحبوب والماء، وعلي أن أعيلهم. أدخل في النار، وأمشي على حد سكين لأكسب أربعة أرغفة. أما أنا ففي ذراعي قوة، لو أردت أن أعمل، وسليم عقلياً. وما رأيك، هل تعجبني مهنتي هذه؟ وأنا ابن صانع أحذية ولأبي كثير من الأولاد. وأما الزمن فانقلب. قالوا إن الحرب ستنتهي عندما يصبح كيرينسكي<sup>(١٣)</sup>

---

(١٣) كيرينسكي: رئيس الحكومة الروسية المؤقتة التي جاءت إلى السلطة بعد الثورة على النظام القيصري في فبراير ١٩١٧م.

قيصرًا، ويبدو أن الحرب لن تنتهي قريبًا، والزمن للأقوياء حتى الآن.

- ألا تستطيع أن تقوم بشغل آخر، أيها الولد؟ - سألت الجدة.

- أي شغل أعمله؟ فإن كل حرفة في أزمة. وهل أقوم بصنع نعل، وهو شغل أبي. أولاً، لصنع الأحذية لا يوجد جلد، ولا غراء، ولا مسمار، ولا صبغة. وتكلفة الخامات أغلى من سعر الحذاء الجاهز بثلاثة أضعاف. ولو أشتغل حمالاً لا يوجد هناك الأغنياء الذين يشتررون الحبوب والخضار بأكياس كبيرة. منذ عدة أيام استبدل «الأب بوامات» - وهو من أكبر صانعي الأحذية في حيناً - بودين<sup>(١٤)</sup> من الذرة بجميع أدوات صنع الأحذية، وكان تصرفه صحيحاً، لأنه لم يبق هناك فلاح أوزبكي، أو كازاخي، أو قيرغيزي ليلبس أحذيته التي يصنعها، بقي أيتامهم فقط، وهم متشردون في مدينتنا، فهناك بضعة عشر يتيماً يمدون أيديهم ويسألون الصدقة قائلين: «يا عمي، أعطني خبزاً»، وهم في كل ركن حيث نظرت، وفي كل بيت حيث دخلت، وهم يسألون خبزاً، نعم، خبزاً، وأنا لا أستطيع أن أكسبه لأولادي. ولست أنا وحدي فقط، بل إن جميع صانعي الأحذية، وجميع الحرفيين، ومنهم السنانون، والنساجون، وحتى مدرسو المدارس والعلماء، كلهم في الحالة نفسها، وهم محتاجون للمعلقة من حساء الخضار، وهم متشردون.

- نعم، لعن الله هذه الحرب! ربما هذا آخر الدنيا، أيها الولد

---

(١٤) «بود»: وحدة وزن زنتها ١٦,٣٨ كيلوغرام.

اللس. نعم، وربما كان هناك رزق لهؤلاء الأيتام. صحيح، والآن أسألك أنت، إنك دخلت هذا الطريق الحرام من اليأس، فلماذا لا تذهب إلى بيوت الناس الأغنياء؟ فهناك في هذا الحي كريم قارئ، بائع الأقمشة، وعادل خوجه باي، المقاول، ومحمد يعقوب باي، صاحب المال. وأموالهم كثيرة، وبيوتهم مليئة، وحتى ولدهم في المهد يأكل الطعام في طبق مكتوب على أطرافه بيت من الشعر. ولماذا لا تذهب إليهم، ولا تثقب سطوحهم؟

- أنت طيبة، يا جدتي، أنت طيبة - قال اللص - هل من الممكن أن تذهب إلى بيوت الأغنياء، وأسوارهم عالية، وأبوابهم من الحديد، وفي بيت كل واحد منهم كلبان أو ثلاثة كلاب، كل واحد منها مثل حمار، وتبج تلك الكلاب أسبوعا إذا طارت فراشة فوق صحن دارهم، ويحرس باب عادل خوجه باي حارس روسي معه بندقيّة. وأنا أريد أن أعيش، وإذا لم أقتل، أرسل مننيا إلى سيبيريا.

- كلامك هذا صحيح أيها الولد اللص، لكن كن حذرا، ولا تضر بسمعتك أمام الناس، قالت جدتها.  
- كلامك حق، يا جدتي، ذات يوم سرقت أربع دجاجات وديكا من حظيرة عارف فاسد.

- هل تقول إنك سرقت الدجاج والديك؟ إن هذه المخلوقات قد تصيح، ألم تفضحك؟

- لكل مشكلة حل، أخذ معي قارورة من الماء عندما أذهب لأسرق الدجاج، ثم أقترب منها وأملأ فمي بالماء وأرش على الدجاجات، ولا يوجد أي مخلوق في العالم أحرق من الدجاج،

وهي تفكر أن السماء تمطر، فتخفي رأسها تحت جناحها، وتسكت،  
وأنا آخذها من عنقها واحدة واحدة وأضعها في الكيس.

- هكذا تقول، يا إلهي، إذن، هناك لكل مهنة سر حساس.

- لكني، يا جدتي، كنت على وشك الفشل والانكشاف،

وأعطيت ديكا لرحمان خوجه، وهو إيليك باشي - عمدة حينا،

وقد أغلق ملف القضية، ورحمان خوجه يتعامل معي تعاملًا جيدًا،

إنه رجل طيب، في السنة الماضية أعطيته رشوة ثلاثة وثمانين

روبلًا، جمعتها بعد بيع بعض الأشياء، وقلت له: «يا عمدة، إنها

كل ما جمعت»، وأعفاني من الذهاب إلى «رابوتشي»<sup>(١٥)</sup>.

- نعم، ولا يلحقه شر، حسنًا، الآن يا أيها الولد اللص،

سيحل الفجر بعد قليل، وهذه النجمة المنيرة قد وصلت إلى

القمة، انزل إلى الأسفل من الشجرة بجانب المطبخ، ولم يبق

لدينا خشب مقطوع، وهناك في المطبخ بعض قرمة خشب من

شجرة اللوز التي كانت في دارنا في زمان ما، وخذ فأسًا،

واقطع لنا قليلًا من هذه القرمة، وأنا سأشعل النار وأغلي

الشاي، واحتفظت برغيفين صغيرين أعطانا إياهما خالك

أمس، وسنشرب الشاي معًا.

- لا، يا جدتي، من الممكن أن أقطع لك قرمة خشب، لكن لن

أشرب معك الشاي، لأنك سوف تعرفيني إذا نورت الدنيا، .

- يا إلهي، هل ستعود من البيت المبارك من دون أي شيء،

أيها الولد اللص، فخذ شيئًا ما. واصبر، ماذا تستطيع أن تأخذ،

---

(١٥) «رابوتشي»: كلمة روسية تعني عامل، وكانت الحكومة الاستعمارية الروسية تأخذ رجالاً من الجمهوريات الإسلامية المستعمرة كمثال للأعمال الشاقة في سيبيريا، وذلك أثناء الحرب العالمية الأولى.

نعم، في المطبخ يوجد قدر يسع نصف بود، وقبل فترة طويلة كان الناس كثيرين في دارنا، وكنا نأكل من القدر الكبير، وأما الآن بقي في هذه الدار الكبيرة المزهرة هؤلاء الأيتام الأربعة فقط، ومتى سيطبخون في هذا القدر الكبير؟، فخذ، وبعه، وقد يفيدك في يوم ما، أيها الولد اللص.

- لا، يا جدتي، لا تكوني متشائمة، وستمضي هذه الأيام بسرعة، وسوف ننساها، وستجتمع الأسر الكبيرة، وهذا القدر الكبير سيكون صغيراً، هذا هو رزق الأيتام، فليستفيدوا بأنفسهم، وسوف نخدم في أيام زفافهم، إن شاء الله، والآن سأودعك يا جدتي، وأنا سأذهب، وقد نورت الدنيا في الجهة الجبلية.

- مع السلامة، أيها الولد اللص، زرنا أحياناً.

- حسناً، يا أمي، حسناً.

أما أنا فقد كنت أعرف ذلك الرجل اللص، لكنني حتى الآن لم أقل لأحد من هو!



## معلم الآداب

### عبدالله قهار

دخل الرفيق باقي جان بقاييف، «معلم الآداب» أي «معلم الفنون الجميلة» - هكذا يسمى نفسه - الحظيرة، وغضب، لأنه وجد قرادة في أذن البقرة! وأغضبت البقرة أكثر من القرادة، فقد أراد بقاييف أن يخلص البقرة من القرادة، لكنها هزت رأسها ونخرت.

- يا لها من حيوان! هذه ليست بقرة، إنها حيوان! - قال وهو يغلّق باب الحظيرة بقوة - يا لها من حيوان!

وكانت زوجته مُكرّماً تملأ إبريق (السماور) الشاي في الفناء.  
- يا لها من حيوان! - قال بقاييف - لا بد من بيع هذه البقرة وشراء خنزير بثمانها!

- تربية الخنازير في المدينة ممنوعة - قالت مكرم وهي تضع الفحم في السماور.

- لماذا؟ هل هي ممنوعة؟ من قال ذلك؟ أنا الذي قال ذلك؟ نعم، هذا صحيح... طبعاً، إنها ممنوعة.

- ادخل البيت، جاءت حميدة.

كانت حميدة فتاة ذات ست عشرة سنة، ذكية ومرحة، قد فرحت لما رأت زوج أختها.

- لو عرفت أنك في البيت لأحضرت كراستي... يا للأسف. وظهرت علامات الفرحة على وجه الرفيق باقي جان بقاييف،



وغابت عن خياله قرادة زرقاء في أذن البقرة وخنزير يهدم أطراف القنوات في الفناء.

- سمعت أنك حولت دراستك من المعهد العالي إلى كلية العمال والعاملات، هل هذا صحيح؟ - قال - إحم... تصرف جيداً. أنا قلت لك «حولي دراستك إلى كلية العمال والعاملات، أليس كذلك؟ إحم... أف، أصابتنى حرقه... كلية العمال والعاملات جيدة، وأنا كنت فيها ذات مرة، وقد كتبت على باب مكتب الإدارة كلمة «براكتيكوم»، وهذا ليس صحيحاً، والكلمات: «براكتيكوم»، و«مينيموم»، و«ماكسيموم» كلها كلمات لاتينية أو قريبة إلى اللاتينية، وأنا شخصياً أعتقد هكذا. صممت فترة قصيرة.

- يا أخي باقي جان - تحدثت الفتاة على استحياء - أردت أن أسألك عن شيء. قرأنا في الفصل قصة «رغبة في النوم» لتشيخوف، ونريد أن نحاكم الفتاة التي قتلت طفلاً، وستقوم رحمة بدور أم الطفل، وسيقوم شريف جان بدور المدعي، وكذلك سيكون هناك قضاة، أما أنا فأريد أن أبرئ الفتاة، وأتهم مديرها الذي استغل الفتاة الشابة من دون رحمة، هذا كل شيء... وأنا كتبت رأيي، وأريد أن أعرف رأيك أنت في هذا الموضوع، لقد أراد تشيخوف أن يقول هكذا، أليس كذلك؟ فكر الرفيق بقايف قليلاً، ثم سألها:

- ومن يدرس الفنون الجميلة؟ هل هو حكيموف؟ إنه رجل غبي، لا يعمل ولا يطور نفسه، وهو يضحك عندما أقول إن علامة الاستفهام توضع دائماً بعد الأداة «هل»، لكن الأمر ليس

في هذا فقط.

دخلت مكرم وهي تحمل السماور، وأسهرت حميدة وقامت وأخذته من يدي أختها، ووضعته على المائدة، وقد أرادت أن تلوم زوج أختها على أنه جالس مكتوف اليدين، وزوجته الحامل تحمل السماور، لكنها استتحت وسكتت. أما الرفيق باقي جان بقايف فيبدو أنه كان عطشان، فقد شرب أربعة أكواب من الشاي، وعرق.

- إن شرب الشاي جيد، وخاصة بعد تناول أكلة «الشيشبرك»  
- قال وهو يمسح عرقه على وجهه - إحم... لقد طالت لحيتي،  
لو لم يكن الحلاقون لأصبح الناس قرودا.

- يا أخي باقي جان، لم تكمل كلامك في الموضوع - قالت  
الفتاة - أليس رأي تشيخوف هكذا مثل ما قلت أنا؟  
طلب الرفيق بقايف كوبا آخر من الشاي.

- تشيخوف؟ ... لا بد من النظر قبل كل شيء في الموضوع  
عندما نتحدث عن الواقعية البورجوازية، ولا بد من فهم  
الواقعية الموضوعية مثلما فهمها الواقعيون البورجوازيون،  
ومثلما صوروها، ولا شك أن إبداعات تشيخوف في حقيقتها  
من البداية إلى النهاية هي الواقعية البورجوازية الأولى، يعني...  
يا مكرم، هل وضعت بيضة للدجاجة؟ لا بد من وضع بيضة  
للدجاجة وإلا فستكون متشردة. يا إلهي، إنه لا يوجد مخلوق  
أغبي من الدجاجة، تبيض إن وضعت بيضة! ولماذا تبيض إن  
وضعت بيضة؟ ولماذا يصيح الديك في الفجر؟ إنه سيكولوجيا  
عجيبة! أدرسون علم الأحياء؟

وتحدثت حميدة عما درست في علم الأحياء وماذا ستدرس أيضا في هذه السنة الدراسية، وأضافت أنها تريد أن تشير إلى أسباب فسيولوجية في كلمتها التبريرية، وأعدت الحديث إلى تشيخوف.

- قال بقايف: لدي رأي خاص عن تشيخوف، فليقل الآخرون ما يريدون، في اعتقادي أن وجهة نظره تختلف تماما عن وجهات نظر بوشكين وليرمونتوف، وذلك على الرغم من أنهم كتاب من عهد واحد، ومن طبقة واحدة، وفي بلاد واحدة!

- لم يعيش تشيخوف مع بوشكين في عهد واحد، وفي مكتبتي توجد صورة له مع مكسيم غوركي، وربما توفي تشيخوف في عام ١٩٠٤م.

وقع الرفيق بقايف في حالة محرجة قليلا.

- أنتم تتحدثون عن أي تشيخوف؟ أعطيني الشاي!.. عن هذا الـ «تشيخوف»؟ صحيح، أنه قد توفي إما في النصف الأول أو في النصف الثاني من عام ١٩٠٤م، أعطيني منديلا آخر، أشم رائحة بصل، أما أنا فأحدث عن ذلك الـ «تشيخوف»، عن تشيخوف الذي كان ممثلا للواقعية البورجوازية الأولى.

- وقصة «رغبة في النوم» لأي تشيخوف منهما؟ سألت حميدة.

- بلا أدنى شك هي لهذا الـ «تشيخوف»، ونشرت هذه القصة في مجلة «سوفريمينيك» لأول مرة.

بعد ذلك تحدث الرفيق باقي جان بقايف حديثا طويلا، ولم تفهم حميدة شيئا منه، ولم تعرف عم يتحدث، وأن هناك

كاتباً اسمه ديتيردينغ كتب إلى ناقد مشهور اسمه شيلينغ وقال:  
«سيكبر ابنك ويصبح غلاماً، حتى تحتاج لخدمة غلام»، أما  
ماركس فقد صنف دوبروليووف في قائمة واحدة مع ميرينغ،  
وهناك كاتب مسرحي اسمه ستيندينغ كتب قبيل وفاته إلى ناقد  
اسمه ديمينغ: «إن الله خلق جميع الحيوانات، لكن لا يعجبني  
الضب»، أما حميدة فدار رأسها، وتشاءبت مرة ثانية بهدوء.  
كان الظلام قد حل عندما ودعت أصحاب البيت وخرجت  
إلى الشارع، ولم تحصل على أي فكرة من زوج أختها عن قصة  
«رغبة في النوم»، وتساءلت عما أخذت من كلام زوج أختها، لكن  
لم يكن في رأسها إلا هذه الكلمات: «براكتيكوم»، «مينيموم»،  
«ماكسيموم»، «ديتيردينغ»، «ستيندينغ»، «شيلينغ»، «ميرينغ»،  
«ديمينغ».



## المهد

### عبدالله قهار

أنجبت زوجة غني جان مولودا جميلا بعد فترة طويلة من زواجهما.

عندما أصبحت زوجة غني جان حاملا، وعندما كانت تنتظر مولودها، وعندما اقترب ميعاد ولادتها، رأى الزوج أن هذا حدث يحدث في القرية كل يوم وفي كل مكان. ولكن ولادة مولوده بدت له - في ظنه - حدثا لم يحدث أبدا في أي زمان، وفي أي مكان، وبدا له كأن جميع الناس كانوا ينتظرون هذا اليوم، وكأنهم يتحدثون عنه فقط، وكأن كل من يأتي إليه يحمل هدية، أو يقول له: «مولود مبارك» كان يصدق ظنه. وشعر غني جان بإحساس غريب عندما سمع أول مرة كلمة «أبوة»، ودغدغت هذه الكلمة مكانا ما من قلبه، ولسته بلمسة دافئة، وارتاح جسمه.

وذهب غني جان إلى السوق في مركز المنطقة ليحضر مهدا لابنه، واشترى مهدا صغيرا وبدا له أنه أجمل مهد في السوق، وحمله على جواده، ورجع به.

لقد تجمدت القنوات على جانبي الطريق بسبب البرد، وتحولت الأشجار إلى ما يشبه مكنسة مقطوعة، وكان الجو متجهما، ولذلك أظلمت الدنيا قبل المغرب، أي باختصار، لا يوجد شيء يسر أحدا، وعلى الرغم من ذلك كان غني جان مستمرا في طريقه، وهو يفني على وقع أقدام جواده:

يا حبيبتي، يا عزيزتي،  
أنت قلبي، وأنت روحي،  
وفي الليالي المظلمة  
أنت مصباحي...

وعند مخرج قرية بخته آباد رفع شخص يده، وهو جالس على جانب الطريق، وقال شيئاً ما لغني جان، وفي الوقت نفسه كانت تمر بجانبهم سيارة، وبسبب ضجيجها لم يسمع غني جان كلامه. وجفل الجواد من صوت السيارة، وجمع، ثم أسرع راكضاً في الطريق، ولم يرغب غني جان في الرجوع، وواصل طريقه. ولما قطع ميلاً من المسافة، طرق أذنه صوت طلقة بندقية من مكان قريب، ونعبت عشيرة الغريان، وهي تطير من شجرة على تلة عالية في اتجاهات مختلفة، وذكره نقيب الغريان بالبرد فاقشعر بدنه، وتذكر ذلك الرجل الذي يجلس على جانب الطريق، وهو يرفع يده. ترى من يكون ذلك الرجل؟ ولماذا يجلس في هذا الجو البارد في الشارع؟ ولماذا رفع يده؟ وماذا قال؟ ربما كان مسافراً خرج في وقت غير مناسب، ربما قال «أحملني على جوادك»، إذن لماذا لم يقم من مكانه؟

نظر غني جان فجأة إلى الوراء لكنه استمر في طريقه، وأراد أن يغني أغنية ما، لكنه لم يستطع أن ينسى ذلك الرجل الذي كان يجلس على جانب الطريق، ولم يتذكر أي أغنية.  
لماذا يجلس في الطريق؟ لماذا لم يقم من مكانه إذا كان يريد الركوب معي؟ هل هو مريض؟ إذا كان مريضاً فليس من الواجب

أن يتركه في هذه الحال، ولا بد من الرجوع! ولكن كيف إذا كان الرجل مشوّهاً معفى من الخدمة العسكرية؟  
وردّ غني جان جواده إلى الوراء، وحثّه على الركض، ووجد مكاناً ظن أن ذلك الرجل كان يجلس فيه، ولم يكن أحد هنا، صاح ونادى، فلم يرد أحد، بحث عنه طويلاً، ولم يجده. وظن أنه ذهب إلى القرية وهو يعرج. ورجع غني جان في طريق القرية بجواده، وأوقف عدة أشخاص، وسألهم عنه، ولم يقل أحد «إن ذلك الرجل أنا»، أو «رأيت ذلك الرجل». وعاد غني جان بتفكيره إلى الوراء... «ربما ذهب ماشياً ولم أره»، وبحث في نحو ميلين من المسافة، ثم رجع. وصل غني جان إلى بيته في منتصف الليل، وكان متعباً مرهقاً، سألته زوجته، وهي لا تتظر إلى المهد الجميل الذي يحمله:

- يا إلهي، ماذا بك؟

- لا شيء... تعبت! قالها غني جان، ولكنه استحيا من التحدث عما جرى معه.

وغرقت زوجته في النوم من جديد، ولم ينم غني جان، ولم يُغلق عينيه، ها هو يرى أمامه رجلاً أعرج يستند على عصا وكأنه يقول: «هل هذا تصرف حسن؟» قام غني جان ليدخّن، فأوقع صينية من الرف، فاستيقظت زوجته.

- نعم، ماذا تفعل ولماذا تشعل المصباح؟

- أين التبغ؟

- ماذا تفعل بالتبغ؟

- سأركب عليه وأذهب إلى السوق!.. ماذا يفعل الرجل بالتبغ؟ إنه يدخّنه! قال غني جان غاضباً.



- لماذا تغضب؟ ليس من عادتك أن تدخن في الليل، ولذلك أنا أسأل.

استغريت الزوجة، لأنها لم تر زوجها في مثل هذه الحال، ولم تسمع منه كلمة خشنة أبداً، وقعت في فراشها.

- هل يؤلمك شيء؟

- لا، أبداً.

دخن غني جان التبغ، ثم رقد في فراشه.

ومسحت الزوجة على رأس زوجها بلطف، وسألته:

- هل أغضبك شخص ما؟

- لا.

سألته بعد قليل:

- لماذا تأخرت؟

- طراً لي مشوار في الطريق.

- أي مشوار وماذا حدث؟ قل من فضلك... ولمن تقول إذا لم

تقل لي؟

فهم غني جان أن زوجته قد قلقت فبدأ يتحدث:

- كان هناك شخص جالس على جانب الطريق، وأنا قادم

على الجواد، ورفع يده، ربما قال: «يا أخي، احملني معك».

- ومن كان هذا الشخص؟

- لا أدري، فهو لم يقم من مكانه، ولذا ظننت أنه قد يكون

مشوّه حرب، وقد أعفي من الخدمة العسكرية... أنا متأكد أنه

مشوّه حرب!

- ولماذا لم تحمله معك؟

- إن الجواد الملعون سحبني، ولكنني رجعت، ولم أجده، ناديت، وبحثت عنه هنا وهناك، ولكنني لم أنزل عن الجواد لأنظر المكان الذي كان يجلس فيه، ولذلك فإنني قلق قليلا، فقد يكون جريحا، وأغشي عليه، وقد استلقى.

- ومن الممكن أن الأمر غير ذلك... فأولا لا يجلس الشخص الذي يعود من الخدمة العسكرية على الطريق وينتظر من سيمر بهذا الطريق، لأن العربات والسيارات جاهزة عندهم دائما، وهي في خدمتهم متى شاءوا.

بدأت زوجة غني جان تطمئنه، ولكنها كانت قلقة، وبدأت تظن أن ذلك الشخص في الحقيقة مشوّه حرب، وأغشي عليه نتيجة انفتاح جرحه، ولعله الآن يتأوه على الطريق.

- ألم تبحث في المكان الذي كان يجلس فيه؟

- نظرت فيه، ولكنني لم أنزل عن الجواد، وقد حلّ الظلام.

- هل من المعقول أن يكون الرجل هادئا بهذا الشكل، ولماذا لم

تنزل عن جوادك، وتبحث جيدا؟ وماذا حدث الآن؟

نهض غني جان من فراشه منتفضا، وقال:

- هل أذهب إليه؟

- أظن أنه راقد هناك حتى الآن؟

- ربما لا يكون راقدا حتى الآن، وقد يكون أحد ما أخذه،

ولكننا لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي.

لبس غني جان ملابسه بسرعة، وذهب إلى سائس الخيل في

القرية نصيب علي، وأيقظته، وكان في نوم عميق، وتحدث معه،

وبدا على وجهه أنه يشعر بملل:

- إلى أين تذهب في هذا الوقت المتأخر جدا؟  
وكذب غني جان لكيلا يطول الحديث:

- عاد ابن عمي من الخدمة العسكرية، سأذهب إليه وسأزوره.  
دخل نصيب علي إلى حظيرة الخيل، ورجع يقود جوادا منها.

- يجب على الإنسان أن يكون حذرا عندما يركب الجواد - قال  
نصيب علي وهو يثبت السرج على ظهر الجواد- فقد كدت أن  
تصدم سيارة.

- متى؟

- هذا المساء، عند مخرج قرية بخته آباد!

- أأنت الذي رفع يده؟ وماذا كنت تفعل هناك؟  
ذهبت لأحضر شعيرا.

- سلمك الله! كفى. لا أحتاج جوادا!

وقف نصيب علي مستغريا. وعاد غني جان راكضا، ودخل  
البيت، وهو يصيح:

- إنه نصيب علي... نصيب علي.

وكانت زوجته ترضع الطفل، وقفت وقالت:

- الحمد لله!

نسي الزوج والزوجة بعد قليل كل ما حدث، وأمسك غني جان  
المهد من طرفه وقال لزوجته:

- هل رأيت هذا المهد؟ هكذا تكون المهود، وعليك أن تتجبي  
أولادا، وعليّ شراء المهود!

هدأ الزوج والزوجة وناما.

١٩٤٥م.

## عصيان الكنائس

سيد أحمد

أصبحت البنت الصغرى لأُستى مَحْكَم واسمها «إِنَابَت» فتاة ثرثارة. تخاف منها أخواتها وزوجات إخوتها، وهي تقول كلاما يؤثر في أي أحد، ومنذ أن بدأت الكلام لا تترك أي شيء بلا رد، وكانت تقول لها عمتها الشديدة التي تشبهها، وهي تؤكد:

- إن كانت حماتك امرأة حليلة هادئة الطباع، عندما تتزوجين، ستقتلينها قبل أجلها، وإن كانت الأم الحاجة لا تستطيع أن تتعامل معك، فإن أي امرأة أضعف منها ستموت منك حتما.

ولم تكن إنابَت تزعج زوجات إخوتها فقط، بل إنها كانت تزعج كنائس الجيران أيضا.

رفضت أم إنابَت خاطبتين أو ثلاثا، ليس بسبب أنها لم تعجب بهن، بل من باب العدالة والرحمة، كانت الخاطبة الأولى امرأة حليلة، ستحولها إنابَت إلى «خوخة جافة» خلال يومين، أما الثانية فكانت مثل الملك، وتقول بعد كل جملة: «أفديك بعمري، يا عزيزتي». وإن رفعت إنابَت صوتها أمامها فسيغشى عليها.

وهكذا، فإن الأم التي رفضت عدة مرات، قبلت اقتراح الخاطبات اللواتي جئن ليخطبن ابنتها للابن الأصغر لأم «الإخوة السبعة الأبطال» الذين يسكنون بعد خمسة أحياء منها، وقطعت رغيفا أحضرته<sup>(١٦)</sup>. فاشتهرت أم «الإخوة السبعة الأبطال» في

(١٦) قطعت رغيفا أحضرته: وفق العادات الأوزبكية تأتي الخاطبات بثمانية أو عشرة أرغفة، وتضع صاحبة البيت بعضا منها على المائدة، فإن قبلت الخطبة تقطع رغيفا منها وإلا فتركها.

المدينة كلها، وكانت متشدة مع كل كنائها، وحصلت على لقب «العجوز الجنرال».

بعد يوم الخطبة قالت عمة إنابت لها، وهي تؤكد :

- انتهى أمرك! وحماذك «ستأكلك حية».

- تأكلني أنا؟ إنها ستحاول بلا فائدة. سأجعلها تمرّ عبر

خرم الإبرة.

وخلصة الكلام، قالت هذه كلمة، وردّت الأخرى، وانتهى الأمر

بإقامة حفلة الزفاف. وأصبحت إنابت بعد شيء من التجميل

عروسا مثل الهلال، وقد ازدهرت مثل الورد في اليوم التالي

بعد حفلة الزواج.

وانتهت حفلة الزواج التي انتشرت عنها شائعات كثيرة في

المدينة. وخلال ثلاثة أيام قامت السلائف الست بتتظيف الأواني،

وغسلن السفرات والمناشف، وعلقنها على الحبل.

جلست الأم في السقيفة، كانت تسبّح، ولا تتدخل في أعمال

الكنائن، بل تنظر إليهن، وتأتي الكنة الوسطى إليها كثيرا، لتعدل

المخدة وتجدد الشاي.

أما إنابت فاستحيت أن تقف بلا عمل أمامهن، وساعدتهن

قليلا، وجّهزت الكنة الوسطى الشاي، وذهبت إلى العجوز، وكانت

سلفتها الصغيرة جالسة بجانب إنابت، ودفعتها بهدوء وقالت

لها :

- هل ترين الجاسوسة؟ احذري منها، إنها عميلة العجوز

الشريرة.

استغربت إنابت وضحكت ضحكة مكتومة.

- لا تضحكي، يا سلفتي العزيزة، سوف تعرفينها عندما سيحدث معك شيء ما.

ولم يمرّ أسبوع حتى انكشفت أسرار هذا البيت لإنابت. وأصبحت إنابت زوجة للابن السابع، وكان للعجوز سبعة أبناء، ربّتهم كلهم، وعلمتهم، ولا يفعل الأبناء أي شيء إلا بإذن الأم، ويأتون برواتبهم ومكاسبهم ويقدمونها لها، ويأكل الأبناء السبعة والكنائن السبع من قدر واحد، ولا تستطيع إحداهن أن تطبخ بنفسها، وقد أخذت العجوز مفتاح المستودع، وربطته إلى زر بدلتها، وكانت تدخل إلى المطبخ كل يوم بلوازم الطبخ، ولا تخرج منه إلا بعد أن تغلي القدر.

وتوكل العجوز كنتها الوسطى بهذه الأمور عندما تذهب إلى مكان ما، وحينئذ أيضا يبقى المفتاح عندها، وتعطي كنتها لوازم الطبخ في كيس فقط.

طبعاً، لا تضيقّ العجوز على كنائنها في المعيشة، ولكنها تتصرف وفق خطة مرسومة، ومن دون أن تبذر في لوازم الطبخ، وفي المساء عندما يقدم الطعام، ويبقى شيء زائد منه، تبدأ تثرثر، وتجبر الجميع على أن يأكلوه حتى آخره، وإلا تأكله مضطرة بنفسها.

وكانت الكنائن كلهن يعملن، وفي الصباح بعد الإفطار تدخل العجوز إلى غرفتها، وتخرج منها بمحفظتها، وتعطي لكل ابن «سوما»<sup>(١٧)</sup> واحدا، ولكل من الكنائن نصف سوم، أما أحفادها الذين يذهبون إلى المدارس فتعطيهم عشرة «تيينات»، ثم تدخل غرفتها بمحفظتها.

---

(١٧) السوم: عملة أوزبكية

وفي اليوم الخامس عشر من كل شهر يأتي أبنائها وكنائنها برواتبهم واحدا واحدا، ويضعونها أمامها، وتعدّها العجوز بلا استعجال، وتعبس إذا كان المبلغ أقل من ألف سوم.

وكانت هناك عادة أخرى للعجوز، ففي المساء عندما يدخل الأبناء والكنائن إلى غرفهم كانت تنظر إلى المداخل أمام أبواب غرفهم، وتفحص أحذيتهم، وإن وجدت حذاء أحد ما قد مزق أو يحتاج لصيانة فإنها تجمعها وفي اليوم التالي تذهب بها إلى محل الإسكافي وتصلحها حتى ينتهي الدوام.

باختصار، كانت العجوز في هذا البيت مثل المارشال. وكانت كل صغيرة وكبيرة في البيت تحت نظرها وإدارتها، وفي المساء كانت الأسر السبع تجتمع في السقيفة، لأنه لم يكن هناك غير تلفاز واحد لهذه الأسر السبع، وكانوا يشاهدونه جميعا، وإن بدأت العجوز تتشأب تغلق الكنة الوسطى التلفاز فورا، وإن لم يكتمل عرض الفيلم أو الحفلة الموسيقية.

وكانت الكنائن تخاف من العجوز ومن هذه الكنة الوسطى بالذات، وإن كان هناك أي نزاع في البيت فسببه الكنة الوسطى، فهي تتمشى في الليالي بجانب نوافذ سلائفها، وتستمع إلى كلامهن، وتخبر به العجوز في صباح اليوم التالي، وإن كان هناك شيء في الليل لدى أسرة من هذه الأسر فإن العجوز كانت تذيعه في الصباح قبل شروق الشمس.

وخلاصة الكلام، كان هذا البيت يشبه مملكة، لها مليكتها ووزيرتها، وكانت لهذه المملكة قوانينها وأنظمتها.

ولم تتبته إنابت في البداية إلى هذه الأشياء وهي تستمتع بحياتها كمروس، ولم تزعجها الكنة الوسطى لكونها عروساً جديدة. وبعد مرور شهر تقريبا انكشف «عيب» إنابت أيضا.

وفي صباح أحد الأيام خلال الإفطار سكبت العجوز كأس الشاي التي قدمتها لها إنابت على أرض الفناء قائلة:

- أنا لا أشرب الشاي من يد امرأة قلبها أسود.

استغربت إنابت، وصبت الكنة الوسطى شايًا آخر، وقدمته للعجوز، وهي تتقدم قليلاً منحنية، وتمسك بأصبعها الخنصر كم يدها التي تقدم بها الشاي، فأخذته العجوز.

وسكبت إنابت شايها على أرض الفناء أيضا، وقامت ودخلت إلى غرفتها وصفقت الباب بشدة، وأراد زوجها أن يقوم من مكانه ليدخل وراءها، ولكن العجوز نظرت إليه عابسة، فبقي جالسا في مكانه.

كانت سلفتها الصغرى في منتهى الصبر، ودقت نافذة إنابت حين ذهبت العجوز إلى بيت أحد أبناء أختها، وتحدثتا عن شيء ما بصوت مهموس لكيلا تسمع السلفة الوسطى، التي كانت تنكس السقيفة.

- لا بد من تأديب العجوز، إنها تجاوزت كل الحدود، أما أبنائها فيغضبون عندما نتحدث عن أهمهم.

واجتمعت السلائف الست أمام السقيفة بعد أن أكملت السلفة الوسطى كنسها، وحملت سلة، وخرجت إلى الشارع، وتهامسن طويلا، وعندما رجعت السلفة الوسطى تفرقن، وذهبت كل واحدة إلى غرفتها، وبقيت إنابت وحدها في الفناء.



- اسمعي، أنت عروس جديدة، لا تسمعي كلام هؤلاء  
المفتريات، وإن سمعت كلامي سيكون كل شيء على ما يرام. هل  
تعرفين لماذا سكبت أمي<sup>(١٨)</sup> الشاي الذي قدمته لها؟  
- لا، أجابت إنابت واهتمت بمعرفة سبب ذاك التصرف.  
- إنك قدمت الشاي بيدك اليسرى، والإنسان ذو القلب  
الأسود هو الذي يقدم الشاي بيده اليسرى.  
دهشت إنابت، ثم قالت:  
- لا، هل هذا كلام معقول؟ وأنا تزوجت من ابنها أو من أمه؟  
قولي لها لتجلس داعية لأبنائها، وإلا سأضعها في فرامة اللحم.  
رفعت سلفتها حاجبيها وقالت:  
- يا إلهي! لديك لسان طويل. ستصبحين عاقلة عندما تسمعين  
كلمتين مُرتين من حماتي، فاعرفي، والعجوز هنا في هذا البيت  
هي صاحبة القرار.  
وبعد هذا الحديث بدأت العجوز تتعامل مع إنابت بغير مودة،  
وأما السلائف الست فكن يتهامسن كل يوم، ويتشاورن حول  
شيء ما.  
واتضح مشاوراتهن في يوم الأحد صباحاً. عندما استيقظت  
العجوز في الصباح، وذهبت لتتوضأ، كانت الطاولة الكبيرة في  
السقيفة مفروشة بسفرة حمراء، واجتمعت الكنائن والأبناء،  
وكانوا يجلسون صامتين، وانتظروا حتى تتوضأ العجوز وتصلي،  
وبعدما صلت العجوز نادتها إنابت:  
- يا أمي، تعالي إلى هنا!

---

(١٨) تسمى الكنة حماتها بـ «الأم» وفق العادات الأوزبكية.

- نعم، ماذا حدث؟ هل هذا بيت أو إدارة؟ ولماذا اجتمعتم، هل هناك اجتماع؟

قالت الكنة الأكبر من إنابت:

- ليس اجتماعا، بل إنها محكمة، يا أمي، تعالي هنا!  
ثرثرت العجوز شيئا ما، وبدأت تبتعد، وقالت الكنة الكبرى:  
- إذا لم تأت، سنحكم عليك غيابيا.  
فكرت العجوز أن هذا شيء مضحك، واقتربت من السقيفة وجلست على حافتها.

وقامت إنابت من مكانها وقالت:

- اجتماع المحكمة مفتوح، هناك مسألة واحدة، وهي شكوى الكنائس السبع من حماتهن، وإصدار الحكم عليها على أساس قانون الإجراءات الجنائية، هل لديكن أي إضافات؟ لا، لا يوجد، إذن، نستمع إلى كلمة الكنة الكبرى، يا أيتها المدعية، قومي، وقولي!

قامت الكنة الكبرى من مكانها خائفة، وهي لا تجرؤ على النظر في وجه عمتها، وبدأت تتكلم:

- لقد مرت أربع عشرة سنة منذ أتيت عروسا إلى هذا البيت، وأنا بين يدي هذه العجوز، وخلال هذه السنوات الأربع عشرة كنت كأنتي لا أعيش في بيتي، بل في بيت للإيجار، أما زوجي فهو لين مثل خرقة، ولم أحس بالراحة يوما في حياتي الزوجية، والله إنني أقول الحق، وربما لا تصدقن، خلال هذه السنوات لم أقطع عنقود عنب في هذا الفناء، وبإمكانكم فهم الباقي.  
وجلست الكنة الكبرى، ثم قامت الكنة الثانية وقالت:

- إنها تقول لي دائما «أنت بنت الممثلة، ومثلت أمك دور الساحرة على خشبة المسرح، لا تجلسي على فراشي، لا تشربي من كأسِي، وأنت ستصنعين لي سحرا»، ولقد مرضت بالزكام قبل سبع سنين، ومنذ ذلك الوقت أصبح اسمي «مخاط». وحاولت العجوز أن تقوم من مكانها، ولكن إنابت قالت بجرأة:

- اجلسي!

وجلس العجوز، ولم يكن واضحا، هل كانت خائفة، أو حيرى، أو غضبى!

وقامت الكنة الوسطى من مكانها وكذبت كلام الأخريات: - لیت كل الأمهات يكنّ مثلها، وهي مثالية، وبفضلها فإن معيشتنا كاملة، ونحن مبسوطون من قلوبنا، وأنا لم أوقع الشكوى.

هاجمتها الأخريات.

- أنت عميلة حماتنا، وتخبرينها دائما عنا، وأصبحت قريبة لها بعد أن ساعدتها في تركيب الأسنان الاصطناعية، ومن سمح لك بالحديث؟

وقامت العجوز من مكانها وصاحت في أبنائها:

- أي رجال أنتم؟ تهاجمني زوجاتكم، وأنتم تشاهدونني؟ وأحنى أبنائها رؤوسهم، وهم ينظرون إلى الأرض، ويضحكون ضحكا مكتوما.

ورفعت إنابت ورقة بيدها:

- استمعوا! أعلن الحكم، نحن نوافق على أن نعيش في هذا

البيت، إذا أعطتتا حماتنا مفتاح المستودع، وإذا سمحت لكل أسرة بمعيشة مستقلة، ولم تأخذ رواتبنا، وإذا لم ترض بشروطنا فسنغادر البيت، وإدارتنا في العمل تقدم شقة لكل منا. هل أنت راضية بشروطنا؟

- كلاً! - قالت العجوز، وقامت من مكانها ولوحت بيدها ودخلت غرفتها.

ووقف الجميع مدهوشين مفتوحى الأفواه، ونظر بعضهم إلى بعض، كأنهم يسألون « وماذا نفعل الآن؟ » ورفعت إنابت صوتها، وبدأت تتحدث لكي تسمع العجوز من داخل البيت:

- وأما إذا قبلت حماتنا بشروطنا فسيعطيهما كل منا خمسة سومات كل شهر، أي الأبناء السبعة والكنائن السبع، نعطيها خمسة سومات فيكون المجموع سبعين سوما، ولا تدخل في هذا مصروفات الأكل والملابس، وكذلك مصروفات زياراتها للضيافات على رقبتهما أيضا.

وأغلقت العجوز الباب بقوة، كأنها تقول « اسكتي! » وفقدت الكنائن ثقتهم بأنفسهن بعد هذه المحاولات التي لم تؤثر في العجوز، وبدأن ينظرون بعضهم إلى بعض، وغمزت إنابت لهن، ثم قالت بصوت عال أيضا:

- إن الحكم نهائي، وتعطى مهلة لساعة واحدة للرد أو الاعتراض، وبعد ساعة واحدة يذهب كل منا إلى السوق ليحضر شاحنة، ويبدأ الانتقال إلى حي تشيلانزار، ويمكنكم الانصراف.

يُفتح الباب بهدوء، ويظهر رأس العجوز.

- وللهمز حد، تبا لحركاتكن!
- هذا ليس هزلاً، بل إنه صدق، ومنتظر ردك خلال ساعة.
- ورجعت العجوز ببطء، وجلست في مكانها، وقالت:
- حسناً، وماذا تردن أن أفعل؟
- أعطينا حريتنا، ولأكبر كنائك ثلاثة أطفال، ولتقم بمعيشتها بنفسها، وكذلك الأخريات، وأنت تختارين ما شئت من بين الطبخات السبع التي تجهزها الكنائس السبع، وتتمتعين بها بكل احترام.
- هل تردن الطبخ في سبع قدور في يوم واحد؟
- طبعاً، وكل منا يأكل ما يشاء.
- تمتت العجوز.
- أنت أثرت في الكنائس اللواتي لم يقلن شيئاً طول هذه السنين، وأثرت في ابني، قالت العجوز ونظرت إلى إنابت غاضبة.
- هل أنت راضية أم لا؟ سألت إنابت، وقد فهمت أن العجوز تنازلت قليلاً ولذلك استمرت لكيلا يفتر الحديث.
- أما العجوز ففضبت أكثر:
- إن أردتم الانتقال، فانتقلوا، سأعرض البيت للإيجار، وأقيم الدعوى عليكم في المحكمة وأطلب النفقة.
- ضربت إنابت على الطاولة بكفها.
- حسناً، بقيت خمس دقائق من المهلة، وليذهب أحكمك للسوق ليحضر شاحنة، وسننتقل بسبع شاحنات.
- وارتبكت العجوز، وجالت عيناها، وقد وصلت الكنة الكبرى إلى الباب قبل أن تقول العجوز شيئاً.

- قفي! لا تستعجلي!  
قالتها العجوز، ثم دخلت غرفتها، وخرجت بعد قليل، ورمت  
المفتاح في صحن الفناء.  
- خذن! وإن أردتن، اطبخن في عشرة قدور! وماذا يحتاج  
بطني الوحيد؟ افعلن ما تشأن.  
وزادت إنابت:  
- نحن، الكنائن وأبناءك، حسبنا وعرفنا، أن هناك مبلغ  
سبعة عشر ألف سوم توفرت من النقود التي أعطيناك إياها،  
فعليك توزيعها علينا جميعا.  
- لن أعطيك شيئا! ليس لكم أي تيين، ولماذا أعطيك ما  
جمعته لأجل مراسم دفني؟  
وقالت الكنائن كلهن معا:  
- حسناً، حسناً، لتحفظها، ولكنها لا تأخذ شيئا بعد  
ذلك.  
سكتت العجوز، وكأنها كانت شاكرة لأن النقود بقيت  
معهها.  
وفي نهار ذلك اليوم أقام الأبناء السبعة مواعِد في سبعة  
أماكن من الفناء، وفي المساء غلت سبعة قدور في وقت  
واحد.  
وزاد نفوذ واحترام العجوز، وكانت الكنائن السبع يناديها  
من الجهات السبع بأصواتهن اللينة، ويقولن:  
- يا أمي، الأرز جاهز، تعالي، يا أمي طبخت «لغمان»،  
تعالي إلينا!

ولم تذهب العجوز بغضب لأي واحدة منهن، وامتلأت المائدة في السقيفة بأكلات مختلفة بينما كانت العجوز تصلي العصر، وكان هناك «لغمان»، والأرز، و«الشولة»، والشورية أيضا، و«شيشبرك»، و«قاورما»<sup>(١٩)</sup> في صف واحد.

وتذوقت العجوز قليلا من كل أكلة، وقالت في نفسها: إن صغيرتي تطبخ أفضل.

وغرقت العجوز في الاحترام، وكانت إحدى الكنائن تفرش، وأخرى تصنع الشاي، وتنظف الثالثة حذاءها، وتأتي الرابعة بصابون معطر جديد... أما كنها الصغرى فجاءت بكأس كبيرة مملأى بعصير البطيخ، ثم وضعت منديلا على كتفها: - اربطيه في الليل، ولا تتعرضي للزكام، يا أمي العزيزة. وما زالت العجوز غاضبة حتى الآن، ولكنها اعترفت فجأة بعدالة الأمر، عندما استلقت ووضعت رأسها على الوسادة، وأغلقت عينيها.

- كنت أتعب نفسي طوال هذه الفترة، هل هذا كله ضروري لي؟! فليتصرفوا كما يشاءون! ومن كلفني أن أكون «الأم الحاجة»؟

نامت العجوز غارقة في هذه الأفكار، وهي تنام لأول مرة نوما هادئا منذ أن بدأت تزوج أبناءها.

وأطفأت الكنة الكبرى المصباح لكيلا تزعجها في نومها. وتمشت الكنة الوسطى في الفناء ليلا، وهي لا تستطيع أن تتعود العادة الجديدة، واستمعت إلى نوافذ الكنائن واحدة

---

(١٩) «لغمان»، والأرز، و«الشولة»، والشورية، و«شيشبرك»، و«قاورما» كلها أكلات شعبية أوزبكية.

واحدة، وفي الصباح بدأت تهمس في أذن العجوز شيئاً ما،  
فقاطعتها العجوز:

- يا ابنتي، اتركي عادتك هذه. أنا استقلت من وظيفة «الأم  
الحاجة»، وأقيلك أيضاً من وظيفة «الجاسوسة».  
وسمعت الكنائس كلهن هذا الحديث، وضحكن ضحكة عالية.  
ومنذ خمس عشرة سنة تغلى سبعة سماورات (أباريق الشاي)  
في هذه الدار في آن واحد.





## ذوالشعر الأزرق

ناصر فاضلوف

حل الربيع وبدأ الثلج يذوب، وفي مثل هذا الوقت من كل سنة ينتقل رعاة مزرعتنا إلى مراعي يأسّي على شاطئ نهر سيرداريا ويقيمون خيامهم هناك. والمسافة بين المراعي وقريتنا ليست بعيدة، تبلغ نحو عشرة كيلومترات. أذهب إلى هناك مع عمّي باتشاخان كل يومين، إن لم أذهب كل يوم. وفي مثل هذا الوقت تفيض مياه نهر سيرداريا على شواطئه لتغطي الأدغال والبرك المجاورة، فيزعق الوز والبط ويحول هذه الأماكن إلى سوق طيور.

اليوم أيضا كنت أنا وعمي على الجوادين في الطريق. وقد علق عمي على ظهره بندقية ذات طلقتين بغيار ستة عشر، وعلى ظهري بندقية ذات طلقة واحدة بغيار عشرين. كنا نمشي ونتحدث. ولما تجاوزنا نهر بوريجار واقتربنا من مراعي يأسّي قابلنا رجلا؛ أحدهما يركب فرسا والآخر يركب حمارا، عرفتهما عندما اقتربنا منهما: راكب الفرس هو الأخ قوجقار، طبيب بيطري في مزرعتنا، وراكب الحمار هو الجد عيسى، كبير الرعاة.

- السلام عليكم، قال عمي باتشاخان وقد أطلت تحيته.  
- وعليكم... - قصّر الجد عيسى رده للتحية - مجيئك أمر جيد، يا أخي، هيا بنا لنذهب!

قال الجد هذا وتقدم إلى الأمام وهو يحث حماره. استغرب عمي وسأل:

- ماذا حدث؟

غمز الأخ قوجقار بعينه اليمنى كأنه يقول «لنذهب». سحبنا زمام جوادنا ورجعنا إلى الخلف وفكرنا: «هناك أمر ما». نسير أنا وعمي والأخ قوجقار في صف واحد، أما الجد عيسى فهو في الأمام قليلا.

- اعتدى الذئب على جواده، قال الأخ قوجقار هادئا.

- كيف؟

- سوف نرى الآن.

استغربت جدا، قبل الأمس رأيت جواده بجانب الخيمة، كان واقفا ويسعى إلى الأمام.

مشى الجد عيسى مسافة قليلة، ثم جذب مقود حماره إلى اليمين ودخل بين الأشجار القصيرة، وترجل حتى وصل، ووقف بجانب جثة جواده الهالك. وترجل الأخ قوجقار وعمي باتشاخان، وأعطيانني زمامي جواديهما. رأت الخيول جثة الجواد المغطاة بدمه فأخذت تصيح من الخوف وتضرب الأرض بأرجلها. أكلت الذئب رجل الجواد الخلفية ونصف بطنه، وعلى رقبة الجواد المسكين وشفثيه أثر أسنان الذئب، ويبدو أن الجواد صارع الذئب طويلا، وتجمدت عيناه مفتوحتين، يا للجواد المسكين!

رأى الجد عيسى هذا المنظر وهو يرتعش وقال:

- لا، لا يمكن تحمل هذا أكثر من ذلك. لا بد من اتخاذ

اللازم!

- يبدو أنه ليس فعل ذئب واحد .

- آه، إنها أربعة، وأقواها ذو الشعر الأزرق - قال الجد عيسى غاضبا - ويسوؤني أنني لا أستطيع الإمساك به . أين الصيادون ؟ أين الرجال أصحاب البنادق ؟

ربما أثر هذا الكلام في عمي باتشاخان قليلا، فقد أنزل طاقيته على جبينه، وحك قفاه . وسكت الأخ قوجقار، وأخذ كيسه المعلق على سرج جواده، وجلس على الأرض وبدأ يفتح ربطة الكيس، واستخرج منه قارورة زجاجية ووضعها على الأرض، كان فيها مادة سائلة سوداء، وعلى ورقة ملصقة عليها صورة جمجمة وعظمتين . ثم أخذ الأخ قوجقار إبرة، كانت هذه الإبرة أكبر مما كنت أرى دائما بمرتتين أو ثلاث مرات، وملأها من القارورة، وحقن ثلاثة أو أربعة أماكن في جثة الجواد، ثم استوى قائما وقال: سوف نرى غدا - قال وهو يمسح يديه بالقطن - سيرجع الذئب إلى هذا المكان مرة أخرى في الليل، فإن أكل مات .

- لن يأكل . يسمونه ذا الشعر الأزرق! - قال الجد عيسى حزينا - هذا الذئب الأبله حساس جدا، لا يقترب من مكان فيه بندقية، ويشم رائحة الدواء (السم)، ويتجنب الفخ . - سوف نرى - قال الأخ قوجقار وهو هادئ - لنذهب، وسنعود غدا في هذا الوقت .

ركبنا وذهب الأخ قوجقار والجد عيسى إلى المراعي، وذهبنا إلى الصيد ووعدنا أن نعود غدا .

وصلت أنا وعمي باتشاخان إلى المكان مبكرين، وقد هطل الثلج على الأرض بمقدار شبر . وانحنى غصون الأشجار من

ثقل الثلج، وعلى الثلج آثار الصيد... هناك ثلاثة أو أربعة آثار أكبر من أثر الكلب، ربما لذئب. عندما وصلنا إلى مكان الجثة، فاجأنا حدث غريب، فقد غطى الثلج جثة الجواد، ويبدو أن الذئب أكلت منها، ومزقتها عندما سحبتها من طرف إلى آخر، وعلى بعد عشرة أمتار منها تجمد ذئبان مثل الشمع، أحدهما فوق الآخر، وذهبنا قليلا فوجدنا ثالثا تحت شجرة... لما رأينا كل هذا وصل الجد عيسى والأخ قوجقار.

- ماذا حدث، هل حدث شيء ما؟

- قُتل ثلاثة...

ذهب الجد عيسى وشاهد ثلاثة ذئاب وقال:

- أما قلت لكم - ويهز رأسه - ليس هنا ذو الشعر الأزرق، قام

هذا الذئب الماكر بحيلة هنا أيضا، ماذا سنفعل؟

- سوف نلاحقه. لن يغادر بعيدا ويترك الذئاب، لأنه تعود

على هذا المكان - قال الأخ قوجقار - إضافة إلى أن جثث جرائه هنا.

قال عمي باتشاخان:

- لا بد أن نلاحقه اليوم، فهو يتجنب الفخ، ولا يأتي إلى مكان

فيه بندقية، ويشم رائحة الدواء، هناك طريقة، فلنوجه خلفه

كلبا، والكلب يأخذه، ولن ينجو. يا منصور، اذهب إلى القرية،

وأحضر الكلب آق شونقار!

اتجهت إلى القرية لأحضر آق شونقار، وعندما عدت به كانت

الشمس قد ارتفعت بمقدار شجرتين. أخذ عمي باتشاخان زمام

آق شونقار وأعطاه للجد عيسى وقال:

- كما اتفقنا، أيها الشيخ.  
وأخذ بندقية ذات الطلقتين وأعطاهما للجدة عيسى، وقفز  
على جواده وأضاف:  
- سوف توجه آق شونقار بعد إشارتي.  
ركب الأخ قوجقار أيضا على جواده بمهارة.  
- لو كان فارس أو فارسان لكان جيدا. قال الجدة عيسى  
قلقا.

- من أين نجد بضعة فرسان في ذروة الموسم هذه، لا تقلق،  
أيها الشيخ، سوف ننجح - قال الأخ قوجقار وهو يطمئن الجدة  
عيسى - علينا أن نجده أولا.  
- على كل حال... يوفقكم الله - قال الجدة عيسى ومسح  
وجهه بيديه - مُرُّوا بدغل هناك.. إن لم يكن هناك، ابحثوا عنه  
في خميلة على شاطئ النهر، له جحر هناك.  
جرى عمي باتشاخان والأخ قوجقار راكبين على جواديهما في  
اتجاه نهر بوريجار، وفي يد كل منهما هراوة، بقيت أنا والجدة  
عيسى في المكان، وكان من الممكن أن نذهب نحن أيضا، ولكن  
متى سمعتم عن أحد يلاحق ذئبا وهو راكب على حمار؟  
دخل الفارسان في قعر دغل سريعا، وتحول كل جسمي إلى  
أذن، ألتفت وأنظر إلى أي شيء يصدر صوتا. تهب نسائم الربيع  
بهدهوء. وبدأت أعشاب جديدة تنمو من تحت الأعشاب القديمة.  
حميرنا لا تتقف في مكان وهي تأكل نبات الشيخ. ويرفع آق  
شونقار أذنيه وينظر حيث ذهب الفارسان كأنه يحس شيئا ما.  
ومن حين إلى آخر يخرج لسانه ويلعق شفثيه، ويقعي ويتحرك

من دون صبر.

الجد عيسى ينظر إلى نهر بوريجار، ويطير في السماء طير أسود كأنه يسبح، وتغرد في مكان ما قبرة. في هذا الوقت سمعت أصواتا تطرد، بدأت أقلق، اهتزّ آق شونقار وهو ينظر حيث جاءت الأصوات، والجد عيسى يكاد يسقط عن حماره، وعدّل الجد نفسه بسرعة، ولف زمام الكلب في يده ومسكه بقوة. أما آق شونقار فيضرب الأرض ويحاول أن يجري إلى الأمام.

فجأة خرج الذئب من الدغل القريب من النهر وبدأ يقترب من جهتها، وهو يسرع، أما الأخ قوجقار وعمي باتشاخان فقد تأخرا كثيرا. عندما اقترب الذئب منا صاح الجد عيسى بصوت عال، ولم تبق عندي قوة لأصيح، الحمد لله، سمع الذئب صوت الجد ومال إلى مراعي ياسّي، وصل الفارسان سريعا.

- الحقوا به! من طرف واحد.

لاحقه الفارسان، وأصواتهما كأنها أصوات عشرة أشخاص، أو خمسة عشر شخصا. يلاحقانه في المراعى وهما يصيحان بصوت عال، ابتعد الذئب والفارسان خلفه بسرعة. يكاد الجد يفقد صبره ويقول:

- كان من المفروض مطاردته من طرف واحد.

- ماذا يحدث إذا طاردها من طرف واحد، أيها الشيخ؟

- في هذه الحالة لا يستطيع أن يبتعد ويضيع طريقه ولن

يفادر - قال الجد ووضع كفه على جبينه - لا تستطيع عيوني أن تراه... انظر، هل تراه؟

- نعم، هناك أحد الفارسين قطع طريقه.

- أحسن! الأمر سيكون هكذا .

- رجع إلى المراعي...

- جيد.. الفارسان في أي جهة من الذئب؟

- على يمينه. لماذا تسأل أيها الجد؟

- سأقول فيما بعد .

دار الذئب واقترب من جهتها مرة أخرى. في هذه المرة تمكنت أن أسيطر على نفسي، وبدأت أشاهده من قريب. إنه فعلا يناسب اسمه، «ذو الشعر الأزرق»، وهو فعلا، كان كبيرا جدا مثل الحمار. سمعت عن الذئب كثيرا، ولكن لم أر ذئبا من قريب، ها هو يقترب من مكاننا، وقد أخرج لسانه، ويبتعد هاربا، وهو ينظر إلى الفارسين عن يمينه. في هذه المرة صحت بكل صوتي مع الجد عيسى، ويبدو لي أن ركض الذئب لم يعد خفيفا مثلما كان في البداية، تعب الذئب في رأيي. دار مرة أخرى وهرب من الطريق نفسها. بقي آق شونقار في مكانه مرة أخرى وهو يسعى إليه.

- ألا توجهه إليه، أيها الجد؟

- حتى يتعب تماما - قال الجد وهو يحك ذقنه - ثم ستكون

مهمة آق شونقار سهلة، فربما يجرح آق شونقار.

لما دار الذئب مرة ثالثة، رفع عمي باتشاخان قبعته وهو ينظر إلينا، وفتح الجد عيسى الزمام من طرفه، وخرج الحبل من الحلقة على رقبة كلب الصيد وبقي في يد الجد عيسى، وقفز آق شونقار إلى الأمام، وسرعان ما لحق الذئب ذا الشعر الأزرق، وعضه من مؤخرته، ونظر الذئب إلى الوراء وصاح وواصل جريه



كأن شيئاً لم يحصل، أصبح أنا ويصيح الجد عيسى ونحث حميرنا ونلاحقه.

- والآن انتقلا إلى الجانب الأيسر! تشنجت رقبتة. يقول الجد عيسى وهو يصيح ويحث حماره.

- انتبها، لا تدعاه يهرب! هذا اللعين خطير جدا!

- لن يهرب، قطع آق شونقار رجله الخلفية.

- والآن نطلق عليه رصاصا، أيها الشيخ، أعطني البندقية! أخذ الجد عيسى البندقية وأعطاهها لعمي باتشاخان. عندما صوب عمي البندقية أغلقت عيني من غير إرادة، أطلقت طلقتان متتاليتان، وصاح الذئب صيحة قصيرة وسكت. عندما فتحت عيني وجدت الذئب ذا الشعر الأزرق مغطى بدمه مستلقيا بين الأشجار.

هكذا انتهى عمر الذئب الوحش الذي أقلق الرعاة في مراعي ياسي، وظهert الابتسامة على وجه الجميع، وأخذ الجد عيسى سكينه ليسلخ جلد الذئب ذي الشعر الأزرق.

## أمانة القيامة

### أولئاس عمرييكوف

طلعت الشمس وارتفعت عن الأرض بمقدار قطعة شمام عندما وصل «الأب سرسان باي» إلى وسط المنطقة. الناس في السوق قليلون، ولا يعرف هل سبب ذلك أن الوقت مازال مبكرا أم أن الجو بدأ يبرد ولذلك قل عدد الذين يريدون التسوق؟ ولا توجد الأصوات والضجة المعتادة التي تكون في أيام السوق<sup>(٢٠)</sup>، وفرح الرجل المسن وقال لنفسه: «هذا جيد، لم أتأخر في هذه المرة، والسوق في قمتها».

فكر في هذا وشد لجام جواده، وبدأ الجواد الذي كان يتنفس وأذناه قد تدلتا، يتجه إلى الأسفل في اتجاه النهر وكأنه كان ينتظر هذا الأمر، إنه يعرف هذه الأماكن جيدا مثل صاحبه، ويأتي كل يوم أحد إلى هذا المكان منذ أن كبر ووُضع عليه سرج، وهو يعبر جبال «حصار»، ويتوقف عند «الشاي خانة» المبنية كأنها مؤقتة بجانب جسر خشبي ضيق. وتقام السوق منذ سنوات الحرب - من آخر الخريف إلى بداية الربيع - هنا في هذا المكان قرب النهر الذي توسع نتيجة فيضان السيل توسعا غير منظم. ومن هنا ودّعوا إلى جبهة القتال شبابا اجتمعوا من أطراف مختلفة. والشاي خانة ذات أعمدة بالية خربة علامة من تلك السنوات القلقة.

---

(٢٠) يوم السوق، يوم واحد في نهاية الأسبوع، أي يوم الأحد يخصص للسوق، وهناك مكان خاص يجتمع فيه المشتري والبائع من التجار والحرفيين والفلاحين والمزارعين، ولذلك نجد في اللغة الأوزبكية كلمة يوم السوق تستخدم بمعنى يوم الأحد.

وكان «الأب سرسان باي» يربط جواده بأحد هذه الأعمدة في الأوقات الماضية، أما هو فكان يتجول في السوق أو يجلس في الشاي خانة حتى الظهر، وبعد انتهاء السوق يصلي الظهر ويرجع إلى بيته. ولم يستطع الجواد أن يعتاد على هذا النمط مدة طويلة، وقطع حبله مرة أو مرتين وهرب، وأزعج أهل السوق كلها، ومرة أو مرتين توقف في منتصف الطريق بعناد، ورفض أن يمشي، وضرب بالسوط، أما الآن فقد اعتاد هذا الأمر، وصاحبه لا يربطه بحبل، وأصبح يصل بنفسه إلى العمود ويتوقف عنده وينتظر حتى يترجل صاحبه عنه، ثم يغلق عينيه ويرفع رجلاً من أرجله الأربعة لتريح، ويقف في مكانه من دون حركة.

وفي هذه المرة أيضاً حصل الشيء نفسه، ونزل الأب سرسان باي عن جواده عند العمود ودخل الشاي خانة. وتأوه الجواد ونظر حوله. وتحت الجسر كانت البقرة تلعق عجلها الذي قفّ شعره من البرد، وشعر الجواد بملل من النظر إليها، فتثأب، ثم أغلق عينيه.

جلس الأب سرسان باي بجانب النافذة الكبيرة المكسورة الزجاج، وهذا المكان مخصص له من أول يوم بنيت فيه الشاي خانة، وإن جلس فيه أحد فإنه يتركه عندما يرى «الأب سرسان باي»، ومن خلال هذا المكان يمكن مشاهدة ساحة السوق بشكل جيد، وكل من يعبر الجسر.

- كيف حالك، يا سرسان باي؟ يقول صاحب الشاي خانة وهو يحضر شايا ويسكب له، ويضيف: هل أتيت بجديد؟

- ماذا، هل أنا عبء عليك؟ يرد سرسان باي بخشونة ويقطب حاجبيه النادرين اللذين اصفرًا من الشمس.  
- لا تغضب، أقول هذا وأنا أشفق عليك. لا شيء أسوأ من الانتظار.

لم يرد الأب سرسان باي، كان مزاجه جيدا كأن نيته ستتحقق اليوم، ولكنه غضب من كلام صديقه. وكاد يقول: «ما دخلك أنت بع شايك!» ولكنه امتنع عن ذلك. إن كلام الأخ محمد عمر صحيح، لأن المسكين هذا انتظر ابنه عشر سنوات بعد أن وصلت رسالة تعزية له، وتعذبت زوجته بألم على ابنها من دون رسالة أو خبر، وأصبح هو نفسه نحيفا، وأخيرا أعلن عزاءه، والآن هو مشغول في الشاي خانة.

وما قاله اليوم محمد عمر صحيح أيضا، «أقول هذا وأنا أشفق عليك...» وهل حالته تحتاج إلى الإشفاق، فكر سرسان باي هكذا، وخدش شيء ما قلبه. وارتعشت شفثاه، واهتزت لحيته الصفراء، وتوقف شيء ما في حلقه، وشعر أنه بدأ يرتخي، وصرخ عليه:

- يا أحقق، هل أنتظرك أنت إن انتظرت؟ لا ينتظرك أحد إلا عزرائيل! أين أصبحت معلما فتعلمني؟  
ابتسم محمد عمر وقال:

- لا تغضب! أكاد أتقيا عندما أرى وجهك في كل سوق. أليس من الأفضل لك أن ترعى قطيعك في تلالك أو حقلك؟ ومن يحتاج إليك سيجدك. وطبعاً، أنت تعرف نفسك. وإن أردت فنم هنا. وأنا أقول، حتى لا تموت أنت وحدك في الطريق، يا غبي!

- إن مت سيوجد مسلم يدفني - قال سرسان باي وقد بدأ  
يهداً - الله يحفظني منك، إنك تقصر في عمل الشاي وبالتالي  
قد تقصر من كفني أيضاً.

- قل هكذا! ها هو شاي ساخن صنعته جديداً، فاشرب!  
وسكب محمد عمر من الإبريق شايًا صنعه جديداً، وقدمه له،  
وجلس بجانبه لأن الناس كانوا قليلين.

وسأله سرسان باي جادا وقال:

- هل سمعت شيئاً ما؟

- لم أسمع أي شيء، لو سمعت لأرسلت إليك شخصاً.  
وساد السكوت بينهما. وشعر محمد عمر بعدم الراحة، وشرب  
قليلاً من الشاي، وإن لم يرد ذلك.

- كيف حال «زبيبي» هل هي بخير؟

- جيدة - أجاب سرسان باي ونظر إلى النافذة - اليوم  
رضيت عن ذهابي بصعوبة، علمت أنني سأتي إلى هنا فطردت  
الجواد إلى الحقل في منتصف الليل.

وسأله محمد عمر قلنا وقال:

- هل شتمتها، هل غضبتَ عليها؟

- لا، إنها مسكينة، وضعها صعب، وهل أشتُم الآن؟

- لا تشتمها. ليس لها أحد سواك أنت..

- لن أشتُم، ولكن... فجأة بدأ الأب سرسان باي يضحك.

- ماذا؟ استغرب محمد عمر.

- أنا لا أشتُمها، ولكن لماذا تطرد الجواد؟ إنها تعرف أنني  
سأتي ولو على الأقدام. وعدا ذلك فإن جوادي يجري إليّ عندما

يسمع سعالها، وهي تعرف ذلك، فلماذا تطرد الجواد؟  
- إنها تشفق عليك. قال محمد عمر، وحاول أن يضحك  
أيضا.

- ألا أشفق عليها؟ إني أشفق عليها أيضا، والوحدة سيئة.  
وأنت تعرف هذا. ولكن ماذا أفعل، إنها أمانة القيامة! ولا أريد  
أن أدخل القبر وعليّ دين. وعليها أن تفهم هذا! ثم...  
- السلام عليكم!..

دخل الناس وانقطع الحديث، وقام محمد عمر من مكانه.  
وبعد قليل بدأت ضجة السوق كالعادة، اختلطت صيحات  
الأطفال بخوار الأبقار والعجول وكلمات السماسرة مثل «هيا،  
اتقنا، على البركة»، وأصبح النهر حيا مثل فيضان الربيع، وقد  
ساد فيه السكون قبل قليل.

نظر الأب سرسان باي إلى النافذة من جديد، ومن كثرة  
العابرين كان الجسر يهتز مثل الجمال، وهكذا كان يهتز آنذاك...  
عندما ودّع ابنه، وعندما ودّع حيدر علي.

ولكن في ذلك الوقت كان الناس يتجهون في اتجاه واحد،  
والكثير منهم لم يعبر هذا الجسر مرة أخرى، استشهد بعضهم،  
وضاع الآخر من دون نأ. ولم يكن هناك أي خبر عن ابنه خلال  
نصف سنة، ثم فجأة جاءت رسالة تعزية، وكان يومها في «أوزملي»  
يرعى قطيعه، وكان يرعى الأغنام في الحقل الذي بدأ ينمو فيه  
العشب في الجانب الآخر من النهر، وجلس تحت «قلعة الحجر»  
التي تهدمت وبقيت أسوارها فقط، ويذكر أنه عندما حل الزوال  
أراد أن يتغدى وأخرج من كيسه لُبنة، وسمع صوت امرأة تبكي

بصوت عالٍ في طرف القرية. ويعكس الجبل صوت البكاء، وكان الصدى قوياً جداً، وارتعش الأب سرسان باي، ووقف ونظر إلى الأسفل، كانت هناك امرأة بشعر منكوش جاءت إلى ساحل النهر وهي تخدش وجهها، ولم يعرفها الأب سرسان باي في البداية، وعندما نزل إلى الأسفل قليلاً عرفها من فستانها الأزرق... عرفها وانقبض قلبه.

- زيبى! أنا هنا، يا زيبى! قال واندفع إلى الأسفل.

- لماذا تصرخين، ماذا حدث؟ أمسكها الأب سرسان باي من يديها وهزّها.

- غفور... غفورجان... لم تستطع الخالة زيبى أن تتحدث، وسلمت لزوجها ورقة تمسكها وهي تبكي بصوت عالٍ. رأى الأب سرسان باي ورقة صغيرة زرقاء، وفهم كل شيء. وتسلم الأخ محمد عمر أيضاً عن ابنه رسالة مثلها... لم يقرأ الأب سرسان باي، ووقف في مكانه وتجمدت يداه ورجلاه، أعطاه الله ولداً وحيداً ورآه كثيراً.

وضاع حيدر علي من دون أي خبر عنه ولقد ذهب إلى الجبهة بعد والده بشهر. ودّع ابن صديقه إلى مركز المنطقة، ولم يبق عنده أحد يودعه.

ويوم ذهابه جاء بغنمتين على العربة التي يسحبها الحمار، حين مرت سنة على وصول رسالة تعزية عن غفورجان.

- يا عمي، احفظهما عندك، - قال وهو خجل - كان أبي يحب الغنم، وإن عاد نعمل حفلة العرس... إن لم يكن هناك أي إخراج.

- نعم، يا بنيّ، - قال الأب سرسان باي - سأضعهما مع القطيع، وليس هناك أي إحراج.

عندما ودّع حيدر علي ارتعش قلبه كأنه ودّع ابنه على الجسر.

- في أمان الله، يا بني - ولكيلا يظهر عينيه الدامعتين نظر في كيس وضعت زوجته فيه بعض الأشياء، وقدمه له، خذ، من خالتك.

- شكرا.

- إن كان في إمكانك زر قبر غفور، إنه في ستالينغراد.  
لا يعرف الأب سرسان باي هل سمع حيدر علي كلامه الذي قاله بين أصوات الناس والضجة أم لا، ولكنه رآه يهز رأسه ويقول شيئا ما.

هكذا، مرت أكثر من عشرين سنة. ولم يزر حيدر علي ابنه، ولم يرسل أي خبر عن نفسه، والفنمتان اللتان تركهما عنده تكاثرتا وصار العدد أكثر من أربعين، وربط الأب سرسان باي على عنق كل منها خرقة حمراء لكيلا تختلط مع الأخريات. ولكنه لم يعد، ولا يعرف أحد هل هو حي أم ميت. ولم تبقى أي إدارة هناك لم يذهب إليها الأب سرسان باي، ولم يبق أي أحد هناك لم يسأله عنه، وهل من السهل أن يجد شخصا لا يعرف اسم عائلته، ولا عنوانه؟

- يا سرسان باي، اسمع، لا تذهب إلى أي مكان، ولا تتعب نفسك، نصحه أحد أصدقائه، ثم قال:

- إن عاد الإنسان من جحيم الحرب سليما فهل يأتي إليك



ليطلب منك غنمته اللتين تركهما منذ زمن ١٩ الحمد لله، الآن  
النعم متوافرة، وإن كان هناك أي حاجة للغنم فالسوق مليئة بها،  
ومن الأفضل أن تذهب إلى السوق، وأنت تعرفه، فإذا كان حيا  
وكان هناك ستراه.

وجد سرسان باي هذا الكلام معقولا، ومنذ ذلك الوقت لا  
يترك أي يوم من أيام السوق، وفي الأيام الأخرى يرعى قطيعه  
في التلال والحقول، وفي نهاية الأسبوع يعود إلى بيته. قال له  
الرئيس عدة مرات: «كفى، أيها الأب سرسان باي، إنك اشتغلت  
كثيرا، ربما يكفي، أما الآن فليعمل الشباب!» ولم يسمع الأب  
سرسان باي كلامه، وكيف يستطيع أن يسمع كلامه، وعليه أن  
يرعى أغنام حيدر علي ١٩ ومن يرعى قطيع غيره وهو لا يعرفه؟  
أما الشيوخوخة فيبدو أنها تأخذ حقها... في الماضي كان  
لا يتعب وهو يقف عدة أسابيع على الأقدام، والآن يتعب خلال  
نصف يوم، ويريد أن يجلس. ذات يوم كان يجلس في تلال أوزملي  
بعد أن تعب، وسمع صوت طلقة رصاص من جانب النهر. ونزل  
إلى الأسفل خوفا من أن يطلق أحد الرصاص على الأغنام.

كان تحت شجرة الغنم المشتبكة بشجرة الصنوبر بضعة  
شباب وضعوا زجاجة على حجر كبير، وأخذوا يطلقون الرصاص  
عليها، ورآه أحدهم وقال:

- يا أبي، هل اصطدتم كل طيور الحجل، وملّحتموها؟ لا  
يوجد أي طائر هنا!

- صيد الحجل يكون في الشتاء يا بني. هل أتيتم إلى  
الصيد؟

- نعم، أتينا للصيد، قالوا هنا توجد طيور الحجل.
- نعم، توجد، وهي كثيرة، ولكنها تكون في الشتاء.
- يا أبي! - صاح شاب يجلس تحت شجرة الصنوبر - تعال هنا، واشرب هذا معنا.
- صب الشاب شراباً ملء الكأس وقدمه له.
- لا أشرب يا بني! - قالها الأب سرسان باي وابتسم - لم أشرب أبداً.
- جرب مرة واحدة، ثم نتحدث.
- أصر الشاب وقام إليه متهادياً وقدم كأساً، خذه.
- أنا لا أشرب يا بني - قال سرسان باي ودفع الكأس - قل كل ما تريد وأنا أستمع إليك، ولكنني لا أشرب.
- كفى، لا تجبر الرجل! قال واحد من الذين كانوا يضعون الرصاص في البندقية.
- إذن، سأشرب بنفسي.
- شرب الشاب الكأس ونفخ، ثم قال:
- يا أبي، الصيد هو السبب، فنحن أتينا إلى هنا للاستراحة، بَعِّ واحدة من أغنامك، وسنعمل منها شيئاً ما هنا ثم نغادر.
- أحنى سرسان باي رأسه وسكت، ثم ابتسم بحياء، وقال:
- للأسف، لا أستطيع البيع يا بني، فهذه الأغنام ليست لي، وإذا مررتم بالقرية فستجد الغنم في أي بيت، وأنا أعطيك بنفسي أيضاً، ولكن هذه أمانة، وإلا أعطيتكم بكل سرور!
- هكذا تقول؟
- نعم، هكذا يا بني.

- وما رأيك، نأخذ واحدة بأنفسنا. ابتسم الشاب.  
- لن تفعل هذا، قلت لك إنها أمانة يابني.  
غضب الشاب وقال:  
- يبدو أنك بخيل، ما هي الغنم، هل هي أفضل من الإنسان  
يا «أكبر»؟  
- ماذا تقول؟ - ردّ عليه أحد الشباب.  
- هيا، لنأخذ إحداها ونحضرها هنا، وسنخبر الرئيس  
بأنفسنا.  
بدأ الشباب يتجهون إلى «قلعة الحجر».  
- قفوا - صاح الأب سرسان باي - هل أنتم مسلمون؟ قلت  
لكم إنها ليست لي! وصاحب هذه الأغنام ليس هنا، لقد ضاع  
في الحرب، وأنا أرهاها منذ عشرين سنة... هل لديكم شيء من  
الإنصاف؟  
توقّف الشباب، ثم رجعوا إلى الوراء واحدا واحدا.  
وقال أحدهم:  
- معذرة، لم نعرف ذلك.  
سكت سرسان باي، وتغير وجهه، وارتعشت شفتاه.  
- معذرة يا أبي!  
سكت الأب سرسان باي في هذه المرة أيضا، ثم توجه إلى  
القلعة بخطوات هادئة.  
عندما تحدث عن هذا للأخ محمد عمر، ظل يفكر، ثم قال:  
- لا تغضب، سأقول لك شيئا.  
- ماذا؟

- أعط هذه الأغنام إلى المزرعة التعاونية، وهذا أفضل، ولا تعذب نفسك، ثم ما الفرق بين أن تكون الأغنام عندك أو عند المزرعة التعاونية، هل تأكلها المزرعة التعاونية؟ سترجعها عندما يعود حيدر علي.

ولم يردّ الأب سرسان باي.

ها هو الآن ينظر إلى السوق، ولا تترك نصيحة صديقه هذه خياله، ولكنه لا يعرف ماذا يفعل، وعندما حل الزوال قلّ الناس في السوق، ولم يبق فيها إلا من لم يتمكن من بيع بضائعه ومن جاء للتجول فقط. وضاع المزاج الجيد الذي كان عند الأب سرسان باي من الصباح، وفي هذه المرة أيضا لم يقابل شخصا يشبه حيدر علي.

«هل صحيح أنه مات؟ خاف من هذه الفكرة التي جاءت في باله، لا، لا يمكن أن يكون الموت بهذا القدر. لقد عاد كثير ممن ضاعوا في الحرب، وليس غريبا أن يعود. ولو أراد أن يقيم حفلة العرس لشاركت في حفلته أيضا، ولأقمت حفلة العرس له بنفسه...»

جلس طويلا مستغرقا في مثل هذه الخواطر، حتى انتهت السوق وانتشر الجميع تقريبا، وبدأت تهب رائحة الأرز من المطبخ، أما الرجل المسن فظل في مكانه جالسا لا يتحرك.

- يا سرسان باي!

انتبه الأب سرسان باي إلى نفسه والتفت. وكان الأخ محمد عمر واقفا أمامه.

- كفى الآن، اعمل ما قلت لك، وإلا ستتحف.

ولم يرد الأب سرسان باي، وأخرج «سوما» واحدا من ساق  
حذائه، ووضعه في الصحن، وقام.

- هل تغادر، لقد طبخت الأرز، كل ثم غادر.

- في المرة القادمة!

نزل الأب سرسان باي عن السرير واتجه إلى الباب قائلاً:  
إلى اللقاء.

عندما خرج من الباب رجع كأنما تذكر شيئاً ما .

- كيف لا تفهم أنت أيضاً، يا ترى! أخذت منه بنفسه، وعلي  
أن أرجع له بنفسه ويبيدي.

ولم يرد الأخ محمد عمر، ولما خرج صديقه قال:

- بلغ تحياتي لزيبي!

رفع الجواد أذنيه لما رأى صاحبه، وهز رأسه مرة أو مرتين،  
واقترب من السلم. وركب الأب سرسان باي الجواد بسهولة وأخذ  
لجامه، وذهب الجواد بخطوات واثقة على الطريق المعروف، وكان  
في مشيته أمل مثل ما كان في قلب صاحبه!

## المسألة الحساسة

فرهاد موسى جانوف

منذ عدة سنوات حضر أحد الممثلين الكوميديين الشهيرين إلى مكتب مدير المسرح، وبعد تبادل التحية والسؤال عن الأحوال طرح الموضوع الذي جاء من أجله، وبدأ يقول:

- لقد جئت باقتراح، والاقتراح هو تنظيم مجموعة صغيرة لدى المسرح الذي تشرف عليه، وفي هذه المجموعة نخرج أعمالاً نقدية ساخرة، وننتقد قليلاً بعض النواقص لبعض الأشخاص، التي تحدث أحياناً في حياتنا حتى الآن، ونضحك منها.

نظر المدير إلى الممثل طويلاً، وكأنه يقول: «يا غبي، هل أتيت إليّ بهذا الاقتراح، وهل هذا اقتراح؟»، أما الممثل فجلس وتحمل هذه النظرة، وأخيراً، تحدث المدير وقال:

- حسناً، اقتراحك ليس سيئاً، لكن إذا فكرنا في هذا الموضوع بعمق، فإن للمسألة وجهاً آخر حساساً. ومن الصحيح أن حياتنا ليست خالية من بعض النواقص لبعض الأشخاص، وهي تحدث أحياناً. لكن هل من المعقول أن نفتش عن النواقص الصغيرة، ونزعج الناس؟ إن مهمتنا هي تشجيع الناس على الأعمال العظيمة. وطبعاً، إن الضحكة - خصوصاً الضحكة الخفيفة غير المؤذية - شيء ضروري، لكن هل من الضروري كشف النواقص والنقد لأجل توليد الضحكة... عفواً، لإيجاد

الضحكة؟ ألا يوجد هناك سبب آخر إن أردت أن تضحك؟

وهل من الضروري أن تضحك على النواقص؟

- وعلى ماذا نضحك إذن؟ سأل الممثل مبتسما.

- اضحك على أي شيء، المهم ألا تضحك على النواقص! -

قال المدير وحول الحوار إلى المشاورة - نفترض مثلا أنك تخرج

على خشبة المسرح وتضحك بنفسك ضحكة قوية، وتضحك من

دون أن تتقطع، وسيضحك الآخرون، لأن الضحكة شيء معد.

- ألا تكون ضحكة بلا معنى؟!

- لا تفكر في معنى، إننا لا نريد معنى، بل نريد ضحكة.

- هكذا، إذن؟ ويمكننا أن نفعل مثلما قلت، لكن إذا فكرنا في

هذا الموضوع بعمق، فإن للمسألة وجه آخر حساسا.

- نعم؟ - رجف المدير.

- لا، ليست على درجة الارتجاف، لكن للمسألة وجه حساسا.

حسنا، نفترض، أنني أخرج على خشبة المسرح، وأضحك بنفسي

من دون أي سبب، كما قلت، ومن الممكن، أنه سيضحك البعض،

لأن الضحكة شيء معد، كما قلت. لكن، ماذا إذا فكر كثير من

المشاهدين، «إنه جن؟» وهم يفكرون في «من سمح له بالخروج

إلى خشبة المسرح؟» وربما يقولون إن «مديري المسرح ليسوا

أناسا ذوي مسؤولية». وأقول إنه في هذه الحال سيعود الحديث

إلى النقد.

- إن أخذنا هذا الجانب من الموضوع، وفي الحقيقة، أنه أيضا

سيعود إلى النقد. وماذا، لو فعلنا هكذا؟ نتصور أنك تخرج إلى

خشبة المسرح بكل وقار، وفي ذلك الوقت تتعثر بشيء ما وتقع

على الأرض، وسيضحك الجميع عليك. ذات مرة رأيت بنفسني بهلوانا في السيرك، فعل هكذا وضحكت كثيرا.

- حسنا، ويمكننا أن نعمل مثلما قلت، لكن إذا فكرنا في هذا الموضوع بعمق، فإن للمسألة وجهها حساسا آخر.  
- نعم؟ رجف المدير من جديد.

- لا، ليست على درجة الارتجاف، لكن للمسألة وجهها حساسا. حسنا، نفترض أنني وقعت على الأرض فوق خشبة المسرح، وضحك عليّ غبي أو غبيّان. لكن هناك سيكون رأي آخر عند بعض المشاهدين، وهم يفكرون «لماذا وقع على الأرض، ربما كان هناك مسمار في خشبة المسرح، وليست لديهم صيانة كافية في الوقت المطلوب، إذن، مديرو المسرح ليسوا أناسا ذوي مسؤولية»، وأقول إنه في هذه الحال سيعود الحديث إلى النقد.  
- وإن أخذنا هذا الجانب من الموضوع، وهو أيضا قد يعود إلى النقد - قال المدير- إذن، نفعل هكذا؟ نتصور أنك تخرج على خشبة المسرح، تنظر إلى المشاهدين، وتقطب وجهك من دون سبب.

- هل رأيت في السيرك أيضا؟

- نعم، رأيت في السيرك.

- وهل ضحكت كثيرا؟

- نعم، ضحكت كثيرا.

- حسنا، ويمكننا أن نعمل مثلما قلت، لكن إذا فكرنا في هذا الموضوع بعمق، فهناك للمسألة وجه حساس آخر.  
- نعم؟ رجف المدير مرة أخرى.



- لا، ليست على درجة الارتجاف، لكن للمسألة وجهها حساسا .  
حسنا، نفترض، أنني أقطب وجهي من دون أي سبب، صحيح  
قد يضحك البعض، أما الآخرون فيفكرون «لماذا يقطب هذا  
الممثل وجهه؟ وهو يخاف أن يضحك على بعض النواقص لبعض  
الناس مما يحدث أحيانا في حياتنا، لذلك هو يقطب وجهه»، ألا  
يفكرون هكذا؟ وأقول، إذن، إنه في هذه الحال سيعود الحديث  
إلى النقد أيضا .

- إن أخذنا هذا الجانب من الموضوع، وفي الحقيقة، إنه  
أيضا سيعود إلى النقد، كيف يمكن توليد ... معذرة ... إيجاد  
الضحكة؟ إنها مسألة حساسة جدا!

فجأة مال المدير إلى الأمام، وهمس في أذن الممثل وقال:  
- اسمع، لا تفكر في أن هذا الشخص يكره النقد جدا،  
وإنني لا أفكر في نفسي، وأنت تعرف، يحضر إلى المسرح أناس  
مختلفون، وليس جميعهم يحبون النقد .

ومال الممثل أيضا إلى الأمام، وهمس في أذن المدير، وقال:  
- إن للذين لا يحبون النقد عيبا ما، ولذلك السبب يكرهون  
النقد خوفا من كشف عيوبهم .

- نعم، أحسنت - فرح المدير - إذن، هل من الضروري، أن  
نفتش عن نواقص بسيطة في حياتنا الزاهية والمزدهرة؟  
- حسنا، وماذا نفعل ببعض الأشخاص الذين لديهم بعض  
نواقص تحدث أحيانا في حياتنا؟ سأل الممثل .

- ولا يهمك، يا صديقي، نقوم بالنقد القوي لهؤلاء الأشخاص  
ذوي بعض النواقص التي تحدث في حياتنا أحيانا، عندما تكشف

نواقصهم، نعم، عندئذ، سنقوم بالنقد القوي، من دون خوف أو رحمة.

ونظر الممثل الكوميدي إلى وجه المدير، وابتسم، وخرج من المكتب، وشك المدير في قلبه، وأسرع، وخرج وراء الممثل.

- قف، ولماذا تبتسم؟ سأله المدير.

أما الممثل فابتسم ابتسامة واسعة في هذه المرة أيضا. وخلق المدير وسأله:

- لماذا تبتسم، ويشبه وجهك وجه الرأس المخروق؟

وضحك الممثل الكوميدي ضحكة قوية.

- ولماذا تضحك عليّ؟ سأله المدير وهو يرتعش.

- يضحك الإنسان متى أراد أن يضحك، وهل يمكن خنق

الضحكة؟ أجاب الممثل الكوميدي.



## الوليمة

### أوتكير هاشيموف

مضى أكثر من شهر على انتقال البروفيسور عابد رسوليفيتش إلى حي جديد. ذات يوم في الصباح الباكر قبل طلوع الشمس دق جرس الباب فلبس البروفيسور ثوبه وفتح الباب، ورأى هناك جاره خالق تجنك واقفاً:

- يا أستاذ، هل ينام الإنسان حتى الظهر؟ سأله الجار صائحاً، وقال: استعد بسرعة، لنذهب!

تعود عابد رسوليفيتش أن يعمل في الليل، لذلك ينزعج من النهوض باكراً.

- إلى أين؟ سأله متردداً.

- كيف «إلى أين»، إلى الوليمة! هناك أرز بخاري! وشرح خالق تجنك ملوحاً يده كأنه يقول: «ألا تعرف هذا؟»، ثم قال:

- إن نسيب شاكروغوغ يقيم حفلة بمناسبة ختان ابن أخ له، استعد بسرعة، هناك باص جاهز ينتظرنا.

أراد البروفيسور أن يسأل من هو شاكروغوغ؟ ومن هو نسيبه؟ لكنه خجل أن يعترض على رأي جاره، فهو جار له على كل حال، ويراه دائماً، وعدا ذلك فلقبه تجنك<sup>(٢١)</sup>.

وذهبا يمشيان، أحدهما طويل القامة، والآخر قصير القامة، وفي الطريق طرق خالق تجنك أبواب ستة بيوت، وأيقظ الناس،

---

(٢١) تجنك: في اللغة الأوزبكية «غاضب»، «زعلان».

وفي الحقيقة كان هناك باص ينتظرهم أمام «الشاي خانة»، وبدأ الصبح ينبج عندما وصلوا من حي «أكتوبر» إلى حي «قويلىق». وعندما خرجوا إلى الشارع بعد تناول الأرز البخاري أنارت الدنيا تماما.

- أما الطباخ فقد طبخ الأرز بشكل رائع، أحسن! مدح خالق تجنك الطباخ من صميم قلبه، شكرا له!  
ثم توجه إلى البروفيسور فسأله:

- ربما أنك تذهب إلى العمل، حسنا، أريد أن أصافح يدك التي أكلت بها الأرز، وأنا سأكون في «الشاي خانة».. ما رأيك، إن وجدت أكلة شعبية، مثلا، مثل «المضغوط»؟  
- لا، لا، شكرا، اعترض البروفيسور مسرعا، وهز رأسه وقال: استمتعوا بأنفسكم...

يعمل خالق تجنك حارسا في إحدى الأسواق، يداوم يوما ويستريح يومين، ويقضي وقته في راحة واطمئنان.

وصافح خالق تجنك البروفيسور وقال:

- حسنا، إذن! لعلك تأتي إلى «الشاي خانة»، نحن ممن يحملون التابوت يا أستاذ!

- طبعاً، طبعاً، خجل عابد رسوليفيتش، وهز رأسه ومشى في طريقه. وأوجعه رأسه طوال النهار بسبب عدم تعوده النهوض في الصباح الباكر... وفي مساء اليوم نفسه كان اجتماع المجلس العلمي، وطال الاجتماع بسبب كثرة مسأله، واستمر حتى منتصف الليل، وعاد البروفيسور إلى البيت وتناول كوبا من الشاي فقط، ثم خلد للنوم.

ولم يعرف كم استغرق نومه، فقد طرق الباب أقوى من أمس، ونظر البروفيسور في خوف إلى ساعته، وكانت الساعة الخامسة والنصف، وأسرع الزوج والزوجة إلى الباب، فوجدا خالق تجنك واقفا أمام الباب.

- يا أستاذ، هل وُلدت في سنة النوم، وتحت برج الوسادة، ما هذا؟ - قال وهو يمزح - شارك الناس، وهذا أفضل، أو تمام مثل قطعة بجانب الفرن الهولندي؟

نظر البروفيسور إلى جاره مستفسرا وقال:

- هل هناك وليمة أيضا في هذا اليوم؟

- نعم! هناك حسين باي من حي يونس آباد، ولزوجته ابن اسمه نارطاي...

- أي نارطاي؟ قاطعه البروفيسور.

- كيف لا تعرف؟ هو خادم في حمام قاره طاش، أنجبت زوجته توأمين ثلاث مرات... ونكح زوجته من جديد وفق الشريعة!

وقال البروفيسور «نعم، نعم» ولو أنه لا يعرف أي شيء.

- نعم، بارك الله فيك، فرح خالق تجنك، وقال: وهذا النارطاي، ولو كان في عينه عيب، فإنه رجل يعرف عين الأمور جيدا... وهو يقيم حفلة واحدة في ثلاث مناسبات، فقد عرفت أن هناك مناسبة العيد الفضي لزواج والديه، وزواج أخت أرملة لزوجته، وكذلك حفلة ختان ابنه المتوسط. هيا، استعد بسرعة، هيا! يا إلهي أنت نائم حتى الآن؟!

لم يأكل البروفيسور أرزا في الوليمة هذا اليوم، بل أكله الأرزا! وكانت في اليوم نفسه مناقشة لرسالة دكتوراه، وكان البروفيسور

محكما رئيسيا فيها، لذا قرأ الرسالة من جديد طوال اليوم، وعندما عاد إلى بيته تصفح بعض الكتب إلى وقت متأخر في الليل، ونام نحو الساعة الثانية صباحا.

لا يعرف كم من الوقت نام، فقد طُرق الباب بشدة، وفتح عابد رسوليفيتش الباب، وهو لا يستعجل في هذه المرة.

- وماذا أيضا، يا ملا خالق؟ سأله بصوت بارد.

- يا أستاذ، يا لك من إنسان نائم؟! فهل أنجبتك والدتك مع الوسادة؟ استعد بسرعة. فإن الجزار قوجقار يقيم وليمة العشرينية لزوجته المرحومة، رحمها الله، ولقد كانت امرأة جميلة، حُشرت عظمة في حلقها وماتت، وربما كان هذا تصديقا لما يقال من أن البلاء يقع بين الجفن والحاجب.

- اسمع، أنا لا أعرف من هو الجزار قوجقار! قال البروفيسور غاضبا.

- إذا كنت أنت لا تعرفه، فنحن نعرفه، ونشارك معه في الولايم منذ عشرين سنة، وقد انتقل إلى حي الشرقي - الشمالي، وعلى الرغم من ذلك جاء إلينا ودعانا إلى الوليمة. وعليك أن تشارك مع أهل الحي، استعد بسرعة، ثم هناك في أرز الجزار لحم الخيل أيضا.

في هذا اليوم وقع البروفيسور في حالة حرجة جدا أمام زملائه الذين يعملون تحت رئاسته، فقد عقد البروفيسور اجتماعا، وفي الساعة الثانية - أي في وقت الغداء - أكل قليلا من الطعام، ووضع رأسه على الطاولة، ولا يعرف كيف أخذه النوم، واستيقظ على أصوات هادئة لسعال زملائه الموجه إليه.

ونظر إلى ساعته، لقد نام أربعين دقيقة.  
عاد إلى بيته وقال لزوجته مصرًا:  
- غدا أنا غير موجود، لقد ذهبت في مأمرية.  
وأراد أن ينام وأن يستغرق في النوم، لكن لم يحصل ذلك، فقد  
استيقظ على ضجة صوت خالق تجنك.  
- هذا عيب، أيتها الكنة! هذا عيب! عليه أن يشارك مع أهل  
الحي. رأيته بنفسه، لقد كان يجلس ويعمل في غرفته في الليل،  
ادعيه!  
ولم يستطع عابد رسوليفيتش الذي حُرِم من نومه تحمل  
الوضع فخرج.  
- نعم، ها هو! فرح خالق تجنك، أنا أرى الشارع من داخل  
داري، إن لم يكن هناك جدار يمنع الرؤية أيتها الكنة.  
ودخلت زوجته إلى البيت، وهي غاضبة، وكأنها تقول: «لماذا  
جعلتني أكذب؟».  
- أما الحلاق رسول فهو إنسان حسن التعامل، قال خالق  
تجنك وهو يهز رأسه - جاء إلينا خصيصا ليدعونا إلى وليمة  
العرس، رغم أنه انتقل من هنا إلى محافظة جزاخ<sup>(٢٢)</sup>، وليس لهذا  
الرجل المسكين ابن، وله تسع بنات، والآن تتزوج ابنته الصغيرة  
التي تدرس في معهد التجارة، وقيم وليمة بمناسبة زواج ابنته  
الصغيرة هذه، وهو يقول: «إني حضرت حفلات، وأكلت ولائم  
لأهل البلاد، وعليّ أن أدعو الناس وأن أقدم الوليمة»، هيا،  
استعد بسرعة!

(٢٢) محافظة تقع على بعد ٢٠٠ كلم من طشقند.



- ألف شكر، قال البروفيسور ووضع يده على صدره بحركة قاطعة، كفاني، وأرجو ألا تزعجني قبل أن تهض القُبْرَة. وأغلق الباب بقوة.

- يا أخي، إن كنت بروفيسورا فهذا لنفسك! - صاح خالق تجنك - واعلم: نحن ممن يحملون التابوت، ولا تنس أن أهل الحي هم الذين سيحملون تابوتك إن مت! ودخل البروفيسور إلى البيت بخطوات سريعة، وتأوه.

وفي هذا اليوم رجع خالق تجنك من جراح قبيل الظهر وكان لديه يوم إجازة، ولذا ذهب إلى «الشاي خانة» مباشرة.

- إن بروفيسوركم هذا ليس إنسانا، يقول ويلوح بيده بشدة، ... أردته أن يكون إنسانا، أن يشارك مع أهل الحي، أما هو فأغلق الباب في وجهي، سألف «الناصر» بأوراق كتابك الذي كتبه، كنت أشعر بأنه لا يعرف حسن التصرف! أقم حفلة، وقدم وليمة للناس وأهل الحي، أين أنت؟ أليست لك إمكانية؟ مضى أربعون يوما إلا يومين على انتقاله إلى حينا، ولم يعمل وليمة! وربما لا يكون له أولاد، وزوجته أصغر منه بخمس عشرة سنة على الأقل.

أخذ خالق تجنك يثرثر من دون انقطاع، أما البروفيسور في هذا الوقت فقد كان يفحص نتائج الاختراع الجديد في المختبر... ويفكر في الفائدة التي سوف تعود على الشعب إذا ما أنجز هذا العمل.

١٩٧٩م.

## الثلج الأبيض

### آمان مختار

السما غطّتها السحب ، ونزل الثلج، الثلج الأبيض اللين...  
تخيّل العجوز فراشا وهي تعتمد على السرير. الرجل المسن  
أمام النافذة، يجلس منحنيا، وعلى وجهه آثار إرهاب الشيخوخة،  
وفي أحضان طفلة صغيرة ذات شعر مجعد. تنظر الطفلة إلى  
الخارج وهي تضع كفيها على زجاج النافذة الباردة. يهزها الرجل  
المسن مرة إلى الأمام ومرة إلى الخلف، ويصدر صوتا أجش.  
وتتظر العجوز إليهما من حين إلى آخر، ولا تدري هل يضحك  
زوجها أم يسعل.

يضحك العجوز، وعندما يضحك يختق ويسعل. وتشغله  
الخواطر البعيدة وهو يحدق في حبات الثلج.



كانت السماء كثيرة السحب، وفي الجو رطوبة آنذاك، وكان  
الثلج الأبيض اللين ينزل بكثافة...

عاد الرجل المسن الأب نعمان خان من المحطة إلى البيت،  
وقد ظهرت آثار الفحم على أطراف معطفه وشاربه وحاجبيه،  
وهو نشيط على الرغم من كبر سنه. فتح الباب ودخل الممر شبه  
المظلم، ومسح الثلج عن كتفيه، وخلع قبعته ونفض الثلج عنها.  
لا أحد يوجد في الحجرة. زوجته في العمل.  
وضع الأب نعمان خان إبريقا نحاسيا على الفرن الحديدي

وبدأ يشعل النار . بعد لحظة غلى الشاي . على الطاولة كأس وإبريق للشاي وسفرة ملفوفة . صنع العجوز شايا ، وفتح السفرة . في السفرة قطع خبز ، ونصف رغيف أسود . جمع قطع الخبز ووضعها في فمه وشرب قليلا من الشاي .

كان للعجوز ابنان ، توفي أحدهما في صغره . أما الثاني فذهب إلى الحرب عندما طرّ شاريه . ها هي عدة أشهر تمرّ بلا رسالة ولا خبر منه ، خلاصة الكلام : دون أي نبأ .

تذكر الأب نعمان ابنه وتأوه . سمع البوابة تفتح ، وألقى نظرة إلى الفناء عبر النافذة . تمشي ميرم بنت الجار على الثلج بخطوات قصيرة . فتح الباب وأدخلت ميرم رأسها المغطى بشال صوفي وقالت :

- يا عمي ، أنا جئت ... عيونها مرهقة ، أبيض لون وجهها ، ولسبب ما ترتعش شفاتها قليلا .

- تفضلي يا ابنتي . قال العجوز . تقرأ هذه البنت الرسائل التي تصل من ابنه كل مرة ، وهما يتذكران الشاب البطل . بدأ قلب العجوز يقلق عندما ظهرت البنت التي لم تأت منذ زمن : «بأي خبر جاءت ، يا ترى؟» رأى وجه البنت وارتجف قلبه قليلا ... لكن من يعرف حالة العجوز إلا هو؟

- هل أنت مريضة يا ابنتي؟ إن وجهك ... سألها العجوز وكأن يدا قاسية تقبض على قلبه .

- نعم ، تعبت قليلا ، قالت ميرم .

«إنها تكذب» ، فكر العجوز وقال للبنت : خذي ، خذي خبزا . أخذت ميرم قطعة خبز وبدأت تعضها .

- هل أمورك في المحطة جيدة يا عمي؟ سألت البنت وهي تجبر نفسها على التجاهر.

- نعم، نعم... جيدة. قال العجوز، «هناك شيء تخفيه هذه البنت»، جاءت فكرة مزعجة على بال العجوز.

- يقول أبي إن عمك مثل الشاب، مازال قويا. وأنا أفرح عندما يقول هكذا... أرادت أن تبتسم، لكن ارتعشت شفتاها، وهزت رأسها وظهرت قطرة دمع في عيناها.

- قولي، ماذا حدث؟ همس العجوز بهدوء.

- لا شيء، يا عمي، لا شيء. إني...

- قولي! قال العجوز بصوت يشبه صوت أولاد يطلبون بإصرار شيئا ما. حاجباه الكثيفان ينزلان على عينيه، وتشتعل عيناه مثل النار...

- لا شيء.. تسلمت رسالة. بدأت البنت تتكلم، وأحسنت أنه لا يمكن ألا ترد على هذه العيون، ربما أنه خطأ! لم أصدق...

- إنها الحقيقة! صاح الأب نعمان خان بألم باطني. وانحنى رأسه الثقيل الأشيب. بللت ميرم قطعة قماش ووضعتها على جبين العجوز، وساعدته ليستلقي في الفراش. ويرقد العجوز مستلقيا في فراشه بجانب المدفأة وعيناه شبه مغلقتين ويهمس بشيء ما. - حسنا، أنا ذاهبة. قالت ميرم وهي قلقة، تفكر في شيء ما، ربما هذا خطأ، لم أصدق. كتبوا رسالة... ربما خطأ. كأنها تتكلم لنفسها.

يسكت العجوز. اتجهت ميرم إلى الباب، ووقفت عند العتبة، التفتت إلى الخلف ونظرت إلى العجوز، وبكت بكاء واضحا

وهي تعتمد على إطار الباب. تحرك الأب نعمان خان بصعوبة وجلس.

- إنه خطأ! قال بهدوء. رفعت ميرم رأسها حيرى ونظرت إليه. يتحامل العجوز ويبتسم وكأن شيئاً لم يحصل. ولم تشعر ميرم بالابتسامة المصطنعة على وجه العجوز. أعرف، يا ابنتي أنه خطأ... كنت مريضا أيضا، وحدث مثل هذا. سنرى، سيصل سريعا، وسننسى هذه الأيام يا ابنتي...

رفعت ميرم رأسها. مسحت دموعها بشالها الصوفي، ومشت بخطوات قصيرة وخرجت من الفناء. وقف الأب نعمان خان، أخذ معطفه ولبس حذاءه واتجه إلى الشارع. ماذا سيفعل الآن؟ فيمن يفكر؟ وينتظر من؟ لا، لا!

الطرق غطاها الثلج الكثيف. عليها آثار مختلفة كبيرة وصغيرة، متجهة إلى اليمين وإلى اليسار وإلى الأمام... آثار ناس يجتهدون لكي يتخلصوا من آلام عظيمة تعصر قلوبهم...

دار العجوز في السوق مرة. أمام المخبز أناس كثيرون. جرحى يستندون على العصي، ونساء وأولاد، هنا يسيطر السكون الثقيل أحيانا، وترتفع الضجة أحيانا. ويشبه وجه البائع النحيف بلا لون قطعة خشب، وهو يعمل من دون توقف..

يمشي ولد، معطفه ممزق وعظم وجهه خشن، من هنا إلى هنا، وينظر إلى الناس حيناً، وينظر إلى البائع حيناً آخر. ماذا يريد هذا الولد، يا ترى؟

أحنى العجوز رأسه وابتعد عن المخبز. ورأى في بداية الشارع نساء اجتمعن لبيعن أشياء مختلفة، وتوجه إلى بيته. لقي في الطريق ولدا ذا معطف ممزق، وعرفه، لقد رآه بجانب المخبز. جلس الولد تحت التلال، أغلق عينيه وارتجف جسمه من البرد، اقترب الأب نعمان خان منه وسأله:

- لماذا تجلس هنا يا بني؟

- زوج أمي... طردني... لا يعطيني خبزا، ويضرب أمي. طردني... أنا أشعر بالبرد يا عمي.

ضغط على قلب الأب نعمان خان حجر أثقل مما كان فيه. أما العجوز فرمى هذه الأحجار التي كانت ثقيلة.

- تعال يا بني، لنذهب إلى بيتي.

رفعه الأب نعمان خان، ووضعه على كتفه على الرغم من أن الولد كان كبيرا، وذهب به إلى بيته. وأجلسه على الفراش بجانب المدفأة، وفتح سفرة وقال:

- خذ، يا بني، خذ!

ومدّ الولد يده الصغيرة الحمراء التي تجمدت من البرد، مدها إلى الخبز، وبدأ يعضه مسرعا. خرج الأب نعمان خان إلى الدهليز وعاد بقبعة ابنه. خلع طاقيه الولد البالية ورمها في الركن وألبسه القبعة. وينظر الولد الذي غطت القبعة أذنيه بحب وحيرة، وتشغل علامات السعادة والسرور في عينيه البسيطتين الصافيتين. لم يستطع العجوز أن يسيطر على نفسه أمام وجه الولد السعيد. أخذه في أحضانه، وسقطت الدموع من عينيه...

مرت السنوات. كبر الولد، وتزوج. وأصبح العجوز ذا حفيد...  
مرت السنوات وبعد هذا انتصر الناس على الآلام مرات كثيرة،  
ووجدوا سعادتهم وفرحتهم.  
وبعد هذا نزل الثلج الأبيض اللين على صدر الأرض الحار.

## الدنيا العجيبة

### طاهر مليك

بدأ وجه السماء يتغير بعد أن أسقطت نجومها مثل الدموع، وقد استمعت إلى الناس يبثونها همومهم وشكاواهم طوال الليل، وبقيت في السماء نجمة وحيدة كأنها تقول: «سأرى كيف ستكون أحوال هؤلاء المساكين اليوم!» وكان ييغيت علي يحدق في هذه النجمة، وإلى جانبه ينام ولداه، وكانت زوجته نائمة على الجانب الآخر من الفراش، وهؤلاء سيستيقظون أيضا بعد قليل، وستذهب زوجته مع ابنه الصغير لحصاد القمح، ويذهب ابنه الأكبر ليعمل في بيت وكيل المزرعة، أما هو فسيضع كيسا فارغا على كتفه ويمشي على رجله الخشبية ليرعى القطيع، وهكذا تظل الدار خالية حتى يخيم الظلام.

لقد أوصاه الطبيب محذرا: «لا تمش على الرجل الخشبية!» لو عرف أنه سيعمل راعيا عندما يعود إلى قريته لما قال ذلك... ومن يعمل الآن مُتَكِنًا على جنبه! كل الناس يعملون واقفين على أرجلهم، ولحسن الحظ فإن هناك ليلا يمكن الرقود ومد الأرجل فيه، وإلا لما عرف ظهر الإنسان فراشا، ولندمت الرجل على أنها كانت رجلا! ولم يعرف ييغيت علي بالضبط هل استيقظ من نومه بسبب الألم الشديد في رجله المقطوعة، أم أنه خاف من حلمه... ولمس رجله المقطوعة من الركبة بهدوء، وتذكر حلمه: هناك جثث ثلاثة أولاد في نعش، وكان كل منهم نحيفا، كانوا جلدا على عظم،



وقد ماتوا جميعا من الجوع، وفوق جثث الموتى يقف رمضان، صديقه الذي كان يشاركه رغيف الخبز في الحرب، وكان ينظر إليه غاضبا وهو يقول: «إنك لم ترع أولادي، وها أنا الآن أخذهم معي!» أما بيغيت علي فيسأله: «هل... هل أنت... هل استشهدت؟» ولم يرد رمضان، وقام أولاده الثلاثة ووقفوا في النعش وحضنوا أباهم، وابتعد رمضان في هذه الحال، وأراد بيغيت علي أن يوقفه، ولكنه لا يستطيع أن يمشي.

كان هذا حلمه، أما جثث الأولاد الثلاثة فقد رآها في الواقع عندما كان راجعا أمس وهو يقود القطيع؛ كانت امرأتان ورجل يحملون ثلاثة موتى على النعش إلى المقبرة، والرجل هو قمبر الأعرج، كلفه أهل القرية وظيفه اللحد، قال إنه لا يعرف حفر القبور، ولكنهم أجبروه!

هل الوقت وقت حفر القبور وغسل الموتى وتكفينهم وفق القواعد الشرعية؟! يكفي أن يُكفن الميت بما وُجد، ثم يُدفن في الحفرة، المهم ألا يقع التراب على وجهه عند دفنه، وألا تتبش الكلاب قبره وتاكل جثته!

وإذا ما استثنينا العرج، فإن الرجل السليم في القرية هو هذا القمير، أما الرئيس فهو لا يُحسب؛ إنه ليس إنسانا بل هو رئيس! وهو أعلى من العباد، كأنه إله في هذا المكان، إلا أنه لا يُسجد له ولا يُصلّى، وهذا ما يفرق بينه وبين الإله، فكل ما يقوله قانون، وكلامه أمر واجب!

إن الله رحمن رحيم، يغفر لعباده الذنوب ويرحمهم، وأما هذا الرئيس فهو لا يرحم أحدا، ولا يسامح، ولهذا يخافه كل أهل

القرية، وكل المسؤولين يخافونه، طبعاً، يخافونه، وإلا لأرسلوه إلى الحرب مع الآخرين... فهل بعد هذا تستطيع أن تقول له: «يا ابن آدم» وأنت ترى أحوال الرجال في القرية، ذهب سبعة وخمسون رجلاً إلى الحرب، ولم يعد إلا اثنان منهم فقط، أحدهما بلا رجل، والثاني أعمى، ومن العيب أن تعمل النساء لحادات فيساعدن قمبر الأعرج، أو يكن غسالات للموتى، لا...

وخلاصة الكلام، أخذ قمبر الأعرج على عاتقه وظيفة لحاد وغسال موتى، وهو الآن يحمل النعش من الأمام، ويمشي ويعرج، والمرأتان تمسكان النعش من قبضتيه الجانبيتين، ومع كل خطوة يخطوها قمبر الأعرج يتمايل النعش من جانب إلى آخر، وهذا يتعب المرأتين.

وضعوا النعش على الأرض عندما رأوا بيغيت علي، وجلست المرأتان على جانبي النعش، واقترب قمبر الأعرج من بيغيت علي، وسلم عليه، وقال:

- دعونا من حصاد القمح، انظر، لقد توفي الأولاد الثلاثة في وقت واحد.

وسأل بيغيت علي:

- ولمن هؤلاء الأولاد؟

أصبح بيغيت علي صابراً متجلداً، فكثيراً ما رأى الموتى والقتلى في ساحات القتال والمعركة، ولكنه غضب - وكأن شيئاً ما وقف في حلقه - لما رأى الأولاد الموتى الممددين على النعش، وقد غطوهم بأغطية بالية... لا بأس لو كان هذا في وقت الحرب، ولا بأس إن قُتلوا من قبلة، أو ماتوا في الحصار! ولكن الآن؟...

لقد مرت سنة على انتهاء الحرب، وكيف يتحمل الإنسان موت أولاد صغار من الجوع؟ هل كان يتصور مثل هذا الوضع عندما دخل النار، وعندما رقد على وجهه على الثلج؟ إن الجوع والفقر هما من الثمرات المرة لشجرة الحرب، إذن لم تُمَتَّ هذه الشجرة بعد، وسوف يذوقون من ثمراتها كثيرا .

- أحدهم، وهو المغطى بالمنديل المرقع، ابن زبي، زوجة ساتوالدي، أتذكره؟ لقد ذهب قبلك... كان هذا الولد المسكين ذكرى من زوجها، ولكنها لم تتمكن من المحافظة عليه! أما الثاني فهو ابن حليلة، زوجة ايشقوزي، وهي أول امرأة في القرية تسلمت رسالة تعزية، وها هي الآن تسلم ولدها الثاني للخالق.

- ولمن الآخر؟

- إنه ابن ظريفة زوجة شاديواي.

ربما ظن قمبر أن بيغيت علي لما غاب في جبهات الحرب أربع سنوات نسي الجميع، ولذلك فهو عندما يتحدث عن أحد، كان يصفه موضحا بمثل هذا الشرح!

- وأين ظريفة نفسها؟ سأل بيغيت علي مستغريا .

- حرارتها مرتفعة، وقد أغشي عليها، وهي لا تدرك ما يجري

حولها، حتى أنها لم تعرف أن ولدها مات!

امتلا فم قمبر بالريق فبصقه وبصق الناص، ثم مسح فمه بمنديل كان يضعه على رقبته، وقال:

- انصب العذاب كله على الأولاد، يا لهم من مساكين لم يروا

في الدنيا إلا عذابا، ولا بأس إن كفنهم بكفن نظيف.

- لماذا لم يقولوا هذا والأولاد جياع بهذا القدر؟  
- يقولون لمن، للرئيس؟! بدلا من أن تقول شيئا للرئيس، اطلب من الخالق أن يزيد إيمانك ويقويه، فهو الذي سيعطيك ويرزقك، أما الرئيس فتعرفه! في الحقيقة، عليك أن تكون أنت الرئيس، وفي مزرعة «كومونيزم» التعاونية انتخبوا رئيسا جديدا، إنه بائيسوف، هل سمعت عنه؟ مُنح وساما واحدا، وأهل قريتنا يفكرون في هذا الموضوع، وأنت لديك وسامان، وعليك أن تكون رئيسا!

- لا تحاول إثارة الفتن النائمة، لم يمنحوني وساما لأكون رئيسا، ولا أستطيع أن أكون رئيسا، ومن الأفضل أن نسأل الرئيس أن يخصص لنا يومي عمل، نحصد فيهما القمح ونأخذه لأنفسنا لتخفيف هم الغذاء!

وهز قمبر رأسه لما سمع هذا الكلام، وقال:

- لا أعرف... أمس ضرب الرئيس المزارعة كولجهان في التلال بسوطه، وسبب ذلك أن ولدها حصل على «إكرامية» ثلاثة أيام متتالية، ويقول الغبي: «إنك تسجلين» «إكراميات» الآخرين لابنك، مستغلة منصبك، لأنك مسؤولة الفرقة!» ابن هذا لا يسمع كلامنا، ولا توجد عدالة ولا مروءة عند الناس، رأى أحد الحساد أن كولجهان أصبحت غنية، فاتهمها ووشى بها عند الرئيس، أما المسكينة كولجهان فهي لم تعمل أي شيء «لإكرامية» ابنها كأنها توقعحت حدوث شيء ما... وأنت تريد أن تطلب العدالة من هذا الرئيس! من الأفضل أن نذهب لتساعدنا، سيخيم الظلام بعد قليل، وسندفنهم نحن -

الأعرجين - معا، لو بقيت وحدي سأدفنهم في قبر واحد، هيا بنا، ستساعدنا ونحضر لكل منهم قبرا مستقلا، ليرتاحوا في قبورهم على الأقل، هيا بنا.

سيعود القطيع ويمشي في طريق القرية، ولا خطر عليه هنا، وكل خروف يعرف بيت أصحابه.

وأعطى بيغيت علي عصاه لزيبي، ووقف وراء النعش.

مشت المرأتان صامتتين، فليس لديهما قوة للبكاء، ولا دموع في عيونهما؛ جفت الدموع في عيون النساء من كثرة ما بكين على أزواجهن وأبنائهن وإخوانهن، ومن كثرة مشاركتهن وبكائهن في عزاء الأخريات... كان صمتهما يزيد من عذاب بيغيت علي أكثر فأكثر، لو بكتا بكاء شديدا لما عذبت وفاة هؤلاء الأولاد قلب بيغيت علي... لقد رأى في حلمه الليلة ما رآه أمس في يقظته، وبدا له أن هؤلاء الأولاد هم أولاد صديقه رمضان الذي كان يعتمد عليه.



ظل بيغيت علي مستلقيا مدة طويلة وهو ينظر إلى النجمة في السماء، وكأن الألم في رجله قد خف قليلا، وجاء صوت صهيل حصان في مكان قريب، ثم سمع صوت أقدامه... من يكون هذا يا ترى؟ استند بيغيت علي على ذراعه ونظر إلى طرف الشارع، وتوقف فارس أمام بيته.

- أمازلت راقدا في الغفلة؟

«إنه الرئيس! هل خرج الثعبان من بيته؟ ولماذا يتسكع هكذا في الصباح الباكر؟»، قام بيغيت علي ووقف وهو يفكر في هذه

الخواطر، وأخذ عصا صنعها ابنه من شجرة الصفصاف، واستند عليها وذهب إلى جانب الرئيس حاجلا.

- ماذا تعني بالغفلة يا رئيس، لم ينقشع الظلام بعد.

- هل سمعت أنهم انتخبوا رئيسا جديدا لمزرعة كومونيزم؟

- سمعت! قالها بيغيت علي مبتسما، وفكر وقال في نفسه:

«هذا الذي تقصده»! أخبره الآخرون أن جنديا شارك في الحرب أصبح رئيسا قبل أن يخبره قمبر الأعرج، ربما وصل الحديث إلى آذان الرئيس بشكل أو آخر.

- يا أنت! أنت الذي يريد أن يكون رئيسا؟

- هل أفسدت هذه الفكرة عليك نومك؟ إن قلقك لا أساس

له! ابق في وظيفتك! ولست جائعا كي أحلم بسوق الخبز! يكفيني

أن أعيش بلقمة حلال، فلا تتعب نفسك بهذا الكلام، ولا تعكر

مزاجي! اذهب، يا ولد، ولا تتلفت في طريقك!

قال له بيغيت علي «يا ولد» عن عمد، لأن الرئيس لم يحترمه

عندما خاطبه بعبارة «يا أنت!» على الرغم من أنه يكبره بأربع أو

خمس سنوات، وقد أزعج هذا التصرف بيغيت علي، ولكنه سكت

من باب الأدب، أما الآن، عندما حان وقته، فقد ذكره أنه أكبر

منه سنا، وانبسط بعد أن قال له هذا الكلام! ومن الطبيعي أن

هذا التكبر لم يعجب الرئيس، فقد أراد أن يضغط على بيغيت

علي وإن علم أنه ليست لديه رغبة في إشغال وظيفة الرئيس.

- وعلى الجائع الذي لا يحلم بسوق الخبز ألا يتدخل في

شؤون الخبازين! وإن استطعت فخذ المزرعة وكن رئيسا، واسمح

للناس بأن يحصدوا القمح ستة أيام لمصلحتهم، ويوما واحدا

للدولة! وليسعد الناس في عهد حاتمنا الطائي (بيغيت علي)؛  
لأنهم ظلموا في عهد الظالم (سفرقول)... فكان رئيساً!  
- لا تتحدث بالإيماء يا ولد، إن كنت رئيساً فرائستك لك،  
ولا أخاف منك، وإن أردت أن تأخذ مني شيئاً فخذ هذه العصا،  
أما إذا أردت أن تتحدث مثل الناس فترجل! وإن كنت تحب أن  
تفوح رائحتك الكريهة وأنت على الحصان فاذهب! ولكن اسمع  
يا ولد، عليك أن تتصرف بحكمة وتعقل، وإلا فسيلعنك الشعب،  
وإن حصد الناس يومين من القمح لاحتياجاتهم فلن ينقص  
المحصول.

- يا أخي! هذا القمح ليس لي، إنه للدولة! ونحن نقدم القمح  
للفريق ستالين! هل سمعتم، للفريق س - تا - لين! أم تعترضون  
على تقديم القمح للفريق ستالين؟

- اسمع يا ولد، لا تقلب الكلام! لقد قدمنا للفريق ستالين  
أكثر من القمح، لقد قدمنا له حياتنا! واليوم أولاد الذين قدموا  
حياتهم في حاجة إلى قطعة خبز، وعلى الأقل، تجب المحافظة  
على هؤلاء الأيتام، وأنت لا تستطيع أن تخفي نفسك خلف  
الفريق ستالين، فانظر أولاً لمصلحة أبناء قريتك، فهم شعبك  
وسينفعونك غدا! هل تريد أن تحصد القمح من هذه الأراضي  
غدا أيضاً؟ فمن يغرس، من يزرع، من يطحن؟ هل النساء اللواتي  
تعبن تعباً ليس بعده تعب، أو الأولاد النحيفون الذين لا يجدون  
ما يأكلونه؟

- لسانك طويل وكلامك كثير! هل أطلقت الرصاص في  
الحرب أم تعلمت الكلام؟ إن رأسك مملوء بالأفكار المتطرفة!

- يا رئيس! اذهب في طريقك، وإلا فسأريك النجوم في وضع النهار.

- ياه، هل تهددني أيضا؟ اهدأ وهدئ أعصابك، ولا تتفخر بمشاركتك في الحرب! إذا كنت قد شاركت في الحرب، فنحن لم نجلس ونذلك أطرافنا، قدمنا لكم طعاما، وقدمنا لكم لباسا، وماذا تستطيع أن تفعل إذا كنت جائعا وعاريا؟ إن قُتلت برصاصة فإنك تموت مرة واحدة، أما نحن فخلال أربع سنوات كنا نموت في كل يوم مرات! ونحن لدينا لسان أيضا، ونستطيع أن نقول ما نشاء.

- أعرف أن لديك لسانا حادا، ولكنك لا تحسب نفسك في صفوف الذين ماتوا ولا مرة! ونحن نعرف من أطعمنا ومن ألبسنا، وهم لا يفتخرون بركوبهم على الخيل ولبسهم حذاء طويلا ومعطفا جليدا، أما الذين يموتون في كل يوم فهم الذين يعملون في المزارع، يستنشقون الغبار، ويصقون الدم، وأنت تعذبهم بالسوط، وإن كنت تزعم أنك مت يومًا فالحقيقة أنك لا تحب أن ترى هذا اليوم، أنت الآن وجدت فتوى لنفسك، واختفيت أربع سنوات بعيدا عن ساحة الحرب، أنت لست رجلا يا هذا!

هكذا تكلم بيغيت علي بصوت عال، وكان مفضبا فضرب ظهر الحصان بعصاه فانكسرت، وقفز الحصان خائفا، وفقد بيغيت علي توازنه وسقط على الأرض، أما الرئيس فكاد يسقط عن ظهر حصانه، ولكنه أمسك لجامه بالقوة، وصاح فيه مرتين فهذا، وحث الرئيس حصانه في اتجاه بيغيت علي وهو يقول:  
- ستعلم من الذي سيرى النجوم نهارا.



قامت آينساء زوجة بيغيت علي من فراشها وقد استيقظت  
على ضجة الرجلين، وكانت تنصت إلى كلامهما خائفة، وهي  
تنظر إليهما مترقبة، وصرخت قائلة:

- ياه، إنك تقتل زوجي!

ونفض الولدان على هذه الصيحة.

- أبي، يا أبي!

صاح الابن الصغير وهو لا يزال شبه نائم، أما الابن الأكبر  
فأسرع إليهما، واقترب منهما بقفزتين، ووقف في طريق  
الحصان.

- لا تخافي؛ إن زوجك ليس رجلا يموت بسهولة! قللي  
لزوجك... لولا صلة القرابة لكنتم كلكم الآن في القبر... تبا لمن  
علمك الكلام.

وشد الرئيس لجام الحصان وابتعد.

«بالمناسبة، هذا الخناس قريب لزوجتي!» تمتم بيغيت علي  
وهو ينفض معتمدا على ابنه.

وسألت زوجته كأنها لا تعرف شيئا، ولم تسمع ما دار من  
حديث:

- ماذا حدث، ولماذا جاء؟

- جاء ليأمر بالذهاب إلى حصاد القمح مبكرا.

هذا ما قاله بيغيت علي وقد اختصر الحديث، أما آينساء  
فقالت: «يا إلهي»، وبدأت ترتب الفراش على الدكة، ثم حلبت  
البقرة، وشرب كل منهم كأسا من الحليب، وقسموا رغيفا  
من خبز الشعير إلى أربعة أقسام وأكلوه، كان هذا هو كل

فطورهم، وأخذت آينساء أصغر قطعة، فنظر إليها زوجها عابسا، وسألها:

- هل هناك رغيف آخر؟

- نعم.

- زوري (ظريفة)، سمعت أنها مريضة.

- لقد زرتها أمس مساء.

- زوريها اليوم أيضا.

- طيب.

عضت آينساء على شفتيها، وفسرت غضب زوجها بسبب مشاجرته مع الرئيس، وقد كانت محقة من جهتها، لأن المشاجرة حدثت قبل قليل، أما من الجهة الأخرى فقد كان يبغيث علي يتعذب من تررده في إخبار زوجته بما كان يفكر فيه وهو ينظر إلى نجمة الصبح! إن الكلام أمر سهل، ولكن إن رُفضت الفكرة من منطلق الزوجة فسيغضب، وقد يقول شيئا يزعجها... وهذا الذي يقلقه... وأخيرا قال:

- كم عندك من الدقيق؟ هل يكفي لعجينة واحدة؟

- ربما يكفي.

- يجب علي السفر إلى نظرآباد.

- طيب... ولكنك كنت تريد السفر في الخريف.

وأسقطت موافقة آينساء حملا ثقيلا كان كالجبل على كتف

بيغيت علي، فتأوه آهة عميقة وقال:

- رأيته في نومي مرارا.

- من الذي رأيته؟ صديقك؟

- رأيته واقفا على جثث أولاده.
- إذا رأيتهم ميتين في حلمك فستراهم أحياء إن شاء الله.
- لا تفسري حلمي، وافعلي ما قلت لك.
- طيب.
- انتهى الحديث هنا، ولبس بيغيت علي رجله الخشبية، ووضع ربيع رغيف قدمته زوجته في كيس ابنه وقال:
- اليوم ستعمل في الطين، وإن كنت جائعا فسياسعك الطين.
- ذهبت آينساء مع ابنها الصغير إلى بيت ظريفة لزيارتها، وستذهب من هناك إلى التلال، أما ابنها الأكبر فسيذهب إلى بيت وكيل المزرعة، وخرج بيغيت علي وهو يسحب رجله الخشبية، وبدأ يخرج الأبقار والأغنام والماعز التي استقبلته بأصواتها وكأنها كانت تنتظره.
- مر بيغيت علي بجانب بيت زبيبي ولم ينظر إليه، ووقف أمام الجارة التي خرجت ترافق بقرة نحيفة، ورد على تحيتها وهو ينظر إلى الأرض، ثم قال لها بصوت منخفض:
- اليوم دورك.
- نظرت المرأة إلى بيت زبيبي كأنها لم تفهم، ثم دار في خيالها شيء ما، فهزت رأسها في الحال وقالت:
- نعم، نعم، صحيح، اليوم دوري!
- إذا كنت لا تستطيعين فلا تتعب نفسك.
- لا، لا تقل هذا، تعال.
- ابتعد وهو مطأطئ الرأس صامتا.

كانت هذه عادته؛ لا يصيح أبدا «لقمة حلال!»، وكان إذا أعطوه شيئا يأخذه، وإن لم يعطوه سكت ومضى، فأحيانا يعود إلى بيته وكيسه فارغ، وأحيانا أخرى يعود بصاع من الدقيق، أو الإقط، أو المشمش المجفف... ويكرمه أهل كل بيت بطعام يوم، ومهمته أن يذكر من يكون عليه الدور، وكان يتعذب في نفسه كلما ذكر أحدا بدوره، وكأنه يطلب إحسانا أو صدقة، استحيا في بداية الأمر فلم يذكر، وظل جائعا لفترة، كان بإمكانه أن يتحمل الجوع، ولكن أهل القرية لأموه قائلين: «ألا تحب خبزنا وحساءنا؟» ومنذ ذلك الوقت أخذ يذكر كل من جاء دوره، صحيح أنه كان يتعذب كمن يطلب صدقة، ولكن ماذا يفعل؟



لم يستعجل القطيع في المشي، بدا كأنه يشعر بالألم في رجله، حتى الجداء كانت لا تتراكم، وكأن أصحابها أطعموها طوال الليل، وهي من الشبع لا تريد المشي! وعند طرف القرية قابل بيغيت علي شابا يركب حصانا نحيفا، وقد أردف خلفه فتاة، فوقف معهما، كان الشاب يلبس رداء مقلما، لم يكن جديدا، ولكنه ليس قديما أيضا، وعلى كل حال لم يكن فيه أي رقعة، وكان على الفتاة فستان متواضع، ولم يعرفهما بيغيت علي، ولكن الرداء المقلم والفستان كانا يعرفان بهما وبمقصدتهما؛ فالشاب عريس، والفتاة عروس، والرداء والفستان لم يكونا لهما، بل هما لإدارة المزرعة، وهما موجودان في مكتب الرئيس، يُعطيها للعريس والعروس يوما واحدا فقط! والآن العريس والعروس ذاهبان إلى إدارة مجلس القرية لتسجيل عقد قرانهما! إذن، في هذه الليلة

سيكون في القرية عرس، وستقام هناك حفلة الشاي، وسيقدمون للضيوف - وهم خمسة أو عشرة أشخاص - كل ما هو موجود لديهم من المشمش المجفف، وإن كان لديهم شيء من الدقيق عجنوه وخبزوه، أو يقدمون الحساء إن وجد، وإلا فلا أحد يلومك إن لم تقدم في حفلتك رغيفا أو حساء!

رد بيغيت علي عليهما السلام، وسألتهما، وإن كان يعرف قصد العريس والعروس وإلى أين يذهبان:  
- مرحبا، إلى أين أنتما ذاهبان؟  
- ذاهبان لنقول «نعم، قبلت!».

كانت نعمة السعادة ظاهرة في صوت العريس، فهو سعيد وإن لبس رداء خاصا بالمزرعة، وكيف لا يكون سعيدا؟ هل الرداء مهم؟ لا، إنما الفتاة التي تتركب خلفه على الحصان هي المهمة بالنسبة إليه، أما الفستان فقد فصل عمدا بمقاس كبير لكي لا يبدو ضيقا على واحدة من الفتيات، وكان كبيرا على قدها الأهيف، وماذا يعني إذا لبست هؤلاء الفتيات فساتين لا تتاسبهن أو تليق بهن؟ هل سيمتتع الشباب عن النظر إليهن؟

بعد أن قال الشاب «نذهب لنقول: نعم، قبلت!»، خجلت الفتاة، وطأطأت رأسها كأنما انكشف سرها أمام الناس!

- أتمنى لكما السعادة، يا أبا شباب!  
- آمين، ليستجب الله دعاءك يا خال!  
- عيشوا طويلا، ولتكن ملابس أولادكما جميلة مثلها!  
- يا خالي، كن مطمئنا، سيأتي الله بالفرج، وسيلبس أولادنا ملابس لهم، إن شاء الله.

ندم بيغيت علي على كلامه الذي قاله بحسن نية.  
- يا أخي، أنا لم أقصد غير هذا، ولعلي أخطأت في التعبير  
ففهمتي علي غير ما أريد، فإن هذه الأيام ليست أبدية، وإن شاء  
الله سيأتي زمن الأيام السعيدة، فليرزق الله بلادنا رزقا فيه بركة  
ورفاهية عندما يرزقكما أولادا.  
- يا خالي نحن أيضا نعيش على أمل أن نرى تلك الأيام،  
وليحقق الله كلامكم!

قال الشاب وهو يضغط على خصر الحصان ببطء.  
سرح بيغيت علي بفكره وهو ينظر إلى الحصان الذي يركب  
عليه العريس والعروس مبتعدا، ثم قال لنفسه: «يجب علي ألا  
أشكو من قدرتي، وعلى كل حال، في يوم زفافي لبست ملابسي  
التي كانت لي، وكان لدي شيء من الأكل والشرب لأقدمه  
للضيوف، أما هذه الأيام الصعبة فستمضي وتنتهي بإذن الله،  
وإن شاء الله ستأتي أيام يكون أولادي فيها سعداء...».

وقاد بيغيت علي القطيع إلى المراعي نفسها التي كان فيها في  
الأسبوع الماضي، وهي على شاطئ القناة، حيث العشب لم يجف  
بعد، وفي الأراضي الرطبة يوجد عشب وأعلاف، وتذكر بيغيت  
علي مراعي روسيا، عندما رأى الأعشاب التي ماتت من دون أن  
تتحمل حرارة السرطان... ليت تلك المراعي كانت هنا، فتشبع  
الأغنام والأبقار وتسمن وتعطي الحليب!

كان بيغيت علي يفكر في صديقه رمضان طوال النهار،  
ولم يبرح طيفه خياله حتى حان وقت عودة القطيع، وبدا أنه  
سيستعد للسفر إلى نظراباد بعد أن يرجع إلى القرية، ولكن كان

هناك أمران يجعلانه يتردد: أولهما أنه لا يريد الذهاب إلى بيت صديقه من دون أن يحمل له هدية، وإن كان رمضان قد استشهد فكيف يدخل على أولاده ولا يقدم لهم ما يأكلونه؟ وكيف يعيش أولاده؟ يريد أن يذهب إليهم ولو بشيء يسير من الأكل! أما الأمر الآخر فإنه لا يعرف هل مات صديقه أم أنه مازال حيا، لقد أنقذه بيغيت علي من نار جهنم بنفسه، وأراد أن يستريح قليلا، فأنفجرت بجانبهما قبلة، ويذكر أن رجله قد احترقت، ولا يذكر شيئا آخر... ربما لم يعد رمضان، ماذا سيقول له أهل بيته؟ ربما سيسألون: «إذا انفجرت القبلة بجواركما فكيف مات رمضان وأنت مازلت حيا؟» وإن لم يقولوا هذا صراحة فسيفهم من تعابير وجوههم المعنى نفسه.

وأراد أن يكتب رسالة إلى نظرآباد، ولكنه لم يجرؤ أن يبدأ رسالته بقوله: «يا أخي، هل أنت مازلت حيا؟»

أما الآن ربما حان وقته، جمعوا قليلا من الدقيق لأجل أولاد رمضان، وتدبر في خاطره كيف يقابل صديقه إن كان حيا، وكيف يقابل أولاده إن كان صديقه قتل، وجهز نفسه روحيا لهذا اللقاء.

وشم رائحة طيبة عندما مر القطيع بجانب الطاحونة، وكيفيه أنها تدغدغ معدته الجائعة، وفكر بيغيت علي في نفسه: «لقد طحنوا قمحا، ومن الذي يخبز اليوم، من يا ترى؟»

وأراد أن يبتعد بالقطيع من هذا المكان، ولكنه سمع صوت ولد:

- يا خال بيغيت علي، قف!

التفت بيغيت علي إلى الخلف، ورأى ولدا يسرع إليه قافزا من  
جهة الطاحونة وهو يمسك رغيفا .

- خذ، قالوا إنه لك!

- وممن هذا الرغيف؟

- من الخال قمبر .

- وهل أكلت أنت؟

- نعم، أكلنا كلنا!

قالها الولد وهو ينظر إلى الرغيف الذي كان في يد بيغيت  
علي، فأخذ الرغيف، وقطع منه قطعة وأعطاهها للولد، وقال:

- خذها، وإن كنت شبعان، وإلا .

وابتسم بيغيت علي، وقرص الولد من أنفه مداعبا، وتابع  
قائلا:

- ... وإلا ستصيبني بالعين، خذ .

وأخذ الولد قطعة الخبز «مضطرا»، إنه لأمر غير جيد إذا  
وقعت العين على رجل طيب بسبب قطعة الخبز هذه .

- قل للخال قمبر ليأت إلي في بيتنا، لدي شغل له، قل له  
هذا .

وقال الولد «حسنا»، ورجع من حيث جاء، وبدأ يأكل خبزته  
بعد أن ابتعد عنه بضعة أقدام .



تشقق كعب ابن بيغيت علي الصغير، وكان يتأوه من الألم في  
الليل، وقرر بيغيت علي أن يضع زيتا على كعب ابنه، ولهذا السبب  
دعا قمبر الأعرج لكي يمسكه من كتفيه، وإلا فإنه سيركض



ويقفز من شدة العذاب والألم، عندما يضعون الزيت المغلي على كعبه المتشقق مثل الأرض المتصحرة، ولا يتحمل الولد العذاب الذي يعرفه بيغيت علي جيدا، فقد سبق له أن صاح: «عدم وجود الرجل أفضل من أن تكون له رجل مثلها»، ثم شفي ولبس حذاء، ومشى برجليه وحذائه في أماكن كثيرة، وأخيرا، عاد من الحرب تاركا فيها إحدى رجليه! وأحيانا كان يقول: «ليت المعجزة حدثت ونمت رجلي من جديد، وسأكون راضيا بتشقق الكعبين ووضع الزيت عليهما!»، وعندما يضعون الزيت على كعب ابنه يذكر عذابه الذي عاناه، وفي الوقت نفسه يعترف بأن هذا العذاب مؤقت، فستمر الأيام، وتلبس هذه الأرجل أحذية جميلة، وتمشي في مدن كبيرة، وهو واثق بذلك، ولكن ما يخاف منه فقط هو أن ينسى ابنه هذا العذاب عندما يصل إلى الأيام السعيدة، ففي بعض الأحيان يصل الإنسان إلى الأيام السعيدة فينسى كل ما عاناه من صعوبات، ولكن لا بد من عدم نسيان الأيام الصعبة لأجل تقدير الأيام الحسنة، يريد بيغيت علي لابنه أن يكبر وهو يتذكر الأيام الصعبة العصبية!

وجاء قبر الأعرج بعد المغرب حاملا بيده رغيفين، وقال كأنه لم ير بيغيت علي عندما عاد إلى القرية بالقطيع، ولم يرسل إليه رغيفا:

- اليوم قمت بطحن القمح!

وبعد أن شربوا شايًا مصنوعًا من أوراق شجر التفاح، أوقدوا الشعلة، ووضعوا الزيت، ثم وضعوا فيه البصل، ووضعوا البصل المقلي بالزيت على كعب الابن الصغير، ولقد سُمعت صيحته

في سبعة أحياء، ولم تكن الصيحة بالشئ الجديد في القرية،  
ولذلك لم يهتم بها أحد .

وفي الصباح أشعلوا التتور، وخبزوا الخبز، وانتشرت رائحة  
الأرغفة الطازجة، وقد عرف الجيران كلهم أن بيغيت علي يستعد  
للسفر، وعندما تعلم زوجته شيئاً فسيعرفه أهل القرية جميعاً!  
ومع انتشار رائحة الخبز انتشر الحديث:

- بارك الله فيه، في هذه الظروف يريد أن يزور أولاد صديقه  
الذي استشهد في الحرب.

- إن كان يريد مساعدة أحد، ففي قريتنا أيتام كثيرون، فلماذا  
يعطي الخبز للآخرين؟

لم يعلم بيغيت علي بهذه الأحاديث، كان يفكر في لحظات  
اللقاء مع صديقه رمضان أو مع أولاده.

وعند سفره سببت له آينساء ألماً في قلبه حيث قالت:

- لو بعت نصف الخبز لأشترت أحذية لأبنائك.

وقال بيغيت علي في نفسه: «يا لها من امرأة قليلة العقل! أنا  
أفكر في أمر، وهي تفكر في أمر آخر، الإنسان يمكن أن يعيش  
بلا حذاء، فهل يمكن أن يعيش بلا خبز؟ ولن يبقى الأولاد حفاة  
طول العمر، كلهم شباب قادرين، وأنا موجود، لقد قلت لك إن  
أولاد رمضان صغار، كان أكبرهم في السادسة من عمره، إذن هو  
الآن في السابعة أو الثامنة، أنت لا تفكرين في ذلك، والصحيح  
أنك أم وتفكرين في أولادك فقط، لو بقيتُ أنا هناك ورجع  
رمضان لجاء يسأل عن أولادي منذ زمن، طبعاً، مثل هذه الأمور  
لا تهملك...» قال بيغيت علي هذا الكلام في خياله عند الوداع.

وركب قطارا مشى طوال الليل، وكانت المحطة التي يجب عليه النزول فيها محطة صغيرة، يتوقف القطار فيها ثلاث دقائق فقط، وأسرع في النزول من القطار ونجح بصعوبة، وتفرق ثلاثة أو أربعة ركاب نزلوا من القطار بسرعة، وبقي ييغيت علي وحده، وكان يتساءل في نفسه: «لماذا يستعجل الناس هكذا، حتى أنني لم أتمكن من سؤال أحدهم كيف يمكن الذهاب إلى «نظرآباد»! ثم سمع صوتا يقول:

- يا أخي، كأنك تفكر في شيء ما؟

نظر ييغيت علي إلى حيث جاء الصوت، ورأى رجلا عجوزا ينتظر منه الرد.

- يجب علي أن أذهب إلى نظرآباد ولا أعرف كيف أذهب؟

هز العجوز رأسه وهو ينظر إلى الرجل الخشبية وقال:

- يصعب عليك الذهاب إلى نظرآباد في هذه الحال، إن الطريق طويلة. انتظر قليلا، فقد تأتي إحدى العربات.

أخذ كيسه الذي كان يحمله على كتفه واتجه إلى مقعد بجانب المبنى وكأنه يقول: «ماذا أستطيع أن أفعل؟»

سأله الرجل العجوز:

- هل لديك قريب في نظرآباد؟

- صديقي.

- صديقك، ومن هو؟ ربما أعرفه، يأتي كثيرون من نظرآباد إلى هنا.

- هل تعرف شخصا اسمه «رمضان»؟ في منتصف السنة الثالثة والأربعين، كان قد ذهب إلى الحرب.

- رمضان؟... هل هو صاحب الدكان؟  
- كان يعمل محاسباً في المزرعة التعاونية قبل الحرب، ولا أعرف هل عاد من الحرب أم لا.  
- على بعد أربعة كيلومترات من هنا توجد مدينة صغيرة اسمها قيزيلكوبريك، ويعمل في دكان الخبز فيها رجل من نظرآباد، قالوا إن اسمه رمضان.  
- هل رأيته؟ هو قصير القامة، وأنفه مفلطح.  
لم ير العجوز رمضان، ولذلك لم يعطه جواباً شافياً، ولكنه وضع له الطريق إلى قيزيلكوبريك، ولقد تحمل عذاباً لم يعان مثله كلب ضال من المشي في طريق حجري غير ممهد، ولكنه كان سعيداً لأنه عرف أن صديقه لا يزال حياً، كان واثقاً بأن الرجل الذي يعمل في دكان الخبز هو صديقه رمضان، وإن لم يقل الرجل المسن في المحطة شيئاً واضحاً، إن قلبه يقول: «إنه صديقك رمضان! إنه حي! إنك أنقذته من مخالب الموت، وهو ينتظرك، أسرع! وما هذه الطريق؟ لقد مشيت في طرق أسوأ منها بكثير، امش، هيا، امش! أنت رجل! وتتحمل ألم رجلك، وكم من آلام أشد منها عانيتُها، امش، وأسرع...»  
وتصور بيغيت علي لحظات لقائه مع صديقه، وكان يتصورها بألف مشهد عندما كان في بيته، والآن جاء مشهد جديد بدلاً من كل ذلك:  
تصور أن صديقه سيجري إليه، ويفتح صدره له وهو يقول:  
- «يا صديقي العزيز، أين كنت كل هذا الوقت؟ لقد انتظرتك طويلاً! ويحضنه بقوة، ثم يقول: يا صديقي العزيز، هل تركت

رجلك هناك؟ كنت أعرف أنك حي، وكان قلبي يشعر بذلك،  
تمنيت أن يكون لي جناحان لأطير إليك، يا صديقي، لا تغضب  
على صديقك ناكر المعروف!

وسيقول ييغيت علي:

- «لا تقل هذا الكلام... لقد كنت أرقب هذا الزمان، أنت لم  
تستشهد، وهذا أمر كبير، وماذا إذا تأخر لقاءنا إلى يوم القيامة؟  
يجب علينا التواصل من الآن، لماذا حفظ الله حياتنا؟ لأنه يجب  
علينا تربية أولادنا، ويجب علينا رؤية سعادتهم، ولذلك حفظ الله  
حياتنا، كم من الناس ذهبوا وحلمهم لم يتحقق...».

حتى هذه الخواطر اللذيذة لم تجعله ينسى عذاب الطريق،  
تؤلمه رجله، وييغيت علي بصعوبة يضع قدمه على الأرض، وبدا له  
كيسه ثقيلًا، وقال في نفسه: «أتوب إليك يا رب، هل يكون الخبز  
ثقيلاً هكذا؟ قال لي إن المسافة نحو أربعة كيلومترات، وأظن  
أنني مشيت أكثر من ذلك، ولكن لا أثر لتلك المدينة الصغيرة؟»  
لما وصل إلى شجرة وحيدة في الطريق وضع كيسه أرضاً،  
وأراد مواصلة المشي من دون استراحة من جهة، ومن جهة أخرى  
كانت رجله تؤلمه، كأنها تقول: «سأعذبك، إذا ما توقفت عن  
المشي، وستندم على اليوم الذي ولدتك فيه أمك!» وجلس تحت  
الشجرة ومد رجليه وفك رجله الخشبية، وهبت الرياح كأنها  
كانت تنتظر ذلك، وارتاح قليلاً، وارتاحت رجله المقطوعة، وبعد  
دقائق لبس رجله الخشبية، ونهض واقفاً.

لم يكن البحث عن دكان الخبز أمراً صعباً، كان هناك مبنى  
متواضع، وقد وقف عنده نحو عشرين شخصاً في طابور،

واقترب بيغيت علي من دكان الخبز... ورأى رمضان! ولكنه لم يقابله وجها لوجه، ففي هذه اللحظة كان رمضان يتحدث مع أحد الواقفين بصوت مرتفع جدا، ورأى بيغيت علي امرأة عجوزا تقف مقابل رمضان، كانت نحيفة ضعيفة، وقد برزت عظام وجنتيها، وسقط شالها على كتفها، كانت ترجوه وهي تمد يديها المرتعشتين اللتين تمسك بهما أوراقا، وتقول:

- إن بقيت جائعة فلا بأس، أنا أتحمل، ولكن أولاد ابني الشهيد جائعون، ولم يذوقوا شيئا، الله يبارك فيك، ويجعلك ترى أولادك سعداء.

ولم تكمل العجوز كلامها، فقد نظر رمضان إليها وصاح بها:  
- قلت لك، لا! هل أقطع لك من حق جدتي؟ من يريد خبزا عليه أن يستيقظ مبكرا!

- الله يبارك فيك، أنا واقفة هنا طوال الليل.  
- كفى، كفى! ذبحتني!

ورفع شباك النافذة قليلا وسحب دعامة تسنده، فكاد الشباك يسقط على رأس العجوز لولا أن بعض الواقفين دفعها جانبا. وظلت العجوز تنتظر إلى النافذة، آملة أن تفتح ويقول صاحب الدكان: «تعال، يا أمي، هذا بعض الخبز لك!» وبدأ الذين لم يكن لهم نصيب في الحصول على الخبز بعد أن فقدوا الأمل، يشكو أحدهم حظه، ويلعن آخر صاحب الدكان، ونظرت العجوز طويلا إلى الأوراق التي تعطيها الحق في الحصول على الخبز، ثم وضعتها في جيبها، وابتعدت عن الدكان قليلا، ومشيت بضع أقدام، ثم التفتت إلى الدكان آملة أن يحدث شيء ما، وتزلزلت

الأرض تحت أقدام العجوز في نظر بيغيت علي، ماذا ستقول هذه العجوز التي أنهكها ألم فراق ابنها عندما تأتي إلى أحفادها الذين سيكون طالبين قطعة خبز؟ بأي حجر تضرب رأسها هذه الأم؟

ونسي بيغيت علي لماذا جاء إلى هنا، ونظر قليلا إلى العجوز، ثم مشى سريعا ولحقها .

- قضي يا أمي!

فوجئت العجوز بصوت غير متوقع، فسألته خائفة:

- هل تتاديني أنا؟

أشار بيغيت علي إشارة «نعم»، وأخرج رغيفين من كيسه، وقدمهما إلى العجوز، وقال:

- خذي هذا الخبز، خذيه!

وازدادت حيرة العجوز، وقالت:

- أنا؟ آخذه؟

- خذي!

- ليس معي نقود كافية لشرائه، وليس لدي شيء لأقايض به!

- هذا بلا مقابل!

- بلا مقابل؟

بدا أن بيغيت علي سيفضض من تردد العجوز وعدم تصديقها ما ترى، وكيف يشرح لها فعله، وهل عليه أن يقول لها: لا تحسبي كل شيء بالنقود، في هذه الدنيا يوجد شيء اسمه إنسانية، وتوجد ديانة، وإنصاف، وضمير... وإذا انعدمت هذه كلها فهناك

مفهوم «الأوزبكية»؟ سيحتاج ساعتين ليشرح لها مسألة رغيفين، ثم قال بيغيت علي بلهجة الأمر:

- خذي، وإلا تراجع عن رأيي.

أخذت العجوز الخبز وهي لا تعرف إن كانت في حلم أم في الواقع؛ «هل هذا صحيح، هل لا يزال في هذه الدنيا مثل هذا الإنسان؟ لا، هذا ليس إنسانا، بل إنه من الأولياء، نزل من السماء عندما سمع أنا تي وآهاتي، لا، لا... إذا نزل الأولياء من السماء كلما سمعوا أنا ت وآهات المساكين فما أكثر الأولياء في الأرض! بلى، إنه إنسان، إنسان طيب»!

- طيب، أنا آخذه، ولكن... أرجوك... انتظرنني هنا، إذا أخذته بلا مقابل سيكون صدقة، وأنا لست سائلة، فهل تنتظرنني هنا؟ كظم بيغيت علي غيظه وعض على شفتيه لكي لا يصرخ: «كن محسنا، واشرح إحسانك، لماذا تحسن إلى الناس؟» وقال لها وهو غير راض:

- طيب، سأكون في هذا الدكان.

ومشت العجوز وقد ازدادت ثقتها بنفسها.

رجع بيغيت علي إلى الدكان، وطرق شباك النافذة، فسمع صوتا:

- لا يوجد خبز! انتهى!

وطرق بيغيت علي الشباك مرة أخرى.

- أريد أن أستريح، هل عندكم شيء من الإنصاف؟

- يا رمضان!

- نعم، أنا رمضان! ولكن لا يوجد خبز، انتهى!



- يا رجل! انظر إلي!

غضب بيغيت علي، لم يكن يتوقع لقاء مثل هذا أبدا، ولو قابل عرافا ما فقال له إنه سيقابل صديقه بهذا الشكل لكان جاهزا ليقطع لسانه، ماذا سيفعل؟ لن يحدث كل ما تتوقعه وما تريد! وبعد قليل فُتح الشباك بهدوء.

- من هناك؟

- أنا بيغيت علي!

- بيغيت علي، يا إلهي! حقا؟ هل أنت بنفسك؟

أخرج رمضان رأسه من النافذة ونظر إليه، ثم أغلقها، وبعد قليل، فتح الباب الجانبي للدكان، وخرج منه رمضان، وعانق بيغيت علي الذي كان لا يزال غاضبا، كان يتصور أنه سيعانق صديقه هكذا عندما كان يفكر فيه، ولكنه لم يستمتع بهذه المعانقة!

- يا صديقي! يا صديقي العزيز! أي رياح طيبة جاءت بك إلى هنا؟ يا، ما هذا؟ أين رجلك؟ هل تركتها في الحرب؟ هذا أمر مؤسف، هذا أمر مؤسف جدا، تفضل، ادخل، ادخل قليلا ثم سنذهب إلى بيتي.

وقاده رمضان إلى داخل الدكان وهو لا يتوقف عن الكلام.

- نحصل على رزقنا هنا، أهلي: أولادي وزوجتي في نظرآباد، وهنا أيضا تزوجت من امرأة أخرى، لقد عرضوا علي وظيفة «الرئيس» في المزرعة في نظرآباد، هل أنا مجنون لأكون رئيسا في مثل هذا الوقت؟ في مستودعات المزرعة تمشي الفئران مستتدة على العصا، وأشكر أصدقائي الذين وظفوني هنا...

طيب، ربما كنت جائعاً؟ الآن، الآن، يا صديقي، ولكن ما حدث  
برجلك هو أمر مؤسف!

وفتح رمضان صندوقاً وضعه تحت النافذة بعيداً عن عيون  
الآخرين، ونظر بيغيت علي جيداً: كان في الصندوق عشرة أو  
خمسة عشر رغيفاً، لو وزعها لكفت نصف الذين عادوا إلى  
بيوتهم بلا خبز ولا أمل، وهم الذين انتظروا هنا طوال الليل،  
وأخذ رغيفاً واحداً منها وقطعه بالسكين، وفتش في كيس كان  
بجانب الصندوق، فأخرج منه قطعة لحم وأربع بيضات، ولم  
يشعر بيغيت علي من أين أخذ قارورة وكؤوساً، وكان ينظر إلى  
الصندوق، وكأن عيون الذين وقفوا للحصول على الخبز كانت  
تنظر إليه.

وأحس رمضان نظرتَه أيضاً، وقال في نفسه: «ينظر إلى  
الخبز فقط، إذن هو جائع، يا مسكين! ربما جاء لأجله، ربما بعد  
قليل سيذكرني بأنه أنقذني، سأعطيه رغيفين، وأتخلص منه،  
والآن رغيفان هما الحياة!»

- هيا، يا صديقي، سنشرب بمناسبة لقائنا، طيب، أين  
تعمل؟

- أعمل راعياً في القرية.

- هذا شغل ليس جيداً، يا صديقي، ماذا تريد أن تفعل؟ هل  
تريد وظيفة جيدة هنا...؟

- املاً الكأس!

كان بيغيت علي في هذه اللحظة كإنسان سعى إلى القمة  
فوقع في المستقع.

- املاً الكأس تماماً .  
وشرب الكأس دفعة واحدة، ولم يمد يده لا للخبز، ولا للحم  
ولا للبيض .  
وصب رمضان كأساً لنفسه .  
- بصحتك، يا صديقي، أنا سعيد بمجيئك، ذكرّني عند  
عودتك، سأعطيك خبزاً لأولادك .  
وانفرزت الكلمات في حجرة بيغيت علي مثل الخنجر .  
- أعطني إياها .  
- إنك عطشان جداً !  
ويرفع بيغيت علي الكأس بيده رغم ضحكة رمضان القبيحة،  
ويشرب وهو يلوم زوجته في نفسه: «لماذا لم تقولي: «لا تذهب!»،  
ولم تصري علي رأيك؟ إذا قال زوجك إنه سيذهب إلى مكان  
ما كيف توافقين وتسكتين؟»  
تبعثر خياله من طرقات علي الشباك .  
- من هناك؟ لا يوجد خبز !  
وجاء صوت مكتّب:  
- أبحث عن رجل .  
- من هو الرجل؟  
- إنه ... إنه برجل واحدة .  
- هل هو أنت؟ جئت الآن وتبحث النساء عنك ! إنك خطير  
يا صديقي، أنت خطير !  
فهم بيغيت على أن العجوز عادت، وقام من مكانه، وأخذ  
كيسه وخرج، وخرج رمضان وراءه، وكانت العجوز واقفة وهي

تحتضن حذاء من الجلد .

- الله يبارك فيك، خذ هذا، والبسه في أيام سعيدة بإذن الله!  
وقال رمضان في نفسه: «يبدو أن صديقي يقوم بالمضاربة،  
والبيع والشراء»، وتقدم من العجوز وأخذ الحذاء بيده «إنه جديد  
تقريبا، استعملوه مرة أو مرتين...» وسألها:

- كم ثمنه، أيتها العجوز؟

- لن أبيع! أحضرته لهذا الرجل، أعطاني خبزا .

- خبز؟ هل هذا الرجل أعطاك خبزا؟

كان رمضان مستغربا وهو يسأل العجوز، ثم نظر إلى بيغيت  
على وقال:

- أنت أعطيتها خبزا؟

وأحس بيغيت على بسخونة تعبر جسمه، كان من الممكن أن  
يشتم رمضان، وأن يكثر عليه من كلمات اللوم، أو يضربه! «كله  
بلا فائدة، إنه ليس الإنسان الذي كنت أفكر فيه، ولا نفع من  
كلام أو ضرب!» ومنعه هذا التفكير من أي تصرف.

وأخذ بيغيت علي الحذاء من يد رمضان وأعادته إلى العجوز.

- لا يناسب الحذاء الجلدي الرجل الخشبية، لم يكن هناك

داع لكي تحضره يا أمي، هيا لنذهب.

رافقتها بيغيت علي بعد قوله هذا، وبعد أن مشى معها بضع

أقدام، سمع صوت رمضان:

- هل ستعود؟ هل أنتظرك؟

ولم يلتفت إليه، كأنه لم يسمع كلامه، ونظر رمضان إليه

قليلا، وقال في نفسه: «هل هذا الرجل عاقل أم مجنون؟ ماذا

يستفيد من علاقته بهذه العجوز؟» وغضب ودخل الدكان.  
لحقت العجوز التي تحتضن الحذاء بيغيت علي، وهو يفكر:  
«ربما كان هذا الحذاء لابنها، يا لهذه الدنيا العجيبة! وكيف يمكن  
تبديل الخبز بالذاكرة...».

- يا أمي، لا تخجلي، ولا تقولي إنك حصلت على خبز  
بلا مقابل، وإن لم يكن هناك إحراج، اسمح لي أن أبيت ليلة  
في بيتكم، لقد تعبت كثيرا من المشي! ولا أستطيع الوصول إلى  
المحطة في حالتي هذه.

- الله يبارك فيك، بإمكانك أن تبيت ليس ليلة واحدة بل ألف  
ليلة، وظروفنا تسمح بذلك!

عندما وصلا إلى البيت صنعت العجوز شايا من التفاح  
المجفف، وقدمت له كأسا، وسألته قائلة:

- ذلك الرجل... هل تعرفه؟  
ارتبك بيغيت علي من سؤال لم يكن يتوقعه، ولم يستطع أن  
يرد عليها في الحال، وأخيرا أجاب بأسف شديد:  
- لا، جئت إلى هنا أبحث عن صديق، وظننت أنه هذا الرجل،  
بل علمت... أنه مات في الحرب، ولم أستطع أن أنقذه.  
ولم تسأل العجوز أي سؤال آخر.

ومع حلول المساء خرجت العجوز إلى دكان الخبز لتقف  
في الدور من أجل الحصول على الخبز، وفي اليوم التالي بعد  
الشروق عادت إلى البيت حاملة بيدها رغيفين وهي سعيدة،  
وصنعت شايا وانتظرت حتى يخرج بيغيت على من الغرفة،  
وبعد أن مر وقت طويل ولم يخرج، طرقت الباب، ولم يرد

أحد، ونظرت إلى الداخل، ولم يكن الضيف هناك، أما كيسه فكان بجانب المخدة، وظننت العجوز أن الضيف «خرج إلى مكان ما»، وانتظرت، ولم يعد الضيف لا في الظهر ولا في المساء، ولم تجرؤ العجوز على فتح الكيس، وبعد ثلاثة أيام قال حفيدها الصغير إن في الكيس خبزا، ووقفت العجوز متحيرة في مكانها!



عند مدخل القرية قابله رجلان، كلاهما يلبس ملابس جيدة، وكانا يتحركان بهيئة رياضية، وسأله أصغرهما قائلا:

- هل أنت بيغيت علي سلطان عليلف؟

- نعم، أنا.

- أين كنت؟ ننتظرك منذ يومين.

- كنت أبحث عن صديق.

- هيا لنذهب معنا.

- إلى أين؟

- إلى الإدارة؟

- علي أن أخبر أهل بيتي.

- أهلك يعرفون، هيا لنذهب.

«ربما جاء هذان الرجلان من أمانة المحافظة؟ ربما كان كلام الناس صحيحا؟ ربما يعينونني رئيسا؟ لا، لن أرضى، لا يمكن إدارة المزرعة برجل واحدة، إن الدنيا عجيبة، ولا يسألون عنك...».



... أعلن الرئيس للناس أنه من الممكن حصاد القمح  
لاحتياجاتهم خلال يومين.

بعد ثلاثة أشهر أنجبت آينساء ولدا، وسمته «ذكرى» (في  
الأوزبكية: «يادكار»)، نصحتها الناس بهذا الاسم وقد سمعت  
كلامهم!

وبعد سنة كاملة جاء بيغيت علي وهو يطرق الأرض برجله  
الخشبية، كان يحمل على صدره وساما، وقالت زوجته آينساء  
في نفسها: «إذن، كلام الناس ليس صحيحا، وإلا فكيف يُمنح  
المحبوس في السجن وساما؟» غضب بيغيت علي عندما علم أن  
اسم ولده الصغير «ذكرى»، ثم قال:

- لو لم أكتب رسالة إلى قائدي الذي كنت معه في الحرب،  
لبقي «ذكرى» مني فعلا، وبالمناسبة لقد قابلت قائدي، وحصلت  
على وسام عن المعركة الأخيرة، كانوا يظنون أنني قتلت، حقا...  
ما أعجب هذه الدنيا!

- سم ابنك بنفسك اسما آخر.

- لا، إنه يذكرنا بأيامنا هذه، وليكن ذكرى.

- وبعد مرور ستة أشهر جاءت رسالة إلى بيغيت علي، وكانت  
هذه الرسالة من رمضان:

«يا صديقي العزيز! أدعوك وأناديك يا صديقي العزيز! اشتقت  
كثيرا إلى صديقي الذي أنقذ حياتي، وأنقذني من مخالب الموت،  
أذكرك كثيرا، ليتني كنت أملك جناحين لأطير إليك، ولأحتضنك،  
ولكن ليس لدي القدرة؛ أجنحتي مقطوعة، أنا الآن مسجون  
وأتعذب بسبب بضعة آلاف سوم، يا صديقي العزيز، كل أمني

فيك، اكتب إلى الإدارات العليا، وقل لهم عن خدمتي في الحرب،  
اكتب إلى قائدنا في الحرب، واطلب توسطه، أنت أنقذتني من  
الموت مرة، فساعدني في الخروج من هنا أيضا، لكي لا يعيش  
أولادي أيتاما....».

قرأ بيغيت علي الرسالة، وغرق في التفكير، وقال في نفسه:  
«إنها الدنيا العجيبة»، ثم أخذ ورقة وقلم.





## الجد والحفيد

### طاغي مراد

ينهض الحفيد ذو الأعوام الثلاثة قبل الجميع من فراشه... يخرج إلى السقيفة وهو يلبس حذاء أحمر وسروالا وقميصا أخضر... إن الذين يجلسون حول المائدة لا ينتبهون إليه، ويظل واقفا في الدهليز قليلا.

من ينظر إلى هذا الولد من الأمام ويرى أذنيه الكبيرتين - وكأنهما موضوعتان مؤقتا - يشبهه لخاله، والذي يرى عينيه السوداوين وأنفه السمين، وجبينه الواسع الأحدب الزاهي الذي لم يعرف غما، يشبهه لأبيه.

ينزل الحفيد على السلم بهدوء، وينظر وراءه، ثم يذهب بخطوات صغيرة إلى درّاجة نارية تقف بالقرب من باب الفناء، ويقف بجانبها. ويذكر أنه ركب مع أبيه على هذا المقعد الجميل، إن هذه الدراجة النارية أخرجت صوتا عاليا وتحركت بسرعة، وحضن أباه من الخوف وأغلق عينيه. ها هو اليوم أيضا يريد أن يركب هذه الدراجة النارية، ويمسك بيده المقعد الخلفي، ويشير بهذا إلى أنه يريد أن يركب. وبعد قليل يأتي أبوه ويسأله:

- إلى أين تذهب؟

- أنا أريد الذهاب أيضا.

- إلى أين؟

- إلى العمل.

- نعم، أمس سأل مديرنا عنك في اجتماع المعلمين، وقال: لماذا لا يأتي إلى العمل؟ قال أبوه وهو يمزح.

لم يفهم الحفيد ما قاله أبوه، حتى إنه يسمع بعض الكلمات أول مرة، ولكنه فهم أن هناك شخصا ما - ربما خالته أو عمته طلبت أن يأتي، وسيذهب، إن شاء الله، سيذهب.

وحينئذ يدعس أبوه على شيء ما، وتخرج الدراجة النارية صوتا، ويرتجف الحفيد ويرمش بأهدابه. ويقطب وجهه، كأنه يقول: «إذا لم تأخذني معك فسأبكي»، ولا ينتبه أبوه ويفادر، وتخرج الدراجة النارية دخانا يبقى فيه الحفيد، وها هو يريد أن يرقد على الأرض ويبكي، أما جده... فهو شديد، ولا يسمح له بأن يرقد على التراب، وأن يبكي حتى يرتاح، ويمسك بيده ويدخل به إلى الداخل. ومن بين الناس الذين يعرفهم كان يحب جده ولو أنه كان شديدا. ومنذ الآن سيحب جده أكثر من ذي قبل، لأنه الآن أخذ شوكلاتة من الدولاب وأعطاه إياها.

ويريد الحفيد شيئا ما، وذات يوم ذهب جده معه إلى مكان ما، هناك بيوت عالية وناس كثيرون، وهم جالسون في الشوارع ويعرضون التفاح والخيار للجميع، واشترى جده آنذاك ماء لذيذا، ويذكره الحفيد حتى الآن ويلعق شفثيه. والآن يريد أن يقول له لنذهب، ولكنه لا يستطيع، لأنه لا يعرف أين كان، ويجلس على ركبة جده ويزعجه. ويقول له جده:

- اهدأ، اهدأ، انظر هناك، انظر هناك، يا...، انظر إلى الأولاد، ويشير إلى التلفزيون الموضوع في الركن.

لقد عرف الحفيد منذ قليل، أن هذا الصندوق الكبير المصنوع نصفه من الزجاج يسمى التلفزيون، ولكنه حتى الآن لا يستطيع أن ينطق اسمه. ويضحك الجد فجأة، وهو يشاهد شيئاً ممتعاً في التلفزيون، ويشاركه الحفيد ويضحك معه وهو لا يفهم ما الأمر، ويشاهد العرض ويستغرب، كيف يستوعب هذا الصندوق الصغير كثيراً من الناس؟

- يا جدي، أين هؤلاء الناس؟
- داخل التلفزيون، يا بني.
- هل في داخله بيوت؟
- نعم، يا بني، نعم، كل شيء في داخله.
- هل لديهم شوكلاتة أيضاً؟

إن الحفيد الصغير يظن أن أفضل الأشياء المهمة والضرورية للناس هي الشوكولاتة، ولذلك فهو يقارن كل شيء في البداية مع الشوكولاتة. ويبقى سؤال الحفيد بلا رد، ويطفئ الجد التلفزيون بعد أن انتهى العرض، ويخرج إلى الفناء. ويجلس الحفيد منحنياً على الجدار بيديه، وينظر قليلاً إلى التلفزيون، وهو يضع إصبعه في فمه، ويحني رأسه إلى اليسار قليلاً، ثم يقترب من التلفزيون وينظر من خلفه إلى الداخل - لا شيء، ويضع أذنه إلى جانب التلفزيون، ويسمع إليه - لا شيء. ولا يرى هؤلاء الناس، قبل قليل هم كانوا داخل التلفزيون... أين ذهبوا؟

ويستغرب وينظر داخل البيت، ويرى سيارته الصغيرة الواقفة بجانب المدفأة، ويقترب منها، ويأخذ لعبة «عروسة»

لأخته ويسحبها من رجلها ويركبها على سيارته، ثم يسحبها بحبل طويل مربوط بها ويخرج إلى الفناء، وينظر إلى جده الذي يعمل شيئاً ما في الركن. إنه يصنع إطاراً للنافذة، وأمامه الأدوات اللازمة للنجارة وأخشاب مختلفة الأحجام، وهو يرسم أحياناً على الخشب بقلم رصاص صغير، ثم يضعه على أذنه. ويرى حفيده هذا ويضحك، ويبحث عن قلم ليفعل الشيء نفسه ولكنه لا يجده، ثم يسحب سيارته ويتجه إلى وسط الأشجار.

ويراقب الجد حفيده بعينه، ويستمر في عمله. مرّ شهران تقريباً منذ تقاعد الجد، وكرّمته الحكومة، وكان يفكر قبل أن يتقاعد: «متى أتقاعد، وأرتاح؟» وما هو حلمه قد تحقق، لكنه لا يجد الآن مكاناً يضع فيه نفسه، ولا يعرف ماذا يفعل، والإنسان الذي تعود على العمل لا يستطيع أن يستلقي دائماً. إنه يراقب الفناء ويصلح كل ما يراه ضرورياً للتصليح - الأماكن التالفة في الجدار، والنوافذ والأبواب المعطلة، ويقوم بتقليم أغصان العنب، وباختصار، لا يرتاح إلا إذا أصلح كل شيء يحتاج إلى التصليح في الفناء. «إسماعيل هذا... أتوب إلى الله، اشتغلت في الحكومة أربعين سنة، وتعاملت مع آلاف من الناس، ولكني خلال شهرين لا أستطيع أن أتعاش مع هذا الولد الصغير!...».

اليوم هو اليوم الثاني الذي يصنع فيه الجد باباً لقن الدجاج. يقيس الخشب بكفه، فينسى، وقيسه مرة أخرى، وفي هذه المرة يحدده بالقلم، ويأخذ المنشار لينشره... «ليس مفيداً

أنني تقاعدت، فعندما كنت أعمل، كان يسألني كل يوم عشرة أشخاص على الأقل، أما الآن فلا شأن لأي أحد بي». يفكر الجد في أشياء كثيرة أخرى... ويتذكر أن حفيده ذهب إلى وسط الأشجار، فينظر إليه، ويطمئن إلى سلامته، ويستمر في عمله، ويشفق الجد على حفيده: «إنه صعب عليه، وليس هناك أولاد يلعبون معه، وأهل البيت يتركونني ويتركونه، فهل يريدون أن يقولوا: العبا أنتما الاثنان!... لا...».

ويشعر الحفيد السمين بالملل من اللعب، فيسحب سيارته، وينظر إلى قنّ الدجاج، ويرى دجاجة قابضة هناك، فيرفع رجله اليسرى ويركل الأرض، ليطرد الدجاجة، ولكنها تبقى في مكانها ولا تتحرك، ويفكر الحفيد في نفسه: «الدجاجات كلها تلعب في الفناء، فلماذا هذه الدجاجة تجلس وحدها؟...».

وأراد أن يقطع يد اللعبة «العروس»، ويرميها على الدجاجة، ولكنه لا يتمكن من ذلك، فيأخذ حجرا صغيرا من الأرض ويلقيه عليها، وتصيح الدجاجة وتخرج من قنّها وتهرب، ويرى الحفيد بيضة في المكان الذي كانت فيه الدجاجة، ويمد يده، ولا تصل، فيدخل بيت الدجاج زاحفا على يديه وركبتيه، ويضع البيضة في سيارته ويسحبها، ويذهب إلى جده، ويقول له:

- يا جدي، باضت الدجاجة بيضة، ها هي!

- جيد.

- وبيضتها دافئة.

ويذهب الجد والحفيد تحت العنب، وكل يمسك الآخر بيديه. فينسى الحفيد الصغير إلى العنب المعلق في الكرم،

ويريد أن يقطعه بنفسه ويأكله، ويمد يديه إلى العنب مثل  
جده، ولكنه بعيد، بعيد جداً.  
ينظر الجد إلى الحفيد، ويتذكر طفولته فجأة... ويشعر  
بأنه طراً في قلبه شيء... شيء ما لحفيده... ويظل ناظراً  
إلى جبين حفيده الواسع ووجهه الصافي.

## رمضان

### أَيْدُنْ حَاجِييْفَا

يجيب رمضان - ابن أختي - من يسأله عن اسمه بأنه «رمزان ملا»<sup>(\*)</sup>.

عندما يحل المساء تبدأ أُمِّي في التفكير بقلق: «ماذا سوف يعمل رمضان هذا المساء؟» رمضان في الثالثة من عمره، يبكي كثيرا، وينام نهارا، ويشبع من النوم، وفي الليل يبكي ولا ينام، وتتعب أُمِّي المسكينة وهي تحمل دائما هذا الولد الكبير. أحيانا، يقول: «اذهبي معي إلى بيت أسطى بابا، ليعطيني اللوز!» وتحمله أُمِّي المسكينة إليه.

وفي اليوم التالي يقول إنه يريد الذهاب إلى «إسلام بيه»، و«أريد أن أكل الشمام المجفف» و«أريد أن أكل الحلوى». وعادة ما يكثر ملا رمضان سياحاته في ليالي الصيف. ذات يوم وجدت أختي شريفة طريقة لتخوفه، ودخلت في الليل إلى غرفة الفرن وخرجت من هناك لابسة «الرداء الأبيض»، وخاف ملا رمضان وارتعش وسكت.

وسمع ملا رمضان همسات أمه وجدته، ومع حلول المساء أخذ عصا كبيرة ووقف أمام الفرن، وأما أختي شريفة فلم تستطع أن تقترب من الفرن وبيدها «الرداء الأبيض»، وملا

---

(\*) في اللغة الأوزبكية تنطق الكلمة المقتبسة من العربية التي تحتوي حرف «الضاد» بحرف «الزاي» وذلك نتيجة عدم وجود صوت «الضاد» في الأوزبكية ويلفظها الطفل بالزاي بدل الضاد - المترجم.



رمضان «مسلح»، وأمي تتادي: «يا أيها الرداء الأبيض، تعال هنا»، أما «الرداء الأبيض» فلا يستطيع أن يقترب من الفرن، ولا يلبس «رداءها»، ولا يخرج من الفرن.

والحارس لا يترك موقفه، ولا يخرج «الرداء الأبيض»، وتقول أُمي: «ربما ذهب الرداء الأبيض» لزيارة خالته.

وانتصر «الملاّ الباكي» على «الرداء الأبيض»، وفي منتصف الليل أصر على الذهاب إلى بيت خاله نظام، وحملت أُمي هذا الولد الكبير وذهبت معه إلى الخال، وملاً الخال نظام قبعة «الملاّ» بالزيب.

وفي مساء اليوم التالي بدأت السياحة إلى بيت «كيواني بيبي»، وفي بيت كيواني بيبي كان يوجد دائماً فطائر، وأعطته «بيبي» منها، وملاّت منديل «الملاّ» بالسكر.

وفي الطريق عند مدخل مستودع القطن أسقط «الملاّ» منديله، وبعثر السكر على التراب، وبكى وطلب منها أن تجمع السكر من التراب.

وتتمت أُمي بكلمات غير مفهومة وهي لا تعرف ماذا تفعل. وحينئذ ظهر شيء كبير أبيض، وبدأ يقترب منهما، خاف «الملا رمضان»، ولكنه لعق تراباً مرة أو مرتين، ثم بدأ يهرب إلى جدته، وهو يقول:

- يا جدتي، عاد «الرداء الأبيض» من بيت خالته. بعد هذا انتهت سياحات «الملاّ رمضان» ومغامراته الليلية.

وتقول أُمي إنه كان جنّاً، والله أعلم!

وكانت لـ «الملاّ رمضان» أفعال كثيرة. في صندوق الملابس الجديدة كانت أمي تحفظ حلوى وشوكولاتة مربوطة في المنديل، إنها زينة السفرة إذا جاء الضيوف.

ذات يوم فتحت أمي الصندوق ورأت المنديل فارغاً، ولم تجد الحلوى والشوكولاتة!

واستغربت أمي، وفكرت: «من فتح غطاء الصندوق الثقيل؟» ثم ابتسمت، لأنها وجدت أن هناك رزة غير موجودة. وقد أكل «الملاّ زمزان» كل الحلوى والشوكولاتة.

ولم تقل أمي شيئاً، ووضعت على المائدة في غرفة الضيوف زيبيا ومشمشا مجففا وفواكه أخرى.

وفجأة سمعت أصوات البكاء، وكان «رمضان» يبكي وقد استلقى في الممر تحت السقيفة الكبيرة، كان يبكي ويقول:

- حلواي، حلواي.

كان الولد قد أخذ قطعة كبيرة من مكعبات السكر وخبأها في سرّوالة، وعندما دخل دورة المياه سقطت! وهذا سبب البكاء مما جعل الجميع يضحكون!

وجاء «الجد الملاّ رجب» بحلوى كثيرة، وأعطاه.

وكبر «رمضان» وأصبح شاباً يستطيع أن يكسب مكاسب جيدة.

وكان زوج أختي يقول له دائماً:

- يا محب الحلوى! سأزوجك بنت بقاء حلواجي!..

ولم يتزوج «رمضان» بنت بقاء حلواجي، بل تزوج بنت الراعي «عرب»، واسمها «حرسندآي»، عيناها جميلتان،

وشعرها الكثيف يغطي كتفيها .  
ومن يرّ داره يغبطه . ومائدته مليئة دائما بالشكولاتة  
والحلوى . وإذا ذهب لزيارة أصدقائه فإنه يأخذ معه دائما  
كثيرا من الحلوى . والأولاد يحيطون به ويقولون :  
- يا «عم رمضان» أعطنا حلوى !  
وفي جيب «العم رمضان» دائما توجد الحلوى !

## الصف

### خورشيد دوست محمد

استيقظ العجوز رثيم قبل الصبح، ولبس ملابسه على مهل  
وخرج إلى الشارع. وفي مثل هذه الأيام إذا نام غافلاً، أو استيقظ  
ولكنه تأخر في الخروج ينادونه خلافاً لهدوء الصبح:  
- لل...ولي...م...ة..!

ويسمع هذا في أذنه كأنهم يقولون «صف...!»  
وفي الآونة الأخيرة أصبح العجوز رثيم يمشي مثل الطفل الذي  
بدأ يتعلم المشي، وكان يحس أن الدنيا تنتهي مثل ما بدأها بالمشي  
الحذر، وكان يستمع إلى صوت قدمه كأنها تعبر عن شعورها بشيء  
ما، وهو يمشي كل يوم أو كل يومين مسافة من باب بيته إلى عمودين  
للإنارة يجتمع عندهما الجيران. وأحياناً يشبه هذه المسافة بقياس  
العمر ومكانه في الصف بالختم الموضوع على هذا القياس.  
عندما يجتمع الجيران ينظر العجوز رثيم إلى أطرافه واحداً  
واحداً، ثم يبدأ يترأس المسير، ويمشي الصف ممتداً بخط معوج  
مثل تجعيدة على جبين العجوز.

يقوده العجوز، ويمسك يديه خلف ظهره لكي تكونا قوة في  
خصره. قبل أوقات قليلة كان الأب غلام يمشي أمامه، كان ضخماً  
وذا صدر عريض، ولا يترك دخان «بيلومور» من فمه، ونادراً ما  
يشارك في الحديث وهو يمسك سيجارته بأسنانه، وكان يمشي  
ساكتاً كأنه غاضب ممن حوله.

ولم يرقد الأب غلام مريضا في عمره ولا مرة واحدة، ذهبوا قبل يوم إلى حفلة عرس في الشارع المجاور، ولم يشك من شيء ما. وبالعكس، شكا العجوز رثيم وقال:

- «يا غلام، أنا لا أستطيع الذهاب إلى مسافة بعيدة، وإن لم أخرج من البيت، فتَرأس الجيران، واذهبوا بأنفسكم». ابتسم الأب غلام قليلا، ثم قال:

- «من عشر سنين لا تستطيع الذهاب، أليس كذلك؟» وأجابه العجوز رثيم بصوت حزين: «لقد تحيرت في أمري، وإن كان هناك نصيب لك فلن ينقطع...» انحدر الطريق عند منعطف الشارع المجاور، وقال العجوز رثيم: «لا أستطيع المشي في مكان مثل هذا، أكاد أقع». وأمسكه الأب غلام من يده وقال مازحا: «اطمئن، أنا وراءك، وسأمسكك من معطفك بنفسي».

تذكر العجوز رثيم هذا الحديث، وانقبض قلبه، شعر بنفسه كأنه يمشي في الظلام وحيدا، أما الأب غلام الذي يمسكه من معطفه فليس حاضرا، وفي اليوم التالي بعد ما تحدث معه مازحا... انقطع نصيبه من الدنيا. وباغت الفراق غير المتوقع العجوز رثيم، رحل الأب غلام وخالف ترتيبا عادلا في الصف.

ويشارك العجوز رثيم منذ نحو خمسين سنة في الولائم مع أهل البلاد. ويذكر يوم أجلسه أبوه، رحمه الله، أمامه، وقال:

- «يا بني، شارك مع أهل الحي، فأنا أكون سليما يوما، ومريضا يومين، وأنت رجل، وستخرج من بيتنا تلبية للدعوة»، يذكر كلام أبيه جيدا، حينئذ فرح من كل قلبه. أما اليوم فإذا مازحه أحد وقال: «أنت مازلت شابا» فإنه يقول «لا..»، ولكنه يفرح من قلبه.

في أول مرة شارك في الوليمة سلّم على جميع الجيران، كبارهم وصغارهم، ثم انضم إليهم، أي مشى في آخر الصف مكتوف الأيدي، واستمر هكذا خلال سنة تقريبا . وعندما بدأ يشارك ابن الجار الذي يسكن بعد ثلاثة بيوت، تقدم رثيم إلى المكان الثاني من الأخير، وشعر بنفسه آنذاك كأنه كُبر. ومرّت السنوات، ومعها ازداد عدد الذين يمشون وراءه، وإن لم يكن مكانه في وسط الصف ولكنه كان قريبا منه. وهو وإن كان الغرور يخالف طبيعته، كان يفرح من صميم قلبه بازدياد عدد الشباب المشاركين في الولاثم، وازدياد عدد الذين يتنازلون له عن الطريق، ربما كان يفكر في «أن الاحترام للإنسان يبدو ضروريا».

يوم بدأ رثيم يشارك في ولاثم حفلات العرس والتعازي توفي الجد عارف، وصارت قيادة الصف للجد مَحْكَم، الذي عاش حياة طويلة، وبلغ عمره تقريبا مائة سنة، أما الصف فطال ولم يقصر، وفجأة سلّم الجد محكم، ثم الخال حسين أمانتهما لله، وقال الكبار آنذاك «إن الجد مَحْكَم سحب وراءه الخال حسين». ثم، آه، قبل والده كان الجد رزّاق - الذي كان يمشي ويطلق برجله الخشبية - قد ترأس الصف، وبعده البستاني ميرجليل، وكان ابنه الصغير يطعمه في الولاثم، لأنه فقد يديه كليهما في الحرب... وبعد العجوز وهاب كانت «رئاسة» الصف لأبيه... أما الآن... فينظر العجوز رثيم في الجيران الذين يمشون وراءه وهم يتحدثون، واحدا واحدا... الطويل، ومتوسط القامة، والقصير، وذو الفخامة، وكثير الكلام، وسيئ الوجه... لا يشبه أحد الآخر... لا فرق لذلك في الصف، ويتبع الكل العادات العادلة في الحياة

بغض النظر عن نسبه وقدرته على الاكتساب، ويأخذ كل منهم مكانه في الصف وفق سنّه. ويتقدم هذا «المكان» إلى الأمام باستمرار، من الخلف إلى الوسط، ومن الوسط إلى الأمام، ثم ... يُترك الصف. وليس هناك طريق إلى الخلف، وليس هناك أحد يستطيع أن يؤخر وأن يعيد هذا «التقدم»، ولا تستطيع أي قوة أن تفعل ذلك.

ويشبه العجوز رثيم آخر الصف ببداية الحياة، وبداية الصف بنهاية العمر، أما الصف فيقارنه بالحياة نفسها.

وجاءت فكرة غريبة في بال رثيم حين تقدم «مكانه» إلى وسط الصف. نظر إلى الجيران... يبدو أن بعضهم يجامل بعضا ولكن توجد عداوة خفية بينهم، وهناك بعض الناس يحاولون أن يأخذوا مكانا في الصف قبل شخصين أو ثلاثة، أو على الأقل قبل شخص أكبر منهم سناً، وأمثالهم أحيانا يتجاهلون، وأحيانا يتعمدون أن يمشوا قبل ناس أكبر منهم سناً. وبيت العرس وبيت العزاء مكان مزدحم، وهناك ناس يعرفون بعضهم أو لا يعرفون، وهناك أصدقاء وأعداء. والحضور في آخر الصف في نظرهم يعتبر بالنسبة إلى أمثالهم عيبا وتحقيرا.

وكان بعضهم لا يتبع العادات غير المكتوبة لإقامة الصف، ويأخذ مكانا له قبل رثيم، ولكنه لم يقل شيئا، ولم يبد تأففه. ورغم ذلك لم يترك حسن التعامل ولم يُحرم من الاحترام. هيهات، راح عهد كان فيه «الأخ رثيم»، أما الآن فقد أصبح «العجوز رثيم». وفي هذه اللحظة جاءت في بال العجوز رثيم فكرة: «يا ليتّه كان في آخر الصف ولو موسما واحدا...» وقال لنفسه: «وماذا تريد أيضا،

يا رثيم؟ أنت رجل مسن محترم في هذا الشارع، وهل يتركك جيرانك في الخلف وهم يحترمونك؟...».

اختلطت خواطر العجوز رثيم، وتذكر كلام الأب غلام حين كان يشكو له من شيء بسيط أو مرض خفيف، فيقول: «أي رجل أنت، يا رثيم، ما دمت موجودا في الدنيا فتمتع بحياتك! وعندما ينتهي عمرنا ويأتي الأجل فيقول هيئ نفسك، فسنرحل أمامه. هل هذا أمر يوجع رأسنا؟...».

تضايق العجوز رثيم من مزح الأب غلام قليلا، ولكنه لم يبد غضبه، وقال له: «اسمع، في شارعنا عادة أزلية: من جاء إلى الدنيا أولا غادرها أولا، ومن جاء أخيرا غادرها أخيرا. والآن أنا أكبركم جميعا، وإذا جاء من يأخذك قدمني له وقل: هناك شخص أكبر سنا بيننا...».

لا، لم يفعل الأب غلام ذلك... ها هنا يأتي الجيران، والأقرباء، والأصدقاء القريبون والبعيدون إلى بيت الأب غلام للتعزية.

- أريد أن أكون في الخدمة قليلا، - قال العجوز رثيم لجيرانه، وجلس على أحد الكراسي بجانب الباب. ويأتي ناس صفا صفا ويدخلون بيت الأب غلام ويخرجون منه. «عند دخول دار العرس، وبيت العزاء، والمطعم أو المؤسسة - التي يجتمع فيها عشرة أو اثنا عشر شخصا - يمشي كبارهم أولا ثم صغارهم. هكذا عادات الإنسانية. ولكن...» يسند العجوز رثيم ذقنه على عصاه ويراقب بداية الصف ووسطه ونهايته، ويتأمل في الناس المختلفين، ويشعر بأن بعضهم يحاول أن يكون قبل أكبرهم سنا... ويبتسم.





## أعلى القمة

### خورشيد دوست محمد

إن أي إنسان يفكر في البحث عن اعتزاز شخصيته، ويبدع ليكسب مالا كثيرا، فيبني أحدهم عمارة، ويتمنى آخر أن يكون كبيرا وذا شأن في نظر المجتمع والبلاد، ويحضر شخص آخر قرن الثور، أو ينظم حزبا جديدا، ويكرس أحدهم حياته للكمال المعنوي، أما الإنسان المتقي فيبحث عن العزة عن طريق الإيمان والدين. لا شك في أن الصلاة معراج لكل مسلم وأن فريضة الصلاة أعلى من مرتبة الحج، لكنني آمنت بأن عبادة الحج هي اختبار لا مثيل له في إظهار جوهر الإنسانية التي تكمن في باطن كل مسلم، الحمد لله!

عندما أحرمت وبدأت أردد «لبيك اللهم لبيك...» كان الشك يملأ قلبي، وكنت أتساءل في نفسي: «هل سيكون الحج من نصيبي؟» ولا يترك الشك والخوف قلبي. تذكرت وجهي والدي ووالدتي، رحمهما الله، عندما سمعت أنني حصلت على جائزة سفر الحج كأحد الفائزين في المسابقة بين الأدباء المبدعين، يا ليت والدي يريان أن هذه السعادة كانت من نصيب أصغر أبنائهما التسعة الذين بقوا بعدهما! يا للأسف.

بدأت حديثي أن الحج عبادة لا مثيل لها، ولكل عبادة جهتان باطنة وظاهرة، وكل ما سمعت وقرأت عن الحج قبل سفري كان عبارة عن معلومات وتصورات عن شعائر ظاهرة لهذه العبادة.

وفي اللحظات التي أقلعت فيها طائرتنا إلى السماء بدأت أبحث عن حقيقة عبادة الحج، خصائصها المعنوية والباطنية والروحانية. ما الحج؟ وماذا يعطي الإنسان؟ وبأي شيء يفتني قلب المسلم؟ وهل يمكن أن يعي الكل قوته الروحانية؟ وهل يغير الحج طبيعة الإنسان؟ هذه الأسئلة وغيرها بدأت أبحث عن أجوبة لها لكوني شاهدا مباشرا.

ولم تغادر هذه الأسئلة خاطري، ونتجول في شوارع مكة المكرمة والمدينة المنورة، ونتمشى في مخيمات منى ليلا، ونبحث عن الطريق إلى عرفة في بحار الناس الذين أضاعوا مسارهم تحت حر الشمس، ونتجه إلى مزدلفة، لما وصلنا إلى عرفة لم نرتح ولم نتناول طعاما، وتشغل بالي تلك الأسئلة. وأشعر بأن قلبي لا يرتاح كأنه يلقني شيئا ما ونحن نقف على التلال التاريخية التي حدثت فيها معركة أحد، وعلى مقابر الصحابة السبعين المستشهدين، وحتى في الحالات الساحرة في المسجد النبوي، وأنداك أقررت بأنه يمكن إيجاد الهدوء والطمأنينة غير المتكررة في مكان واحد من الكرة الأرضية، وهو بيت الله المسجد الحرام في مكة المكرمة.

حين ندخل المسجد الحرام من باب السلام، ونطوف بالكعبة المشرفة، ونصلي ركعتين في مقام إبراهيم، وفي اللحظات التي نسهر فيها عند عتبة بيت الله يكون اثنان وسبعون وعاء دمويا وسبعون ألف حجيرة في مقام السعادة الإلهية. وفي هذه اللحظات ينسى الهوى كله، وتتحول الهموم والسرور الأرضية والمتاعب والمصاعب إلى ذرة لا قيمة لها، وتكون الدموع في عيون الإنسان

السعيد شكرا على وجوده في الدنيا، وتصبح الروح صافية، وتظهر الابتسامة في وجهك مثل الرضيع، ويتوقف خيالك عن التفكير، وتنسى الأسئلة وتقف وجها لوجه أمام البيت الحرام.

راقبت - من الطابق الثاني - الطواف حول كعبة الله، والذي لا يتوقف عن الحركة ولا لحظة واحدة، ثم من الطابق الثالث فترة طويلة، ثم نزلت إلى الفناء وغرقت في الطواف مرة ومرة أخرى، وحينئذ آمنت أن أعلى قمة في العالم ليست قمة إيفريست في جومولونغما، بل هي عند عتبة بيت الله، وفي قلب مسلم يسجد عند عتبة كعبة الله، هنا يبدو أي علو مادي ومعنوي منخفضا جدا. وعلى كل إنسان أن يستشعر هذه اللحظات ولو مرة واحدة في حياته، وعليه أن يذوق سرور هذه اللحظات، وأن يتطهر! وفي هذه اللحظات تنسى المشقة، وهي - أخيرا - علامة من علامات استجابة عبادة الحج.

تأوه أحد الحجاج في طريقنا إلى مكة المكرمة بعد أن أقمنا في المدينة المنورة ثلاثة أيام وهو يقول: «اشتقت إلى كعبة الله!» وارتعش جسمي، (يعذبني ذلك الشعور والاضطرابات التي لا يمكن وصفها أينما تذكرت ومتى تذكرت كعبة الله بعد مرور عدة سنوات على تلك الزيارة). نعم، سنعود بعد خمسة أو ستة أيام إلى بلادنا، وماذا نفعل عندما نشتاق إلى كعبة الله، ومن الطبيعي أن يشتاق قلبنا إلى عبادتنا في عتبتها؟

نصبر ونفتح أيدينا للدعاء، ندعو الله تعالى أن يقبل عبادة الحجاج وأن تكون هذه السعادة من نصيب إخواننا المسلمين الآخرين!



## قوس المطر

### نارمراد نارقابلوف

- هل تريد أن تهرب مرة أخرى؟

فوجئ الطفل الوسيم الذي كان ينظر إلى الخارج من خلال فتحة في الجدار الخشبي العالي، والتفت إلى حيث جاء الصوت وهو يغمز عينيه، كانت مربية الروضة تقف رافعة حاجبيها تحت شجرة المشمش.

هددت المربية الطفل وقالت:

- إذا هربت، سأعاقبك، وسأشد أذنك... هيا اذهب والعب مع زملائك!

توجه الطفل على مضض ناحية الأطفال الذين كانوا يلعبون في الفناء، وأخفت طفلة صغيرة دميتها خلفها كأنها لا تريد أن يأخذها منها، ولم يلتفت الطفل إليها، ورفع سيارة مكسورة كانت تحت رجليه، وأخذ يلعب بها، وسرعان ما شعر بالملل من هذه اللعبة، فرماها وبدأ يلعب في الفناء.

وكانت الروضة مملة جدا لهذا الطفل، وقد مر أكثر من أسبوع منذ أن بدأ يأتي إلى هنا، لكنه لم يتعود على الوضع الجديد بعد، ومازال يذكر اللحظات الحلوة التي كان يقضيها مع جدته، آه... لو كانت جدته هنا لما شعر بالملل أبدا.

كان الخروف الصغير في الحظيرة صديقا قريبا إلى نفسه، بعد تناول الفطور عادة ما كانت جدته تجلس في السرير تحت

كرم العنب وتنشغل بالخياطة، أما الطفل فيذهب إلى حيث قطع الغنم، ويبدأ يدغدغ الخروف الصغير الذي يستلقي في الزاوية، وفي البداية يسأله قائلاً:

- أين أمك؟

ويرد الخروف - كأنه يفهم كلامه - بصوت جميل لين «مااااا»، ويفسر الطفل هذا الصوت بنفسه، ويتأسف، ويقول:

- هل ذهبت إلى المزرعة؟

ويصدر الخروف صوتاً خفيضاً كأنه يشكو إليه، فيقلد الطفل جدته ويقول بشكل جاد:

- لا تبك، أصبحت شاباً كبيراً، وإذا بكيت كان عيباً عليك! وأخذ الطفل يمسح على ظهر الخروف، ويعجب الخروف فعله، ويشم يده ووجهه، ويمسح الطفل على رأس الخروف، ويلاحظ قرنه الذي بدأ ينمو، فيقول الطفل مندهشاً:

- ياه، ظهر لك قرن!

ثم يمسح بيده على رأسه وهو يقول:

- ليس لدي قرن، ولكن عما قريب سيكون لي قرن أيضاً، ثم نتصارع هكذا... ويضع جبينه على رأس الخروف كأنه يتصارع معه، أما الخروف فيتراجع ويهرب، لكن الطفل لا يتركه، والخروف يصدر صوت حزينا.

ويسمع صوت جدته آتياً من الفناء:

- يا نوربيك، لا تعذب الخروف!

ويغضب الطفل من الخروف، ويقول:

- يا لك من بكاء، ابتعد، ولن أَلعب معك، اعرف هذا!

وابتعد الطفل عن القطيع، وراح يراقب الكتاكيت البيضاء والصفراء في الفناء، وأراد أن يأخذ واحدا منها ليلعب به، ولكنه خاف من الدجاجة الأم، ومشى في اتجاه البستان الذي يفصله عن الفناء شبك من السلك.

لم يكن هذا البستان عاديا بالنسبة إلى الطفل، بل كان عالما ممتلئا بالعجائب، وفيه كثير من الأشياء التي تدهشه، فها هو مثلا، البرعم الذي شاهده بالأمس صغيرا قد تفتح اليوم وصار وردة بقدر كفه، ولونها وردي جميل، وأراد أن يمسك ساقها ليشمها كما تفعل أمه، لكن للوردة صاحبها، وقد أخذها قبله... ويطير النحل عن الوردة في الهواء، لقد سمع الطفل من جدته أن النحل يشرب عصير الوردة، ويهتم بمعرفة كيف يكون عصيرها، فدقق فيها النظر ولم يجد شيئا، فقال: «لقد شرب كل العصير!»، وأراد أن ينظر في وردة أخرى، لكن خياله ذهب في اتجاه آخر، لقد صُبغت جذوع الأشجار في البستان باللون الأبيض، كأنها تلبس سراويل بيض، ويسرع إلى جدته ويسألها صائحا:

- جدتي، يا جدتي! من فعل هذا؟

ترفع الجدة رأسها وتسال:

- نعم، يا بني! ماذا تقول؟

وأشار الطفل إلى الأشجار قائلا:

- من الذي جعلها هكذا؟

- أمك.

- لماذا؟

- لكي لا يتسلق عليها النمل؟



- وماذا إذا تسلق عليها النمل؟

- سيكون سيئاً .

كان الطفل قد سمع هذا الكلام من جدته كثيراً، فكلما فعل أمراً غير مناسب قالت له: «لا تفعل هكذا، سيكون سيئاً»، ومن وجهة نظر الطفل فإن شيئاً مدهشاً ومرعباً يكمن في طي هذا الكلام، ولكنه في هذه المرة استغرب كثيراً، لأنه أراد أول أمس أن يدخل عوداً في بيت النمل ليلهو به، فقالت جدته الكلام نفسه، وقالت: إن النمل لا ذنب له ولا ضرر منه، وقالت كلاماً آخر، أما اليوم...

ويسأل جدته:

- يا جدتي، لماذا سيكون سيئاً؟

- ماذا؟

- ماذا سيكون إذا تسلق النمل على الشجرة؟

وأحسّت الجدة أنها لن تتخلص من حفيدها بسهولة، ولذلك فهي تحاول أن تجد جواباً يناسبه... وكررت الجدة سؤال الطفل بتمهل:

- ماذا سيكون إذا تسلق النمل على الشجرة؟

وبعد لحظات من التفكير أجابت:

- سيخدش جذع الشجرة ولن تثمر.

اهتشم جلد الطفل وكأن النمل يتسلق عليه، ويذهب إلى شجرة التفاح الكبيرة ويرى منظراً مدهشاً، فعلى الرغم من أن جذع الشجرة قد وضع عليه حرير صخري بشكل مكثف فإن النمل كان يتسلق على الشجرة بكل سهولة، وأخذ الطفل

عودا يريد أن يبعد النمل، ولكنه لم يجرؤ على ذلك، فتردد لحظات.

وفي هذا الوقت اقتربت الجدة من حافة القناة، وكانت قد جمعت حزمة من الأعشاب الطرية، فأعطتها للطفل قائلة:  
- خذها وأعطها لخروفك!

رمى الطفل حزمة العشب التي يحضنها أمام الخروف، أما الخروف فنظر إليه وبدأ يأكل العشب، وراقب الطفل خروفيه بعض الوقت، وأراد أن يجرب أكل العشب، فأخذ قليلا منه، ووضعه في فيه ومضغه، فتغير وجهه من سوء الطعم، وبصق العشب، ومسح شفثيه بكمه ورجع إلى البستان، ووقعت عيناه على الكلب المربوط تحت شجرة المشمش، فأراد أن يلعب معه، واقترب منه، لكنه لم يتمكن من فك الحبل، فلجأ إلى جدته:

- جدتي، فكي حبل كلبتي!

- ولكن تصرفاته سيئة يا بني، إنه يخيف الكتاكيت.

- لن يفعل لها شيئا، وأنا أعدك.

وتبتسم الجدة لحفيدها وهي تقول:

- وهل اتفقت معه؟

- نعم!

فقالت الجدة:

- إذن انتظر حتى يعود والدك من عمله، أنا لا أستطيع أن أفك هذا الحبل.

ويصدق الطفل هذا الكلام، ويجلس بجانب جدته، ثم أخذ يساعدها في جمع العشب، ولكنه لم يكن يفرق بين الجزر

والعشب البري، وقطف الاثنين معا، فنهزته جدته، فرجع ثانية إلى البستان...



توفيت الجدة فجأة، فتغير عالم الطفل البسيط والفرح... كان والداه يذهبان إلى العمل في الصباح الباكر ويعودان إلى البيت متأخرين، فسجلاه في روضة الأطفال التي بنيت أخيرا في القرية، وشعر الطفل بالملل منذ اليوم الأول في الروضة، وفي اليوم التالي بكى في البيت رافضا الذهاب إلى الروضة، أما في اليوم الرابع فلم يكن يفكر بالذهاب إليها...

في ذلك اليوم حدثت أمور كثيرة مفاجئة، فعندما كان يتنزه في الفناء، نظر من خلال ثقب في الجدار إلى الخارج، فرأى عالما غريبا: رأى القناة الزرقاء تجري بين المراعي الخضراء، كما لاحظ أمامه جسرا خشبيا، وتحت الجسر كان الأولاد يسبحون وقد اسمرت جلودهم من طول تعرضهم للشمس، وهناك رأى ولدا طويلا نحيفا في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره، يجلس على حافة القناة وقد وضع صنارة في الماء، وعلى بعد قليل منه تمتد المراعي إلى التلال، وهنا وهناك قطعان من الخرفان...

لم يخرج الطفل من القرية ولا مرة واحدة، ولم تبعده جدته الحنون عن ناظرها!

وأخذ هذا العالم الغريب العجيب لبه وفتن خياله، فلم يشعر كيف خرج من تحت الجدار زحفا على حافة القناة، وذهب إلى الولد الذي يمسك الصنارة، وتلفت حوله، ووقعت عيناه على

الأسماك التي تتحرك في قدر صغير، واندesh وصاح:  
- ياه!

وضع الولد أصبعه على شفثيه وقال:

- اش اش! أنت تخيف الأسماك!

ولم ينتبه الطفل لما قال، وظل ينظر إلى الأسماك، ثم قال:

- أعطني واحدة منها!

نظر الولد إلى الطفل من رأسه إلى قدميه متفحصا،  
وسأله:

- ماذا تفعل بها؟

- سألعب بها.

ضحك الولد وقال:

- ستلعب بها؟ وهل السمك لعبة؟

- أعطني واحدة منها، أحب أن أَلعب بها!

وفي هذا الوقت تحركت الصنارة، فرفعها الولد بسرعة،  
ووقعت على العشب سمكة بقدر الأصبع، كانت تلمع في ضوء  
الشمس، وبدأت تتحرك، وسحب الولد الصنارة من السمكة  
ووضعها في القدر... ويرجوه الطفل قائلا:

- أعطني إياها!

- ياه، كم أنت لحوح مزعج، اذهب إلى روضتك!

- أنت بخيل!

ولم ينتبه الولد إلى غضبه، كان مركزا كل انتباهه في  
الصنارة.

وقف الطفل قليلا بجانبه، ثم أخذ غصنا كان قريبا منه،

ووضع طرفه في الماء، فسأله الولد مستغرباً:

- ماذا تفعل؟

ولم يرد الطفل عليه، لأنه كان متجهماً، ولاحظ الولد ذلك فضحك له من صميم قلبه، وقال:

- ومن يصيد السمك هكذا؟ وكيف يمكن صيد السمك من دون الصنارة... تعال، خذ الصنارة، امسكها جيداً...

وأخذ الطفل الصنارة بسعادة غامرة، ونظر في الماء منتبهاً، وشعر بنفسه وكأنه كبير، ونظر إلى الولد شاكراً.

وفي هذا الوقت بدأت الصنارة تتحرك بسرعة، وارتبك الطفل ولم يعرف ماذا يفعل!

وصاح صاحب الصنارة:

- اسحب، اسحب! اسحبها بسرعة!

أما الطفل فزاد ارتباكاً، وسحب الصنارة عندما مد الولد يده إليها، لكنه كان قد تأخر، فقد أكلت السمكة الدودة ومضت.

تمتم الولد وهو يضع دودة أخرى في غمازة الصنارة، وقال:

- يا لك من صياد ماهر! جعلت السمكة تهرب!

أحنى الطفل رأسه كأنه ارتكب ذنباً، وهدأ الولد من روعه بعد أن تمتم قليلاً، ثم أخذ سمكة من السلة وأعطاهها للطفل، وقال:

- خذ هذه السمكة والعب بها، والآن اذهب من هنا!

أخذ الطفل السمكة، ونظر إليها، وتفحصها، واتجه إلى الأولاد الذين يسبحون، وعندما وصل إليهم توقفت السمكة الصغيرة في كفه عن الحركة، ووقف الطفل حيران، وجاء ولد منهم إلى جانبه ثم جاء الآخرون وتجمعوا حوله.

- أهذه سمكة؟  
- كم هي صغيرة!  
- هل أعطاك رستم البخيل سمكة؟ كم هي جميلة!  
- انظروا... إنها ميتة!  
- ارمها في الماء، ستتتعش.  
- لن تتتعش!  
- ستتتعش.  
- هات، أريد أن أراها.  
ارتبك الطفل بين أصوات وضجة الأولاد، وانتقلت السمكة  
من يد إلى يد، ورماها أحدهم في القناة، ثم ابتعدوا عنه في  
حظة.  
أما الطفل فجرى فرحا وهو يقول: «انتعشت السمكة! انتعشت  
السمكة!».  
في ذلك اليوم رجع الطفل إلى البيت عند المغرب وقد  
توسخت ملابسه بالتراب، أما أمه فكانت تجلس باكية حزينة  
لأن الدنيا كانت ضيقة في عيونها، واحتضنته وقبلته ثم بدأت  
تسأله عما صنع في يومه، وأين كان، ومع من... لكنه لم يجب،  
وظل واقفا مندهشا صامتا، لأنه كان تحت تأثير انطباعاته  
اليوم، وبعد أن تناول طعامه وشبع، أراد أن يتحدث عن الولد  
الصيد، وعن السمكة التي عادت إلى الحياة في القناة، لكن  
التعب تغلب عليه فقال بعض الأشياء غير المفهومة، ثم غرق  
في النوم.



كان الطفل يلعب في الفناء، وقد غطت الغيوم وجه السماء،  
ونزل المطر، وتجمع الأطفال تحت السقيفة وهم يتصايحون.

وغطت طبخة الروضة القدر، وقالت:

- يا إلهي، إننا في بداية الصيف، فلماذا المطر؟...

أشارت مربية الروضة إلى التلال وقالت:

- انظري، المطر يهطل على التلال غزيراً!

قالت مربية أخرى متدخلة في الحوار:

- سيتوقف بعد قليل!

وفي الحقيقة، لقد صبت الغيوم السوداء التي جاءت من  
الشرق كل مائها على التلال، ثم تفرقت بعد ذلك غير قادرة على  
الاستمرار، وأشرقت الشمس، وبدأت رائحة العشب المبلل تنتشر  
في الهواء.

تذوقت الطباخة طعم الأكل في القدر وهي تصنع الشاي،  
وتجمعت النساء حول مائدة الشاي، وبدأن في الدردشة.



تذكر الطفل جدته مرة أخرى، وانتقل إلى الفناء وهو يتأوه  
حسرة عليها.

واستغل الطفل انشغال المربيات بالحديث، فزحف من خلال  
حافة القناة تحت الجدار إلى الخارج، ولم يكن أحد على شاطئ  
القناة، لكن هذا الأمر ليس مهما بالنسبة إليه، واتجه إلى الجسر  
متلفتاً يميناً ويسرة، وتستمر الحياة حوله: كانت القناة صافية  
أمس، أما اليوم فهي متعكرة لكنها سريعة، وفي مكان بعيد  
قليلاً ينتشر قطيع من الخرفان، ويتصارع خروفان بكل قوتهما،

وفي السماء يطير نسران يكادان يلمسان الغيوم، وهذا رجل  
يركب فرسا ويسرع في اتجاه المزرعة، ويتسابق ثلاثة أولاد على  
دراجاتهم الهوائية، وقد أخافوا حمار رجل عجوز يمشي في  
الطريق، وهدد العجوز بعصاه وهو يتمم بشيء ما...

كان الطفل يتأمل في الطبيعة حوله، وظهرت الشمس فبدأ  
جمالها بعد أن غطت الغيوم المؤقتة وجهها، واندesh فجأة،  
وهمس لنفسه: «يا، ما هذا!».

وفوق التلال يلمع قوس بألوانه الأحمر، والأزرق، والوردي،  
والأخضر، والأصفر!

واندهش الطفل من ألوان القوس المختلفة، وأسرع في اتجاه  
القوس من دون إرادة منه! وفي هذا الوقت...  
- يا نوريك!

والتفت خلفه، ورأى مربية الروضة تمشي بجانب الجدار  
مسرعة إليه.

- يا نوريك، ارجع إلى الروضة!  
وقف الطفل بين المربية والقوس مترددا...  
ليتها كانت جدته، فإنها كانت ستقوده إلى القوس.





## النقطة

### خير الدين سلطانوف

منذ أسبوعين بدأ المطر ينزل في «آجرا» بشكل متصل، وطال مثل هموم المريض. ومنذ أسبوعين يستلقي ظهير الدين محمد بأبر وينظر إلى حديقة نورا فشان التي فقدت جاذبيتها وبهاءها، واليوم رفع رأسه عن الوسادة، وها هو يجلس في غرفته الخاصة منفردا يكتب رسالته إلى كابل - إلى ابنه همايون.

في يوم الإثنين الماضي جاء سفيران من همايون ببشرى، وهما بيان شيخ وايس لاغري وبيكينه، وكان بابر ميرزا يعرف هذين الشابين الطريفيين منذ زمن قديم، عندما كان في سمرقند، وعيّنهما في خدمة همايون بسبب ثقته فيهما، وكانا رجلين عالمين فاضلين ذوي قلوب عظيمين.

وسرّ الخبر الذي جاء به السفيران قلبه المشتاق، مثلما يغطي موج البحر شاطئاً عطشان، ولكنه لم يجد في نفسه طاقة لكي يتحدث معهما في كل التفاصيل، فمنذ أسبوعين يشتعل جسمه بنار الحمى؛ وقد ازداد ألمه مع حلول البرد، ويوجعه الألم الذي طرأ على أذنه اليسرى، ولم يجد الأطباء الهنود ولا الأطباء العرب دواء له، وهو يعاني ألماً لا مثيل له.

أول أمس علق الحلاق فوطه على رقبتة وحلق شعره وزين لحيته، ونظر بأبر في مرآة في إطار ذهبي ورأى بعض شعر أشيب في لحيته، وشهق في أعماق نفسه وأغلق عينيه بلا قوة،

وفي ذلك الوقت جرح بيت علي شيريك الممتلئ بالحكمة والألم  
قلبه:

إن شيب اللحية هو بداية النهاية  
مثل الثلج على خضر النبات.

خضر النبات... نعم، واجه ربيع عمره موسم تساقط الأوراق،  
وبدأ يتساقط مثل الورق الأصفر. توفي والده وهو في التاسعة  
والثلاثين من عمره، أما هو فقد عاش حياة والده، وإذا أعطاه  
الله عمرا، فسيبلغ في هذا الشتاء الخامسة والأربعين. ولكن  
القدر الأزلي لم يطل في حياة الملوك، وإذا نجا من خنجر العدو،  
فلن ينجو من ضربة حسام الأجل المفاجئ. ويعرف بابر ميرزا  
تماما أن حياته التي سارت في المعارك مثل الأحلام المربعة  
تتجه إلى نهايتها. والآن لا يخيف وهم الموت قلبه، ولا يحيط  
به إحساس الندم، وخلال حياته التي تبدو خمسا وأربعين ثانية  
حينا، وخمسة وأربعين قرنا حينا آخر، تذوق الشراب المرّ للقدر  
بلا ندم، وتجوّل في الدنيا، وحازها، وعاش في الرخاء والشدة،  
واعترف بأن لذة الحياة ليست أبدية - مثل أي شيء في العالم -  
مهما كانت لذيدة، ولكنه يعرف أن هناك أمورا لم يكمل إنجازها  
بعد، وعليه أن ينجزها، وهذه الأمور أكثر من الأمور التي أنجزها،  
ولذلك ينظر ويراقب كل دقيقة وكل ثانية تمر بلا رجوع ببيكاء  
صامت.

أخذ رسالة همايون من صينية مطلية بالفضة وبدأ يقرأ  
من جديد، وبعد لحظة هزّ رأسه بأسف: أصبح همايون ملكا  
مشهورا، وأحرز انتصارات مرموقة في الشؤون الحربية، وأصبح

أبا سعيداً، ولكنه لا يزال صبيّاً وتدل رسالته هذه على أنه - وهو في العشرين من عمره - لا يزال صبيّاً، وقد كتبها بلطف زائد من البداية إلى النهاية، ولا تجد ولو جملة خالية من الحفاوة والاحترام.

«والذي يقدم هذه العريضة... وتحت حماية سلطان السلاطين... وكانت طلعة الشمس في برج الحوت، ونسي عبر النسيان...».

وتوقفت نظرة بابر ميرزا على الرسالة وهو حزين... أخذ بابر ميرزا همايون من صغره برفقته، وعلمه جميع العلوم والحرف التي يعرفها ولا يعرفها، وعلمه فضل الفضيلة، وتخيل أنه، إن شاء الله، أصبح إنساناً كاملاً بعناية الله، ولكن للأسف الشديد، يبدو أن هناك شيئاً لم يخطر في باله، من العيب العظيم على الرجل الذي حمل على عاتقه قيادة المملكة استخدام الألفاظ المغلقة وغير الواضحة في تأليف الرسالة، ولكن هل سبب ذلك في همايون فقط؟ وإن جميع الرسائل والمراسيم للديوان الرسمي، والرسائل المحلية التي تصل يومياً من كل أنحاء المملكة، والشكاوى والمعرضات تمتلئ بزركشة مثلها، تثقل كلها قلب القارئ إذا أراد أن يقرأها من البداية إلى النهاية، ولكن لا بد من قراءتها من البداية إلى النهاية ليرد على كل منها بشكل مناسب، ولا بد من الصبر على القراءة الكاملة، ولذلك لا مفرّ هنا إلا أن تطلب من الخالق تعالى صبراً، وليس من فضل العارفين ملء الصفحة البيضاء بكلمات فارغة مثل فقاعات الصابون، وللأسف لا يفهم هذا الأمر إلا أناس قليلون، ويفضل أكثرية الناس الذين يفهمون

ذلك الابتعاد عنه من باب الأدب.

ومد يده إلى قلم ودواة، وتأوه بهدوء، وجاءت على باله فكرة غريبة: عليه أن يكتب رسالة الرد بملاحظات لا تؤذي قلب همايون من جهة، ومن جهة أخرى، إذا فهم ذلك، تكون درسا له طول عمره... وبدأ رسالته بما يلي:

«تحية مشتاقة لهمايون وبعد،

لقد وصلنا بيان شيخ وبيكينه في اليوم العاشر من ربيع الأول، ولقد أصبحت الأحوال واضحة من الرسالة وممّن أحضرها...».

وتذكر فجأة أن حفيدا وُلد له، وقد أصبح من الآن جَداً، وشعر بارتياح في جسمه الذي كان غارقاً في الحمى: لقد وُلد مولود ذكر لهمايون من بنت يادغر طاغي... وأحس قلبه بالافتتاع. وتحت تأثير هذا السرور جاء في باله مصراع تلو الآخر:

«الحمد لله الذي أعطاك مولوداً

لك المولود ولي السرور والفرح!...».

وفجأة تذكر تلك الأيام السعيدة التي وُلد فيها همايون، وملاً فيها إحساس الافتخار قلبه.

لقد وُلد ابنه همايون في «قوس كابل»، لم تكن له ولاية، وليس له أمل في ولاية، وقد تشرد جيشه، وكان ذلك في تلك الأيام التي وجدوا فيها استقراراً مؤقتاً وهدوءاً مع المساكين الذين اضطروا إلى أن يأكلوا لحوم الكلاب والحمير من الجوع في حصار سمرقند، وعانوا عذاباً أليماً في طشقند وأنديجان ووصلوا إلى كابل، وأفرح المولود همايون قلبه المسكين. وكان

جميع حكام سلطنة تيموربيك حتى ذلك الحين يسمون ميرزا، وأمر في تلك السنة بتسمية نفسه ملكا، وأرخ الشاعر مولاني سيدي يوم ولادته: «سلطان همايون خان»، أعجب هذا الاسم بابر وأهله، وعُرف المولود للشعب باسم محمد همايون بعد أيام ثلاثة أو أربعة.

يقولون إن إعطاء اسم مناسب للمولود فرض على الوالد، وكان يسعى إلى ذلك بقدر إمكانه دائما، وعندما وُلد ابنه الثاني سماه كامران راجيا له السعادة في عمره، وعندما وُلد ابنه الثالث حضنه وسماه: ميرزا عسكري وتمنى له شجاعة العساكر، وعندما استولى على الهند أعطاه الله ابنه الرابع، وسماه هندال كذكرى لأيامه المجدة، وأكرمه الله بثلاث بنات من أم واحدة، وسمى هؤلاء البنات الجميلات مثل أوراق الزهرة بأسماء الزهور الجميلة: كول رانك بيغيم، وكول جيحره بيغيم، وكول بدن بيغيم... ها هو الآن، رزقه الخالق بسعادة الحفيد.

«ليعط الله هذا الفرح لي ولك دائما، آمين يا رب العالمين - واصل رسالته - سميته الأمان، بارك الله فيه، وكتبته بنفسك، وغاب عنك شيء، من كثرة استخدامه يقول العوام «الأما»، أو «إيل أمان» ومن النادر استخدام ال التعريف في الاسم...».

وغرق في الخيال وهو يستند إلى وسادة من الريش، ما الذي كتبه كاتب الرزق لهذا المولود؟ هل كتب له ملك السلطنة، أو شهرة القادة، أو رتبة العلامة، أو قسمة الشاعر؟ وبأي فضل وكرم رزقه الخالق، وهل مستقبله منير أم مظلم؟

يخطئ الذين يقولون إن إرادة الملوك في أنفسهم، وفي هذا

العالم يتبع الملوك والأمراء دائما لغيرهم، لمن أقوى منهم، ويتبعون لإراداتهم. ولذلك في أكثر الحالات يكون الأجداد والآباء، والآباء والأبناء في نزاع مستمر. كان سلطان ميرزا أولوغ بيك رجلا من الرجال الأفاضل في زمنه، وقتل عبد اللطيف - ابنه المشؤوم - أباه لأجل هذه الدنيا الفانية، وكان السلطان حسين ميرزا ملكا ذا خبرة عظيمة، وفي شيخوخته أغرق يده في دم حفيده البريء مؤمن ميرزا. ويا للعجب، كم كان فرح ميرزا أولوغ بيك عندما وُلد قاتل الوالد عبد اللطيف، وهو فرح مثل جميع الآباء الذين حلموا بالمولود! ومن يعرف، وماذا إذا عرف أن هذا الرضيع الذي كان يتمطق بلا ضرر في المهد سوف يقطع ذات يوم رأسه العزيز والمحترم الذي علا إلى السماء... أو كم كان فرح السلطان حسين ميرزا عندما بشر بمولوده مؤمن ميرزا، وكم فرح بأن هناك سببا للحفلة؟ يا رب، ارحمنا من بليات مثلها!

«بارك الله في اسمه وجسمه، وأسعده وحفظ الله «الأمان» لي ولك خلال سنوات وقرون بالدولة والسعادة».

وتمنى همايون استشارته، وقد عرض بعض ملاحظاته فيما يتعلق بأمور الدولة، وانتبه بابر إلى تلك الأماكن وفهم أن ولي العهد على استعداد لإنجاز حلم سمرقند وأنديجان... لقد كانت رغبة شديدة تعيش في قلب بابر منذ سنوات، ولكن هل يعرف همايون أن هذه الرغبة المقدسة صيحة تشتعل في قلبه؟ أم أنها غبطة البطولة لهمايون، أو أنها رغبة جاذبة عادية في سبيل الحكم؟ يا ترى، كم مرة استعد، وكم سنوات انتظر فيها فرصة مناسبة، وعندما حانت الفرصة... انتظر الجراءة، ولكن لم يجد

جراً، هل يستطيع أن يروي بدم تلك البلاد التي تشبه الجنة؟ إنها مسقط رأسه، ويرتعش قلبه عندما يتذكر... هل يبطش بأقدام الفيلة في أماكن مقدسة لأجداده وآبائه؟ وماذا سيحصل فيها؟ مجدا وارتياحا؟ ألا يخدع نفسه عندما يفكر: «إني وجدت مرادي»، وسوف تذكره الشعوب بلعنة؟ لا، لا يستطيع أن يتصرف من دون حساب المخاطر، وفي الوقت نفسه ليس معقولا أن يوقف ولي العهد البطل ويحد من شجاعته، وهو في عمره المزدهر، وذو قلب مملوء بالشوق للظفر والتمتع بالمعارك. ومن يعرف أن السعادة التي لم تتيسر للوالد ستكون من نصيب الابن؟ وفكر قليلا واستمر في رسالته:

«وكذلك أمرنا كامران والحكام الآخرين بالانضمام إليك في حملة حصار أو سمرقند أو أطراف أخرى في إصلاح الدولة، وبغناية من الله تعالى، سوف تنتصرون على الأعداء، وسوف تفتحون البلاد، وتجعلون الأصدقاء سعداء، والأعداء أذلاء، إن شاء الله. حان وقتكم لرفع السيوف... وإن تيسر بغناية ربنا فتح ولايتي بلخ وحصار، فليكن رجل لك في حصار، ورجل لكامران في بلخ، وإذا تيسر بغناية الله فتح سمرقند أيضا - فجأة اقشعّر جسمه - فاجلس أنت في سمرقند...».

أوه... هل ستأتي تلك الأيام السعيدة؟ أصلا، لم يكن حسن الطالع من نصيبه، وكان سوء الطالع بلاء في حياته. وليكن أولاده ذوي حب ومروءة وأدب وسخاء تعويضا لفقدان وطنه. والشكر لله، لم يكن حتى اليوم أي نزاع بينهم، وهل ستستمر هذه الأخوة بهذه الصورة؟ أو سيحدث مثلما حدث بين الأولاد الثلاثة



للسلطان حسين ميرزا وأولاد الزنا الأربعة عشر له، والذين كانوا في نزاع مستمر. ومادام هناك طمع في الملك فهناك قلق وبلاء في النفس ووسواس من الشيطان عليه اللعنة!.. وكم عانى بنفسه عذابا بهذا الشأن! كان له أخ من أبيه، اسمه جهانكير ميرزا، وصار بينهما نفاق وتكدير! وحاول الأخ دائما أن يؤذيه، ونجا من بين مخالف شيبانيخان واتجه بقلب مكسور إلى أنديجان - بلاد أبيه، وأغلق أخوه أبواب المدينة في وجهه. لا، لم يقل العاقلون هذا المثل الفارسي العجيب بلا سبب:

ده درویش در کلیمی بخسبند

دو پادشاه در اقلیم نکنجند....(\*)

ولا بد من التأكيد أن على همايون أن يتعايش مع إخوانه، لأنه هو الأكبر، ويجب عليه أن يكون بخلق واسع ومتحملا لهم.

«لي لوم صغير عليك، - كتب في بداية سطر جديد - لم يأت شخص من عندك منذ سنتين أو ثلاث. وأما الرجل الذي أرسلته إليك فعاد بعد سنة. هل هذا معقول؟».

وفي هذا الوقت بدأت تؤله أذنه اليسرى بشدة، وشعر في رأسه ضيقا كأن أنشودة في جبينه تحكمه بشدة، وتقشعر أعضاء بدنه، واستلقى على وسادة بلا قوة من جديد وترتعث يده التي تمسك القلم.

إنه يعرف جيدا سبب داء أذنه، ولم يجد الأطباء دواء له وهم حيارى.

منذ عشرين سنة وقع في عاصفة الثلج القاسية في «كوتالي

---

(\*) (باللغة الفارسية) تتسع السجادة الواحدة لعشرة دراويش، ولا يتسع الإقليم الواحد لسلطانين.

زّرين». والمرشد المسن، واسمه سلطان بيشاي، أضع الطريق إما بسبب ارتبائه في البرد أو بسبب كبر سنه، وازدادت شدة سقوط الثلج في المساء. وذهبوا في طريق اقترحها مصرًا قاسم بيك، وقال إنها أقرب، وخجل الرجل، وأخذ ابنه إلى جانبه وتقدم إلى الأمام وهو يفرق في الثلج ويفتح الطريق. ويزداد الثلج الذي تساقط بحبات كبيرة من لحظة إلى لحظة، أما الصقيع الذي يعصف عبر الطريق الجبلي، فهو يضرب الوجوه والعيون والأيدي والأرجل وكأنه يضرب بمئات وآلاف من العقارب، وانتهى صبرهم عندما وصلوا إلى مكان يسمى «هوالي كوتي» وقرروا المبيت هناك، بعضهم على الخيل، وبعضهم صنع مأوى من حجر الثلج بنوع ما، وآخرون في عيونهم دموع... وأخذ في يده مجرفة، واقترب من الغار وبدأ يزيح الثلج، وأزاحه بقدر ركبتيه، ثم بقدر خصره، ثم بقدر صدره - ولم تظهر الأرض بعد. ونزل في حفرة من الثلج، وجلس فيها وأحنى رأسه، وبدأ له كأنه وجد مأوى من الصقيع الذي يهب وكأنه يقصد هدم العالم كله، وانسحب وهم الموت. وجلس صامتا صابرا وأسنانه تصطك، وفي قلبه ألم مثل حرارة الصيف، وفي جسمه صقيع الشتاء وهو ينظر في السماء الغامضة المظلمة مثل قلبه، وبعد فترة جاء إليه رجلان أو ثلاثة من «البيك» - الحكام وقالوا له: «ادخل الغار، هناك مكان أفضل للحفاظ على الحياة»، ورفض رفضا قاطعا، كيف يستطيع الذهاب إلى الغار وجميع جنوده هنا في مخالب العاصفة، يرتعشون، وهو يذهب إلى الغار الدافئ وينام في هدوء!... لا، هذا الأمر مخالف للمروءة، وغريب عن

مبادئ التضامن، وسوف يتحمل كل أنواع المشقة في صف واحد مع الجميع، وإذا جاء أجله سوف يموت مع الجميع! جلس هكذا كأنه نزل في حفرة ولم يتحرك، وأما الثلج فازداد بشدة، وعندما حان وقت صلاة العشاء كان الثلج قد غطى كتفه ورأسه وأذنيه بمقدار أربع أصابع. وأصاب البلاء، يا له من بلاء، أذنه آنذاك، ومرة أخرى، عاش يوما باردا آخر وعندما وصل إلى شاطئ النهر، فاقشعرّ الجيش ونزل بأبر عن الجواد بسرعة واقترب من الشاطئ، وثقب الثلج، وغطس في النهر ست عشرة مرة.

نعم، هل بقي هناك أي بلاء للدهر لم يعاينه؟  
وضع كفه على أذنه اليسرى وصبر مدة، بدا له أن الألم قد خف، وانحنى على رسالة همايون من جديد.

ما هذا؟ في الرسالة كتبت كلمات عن الوحدة، وعذاب الوحدة، وبقي بابر حيران: من أين هذه الصيحة والندم في قلب شاب في العشرين من عمره، وهو في عمر مزدهر؟ وهز رأسه بالعجب... وقال في نفسه: يا بني، أنا ما كنت أعرف بلاء الوحدة، ولكن أحبيت أن أتعذب فيها!..

ونظر في السقف، وجمع أفكاره وواصل كتابته بسرعة:  
«كذلك تحدثت في رسالتك عن الوحدة وعذابها، وهذا عيب للملك، وقد قالوا:

اكر پايندي رضا پيشكير  
وكر يك سواره سري خويش كير(\*)  
لا يوجد في أي مكان حكم لملك كما يحب، ولا تتناسب الوحدة

(\*) (بالفارسية) ومعناه: إن كنت مقيدا فاتبع طريق الرضا وإن كنت فارسا فكن معتدا بنفسك.

مع إدارة المملكة....».

وفي الحقيقة، هل رأى أحد أن غبطة الملك تتناسب مع غبطة الوحدة؟ إن الرجل الذي أراد الوحدة لا يأخذ على عاتقه سياسة الملك.

وعليه أن يعلق كيسا في رقبته، ويذهب في طريق الدراويش، أو يختار طريق الزهد. وفي الحقيقة، كيف تعرف ما هي الوحدة، يا بني؟ هل أصبحت يتيما من والدك الحبيب في الثانية عشرة من عمرك؟ هل توجوك ملكا وأنت صغير ولم يبرد تراب قبر والدك ولم تجف الدموع في عيونك؟ هل تبعثرت لحظات طفولتك البريئة وأوقات مراهقتك الجريئة مثل أوراق متساقطة بين الدم والمعارك؟ هل رفع العدو سيفا على رأسك؟ هل بصق أشقاؤك على وجهك وانضموا إلى عدوك وحرموك من وطنك؟ هل اشتاق قلبك إلى بلاد أمك وقد حُرمت منها إلى الأبد؟ هل تشردت في بلاد بعيدة تحت كره شعوب الغير وطوق اللعنة؟ هل قدمت الملكة بيذا لك سمّا وأنت في سن الشاب؟ هل غرق فصل الربيع المزدهر من عمرك في بحر الغفلة والشراب؟ لماذا تننّ، يا بني - أيها الملك محمد همايون؟ وما سبب هذا الأنين غير المحدود؟

وفي الوقت نفسه بدا له كأنه وجد جوابا عن هذه الأسئلة التي لا حساب ولا حد لها: إن سبب هذا الأنين يكمن في الحياة، وفي الإنسانية؛ فإن الإنسان الحي فقط قادر على أن يقاسي الألم والمعاناة، وأن يعلو عليهما وأن ينتصر على جميع مشقات الحياة. في الدنيا يحرم الميت من معاناة الألم مهما كان شأنه،

لأن التألم الإنساني هو علامة الحياة وصوت الأمانة الحية، إذن، لم يضع جهده وتربيته - وينظر فيما حول همايون ويملاً قلبه بالألم، ويفحص قدمه بقلق. إذن، وجدانه في قلبه يقظ، وعدله وإنصافه حي. بارك الله فيك، يا ابني، - همس في نفسه - بارك الله فيك، يا بطلي!.. ولكن في الوقت نفسه غمره به إحساس بالقلق وأبرد قلبه: ومن الصعب أن يكون همايون ملكاً برقة قلبه هذه ودماثة أخلاقه، إنه صعب جداً!

وأحاط القلق بقلبه وبحث عن سلوى في رسالة ابنه، كان همايون صاحب خط حسن، ولكنه قرأ بعض الكلمات في الرسالة بصعوبة، وفهم معناها تخميناً.

«كما قلت، إنك قد كتبت هذه الرسالة ولم تقرأها، لأنك إن أردت قراءتها لم تستطع - بدأ يكتب بقلق - يمكن قراءة رسالتك بعناية جيدة، ولكن فيها ألفاظاً مغلقة، ولم ير أحد مشكلة في النشر. والإملاء عندك ليس سيئاً، ولكن فيه بعض الأخطاء، كتبت التفات بالباء، والقلونج بالياء. ويمكن قراءة رسالتك بهذه الطريقة، ولا يفهم المقصود بهذه الألفاظ المغلقة، وهذا سبب قلة كتابة الرسائل غالباً، وتريد أن تستخدم المحسنات البديعية ومن هنا تكون الرسالة غامضة، وبعد هذا اكتب الرسائل من دون تكلف وباستخدام الألفاظ الواضحة؛ وسيكون الأمر سهلاً لك وللقارئ. وتوقف عندما وصلت الرسالة إلى هذا المكان، لأنه يعرف أن السبب ليس في همايون فقط، ومنذ وقت طويل اقتنع بشيء، أن الإملاء العربي غير مناسب للشعب الناطق بالتركية. ربما صنع العربي إملاءه بما يناسب لسانه.

وكان ذلك وهمّ على وشك خوض معركة عظيمة.  
كان له بيك اسمه ينكيبيك، أرسل رسالة إليه، وأخبره فيها  
بأن هناك طريقاً سرياً في شيرغاري، يمكن القيام منه بحملة  
مفاجئة على العدو، وأمر في الفجر بالحملة وساروا عبر  
شيرغاري، وعندما وصلوا قابلهم حشد كبير من جيوش العدو،  
وقُتل كثير منهم وتكبدوا خسائر جسيمة، ونجوا بصعوبة. وطلبوا  
غاضبين حضور ينكيبيك، واستجوبوه، وأقسم بالله العظيم، أنه  
رأى طريق شيرغاري بعينه، وانتظرهم حتى المساء مستغرباً  
ولم يأت أحد، ثم قاموا بتحقيق الرسالة مرة أخرى، ووجدوا أن  
هناك غلطاً في وضع النقطة في شيرغاري، ولم ينتبه ينكيبيك  
إليه ربما من بطء فهمه، أو كسل تفكيره، وكاد يقع في سوء  
الحظ بسبب سوء الخط.

لقد مضى زمن طويل منذ بداية استخدام الخط العربي،  
ولكن، يا للعجب، كيف لم يدرك العلماء العظماء والملوك الناطقون  
بالتركية عدم توازن هذا الخط مع لغتهم؟ ربما أدركوا ولكن هناك  
مسألة الأدب عرقلت جرأتهم. لا أحد يجرؤ أن يعرض فكره  
علناً، وسبب ذلك أن القرآن الكريم كُتب بهذا الخط بالذات، وأي  
بطل يجرؤ أن يقوم بإصلاح الخط الذي كتب به كلام الله؟ ولكن  
ليس العرب فقط، بل هناك شعوب مختلفة ناطقة بالتركية هم  
عباد صادقون لله تعالى، ولذا، عليهم أيضاً أن يكون لهم خط  
ليحمدوا الخالق. ولفهم ذلك يكفي إيقاظهم من الغفلة والجهالة.  
إذن، من وجهة النظر هذه، إن الإصلاح حاجة طبيعية، ليأخذ  
بعين الاعتبار فيه لغة الشعب الناطق بالتركية. وقبل كل شيء

لا بد من التخلص من الفتحة والكسرة، وإزالة النقط التي تتعب عيون العقل، ولا بد من حد لاختلاف شكل الحرف، حتى يُضْمَن شكل مستقر قطعي للإملاء، وليكسب الإملاء بساطة عجيبة، تقضي على جميع الوهميات.

كل هذا يحتاج إلى الجرأة فقط!

وتجراً هو على ذلك فألّف إملاء جديداً، وعرض المشروع الذي اخترعه على العلماء والفضلاء، وحاول إقناعهم بإيجابياته.

للأسف، استمعوا إلى كلامه في كل مكان بهدوء، ولكن تعبيرات وجوههم كانت تكشف قلقهم. وهكذا لم ينل الخط البابري إقبالا جادا.

ولكنه لم يتراجع، ومضى إلى النهاية، وأمر الخطّاطين بنقل القرآن الكريم بالخط البابري، وأرسل نسخة إلى مكة المكرمة... وفي النهاية حصل ما يلي:

ذات يوم حضر العلماء الكرام المحترمون إليه بحفاوة وتكريم، ودعوه «ليحذر من بعض الحركات غير المناسبة». لقد احتفظوا بالاحترام الظاهر، وتبين في لهجتهم القلق الجاد الباطن. إن الله واحد أحد، ومحمد رسول الله، ويؤمن به ظهير الدين من صميم قلبه، وعليه أن يؤمن بأن خط كلام الله وحيد وثابت، وأن يعلم قبل أي أحد أنه إذا اشتبه أحد يشبهه في اعتقاده.

استمع إلى كلام علماء الزمن بهدوء، وعض شفثيه بألم، واعترف بأن حلمه أصبح سرايا بعيدا عن حد الإمكان. لأن القائد مهما كان صالحا لا يعارض آلافا من العساكر الذين أمامه، هذا ضد العقل، ومحكوم عليه بالهزيمة. وإن كان

صارما مرة أو أخرى، ونفذ حكمه، ولكن في هذه المرة لا مجال إلا للانسحاب.

استمع إلى كلامهم وتذكر نصبات المنجم محمد شريف، وكان هذا الرجل متكبرا وينظر في النجوم، ولكن دائما يحدث عكس ما يبشر به، ولذلك لم يحبه فيما بعد، وهو أيضا يسعى إلى ألا يلتقي معه، وحُرم هذا المنجم التعميس من إمكان الحديث إلى الحاكم، ولذا كان يسحب أي واحد يلاقيه إلى جنب ويهمس إليه: كأن المريخ انحرف هذا المساء إلى الغرب، ومن يحارب في هذه الجهة ينهزم، ويكسر كلامه قلوب العساكر المترددين أكثر فأكثر، وفي النهاية عندما لم يترك الحديث عن أخبار الشؤم اضطّر إلى أن يطرده من ديوانه. أما هؤلاء العلماء فليسوا مثل المنجم محمد شريف، إنهم علماء الشريعة، ويصلي مئات الآلاف من المؤمنين خلف أي واحد منهم.

فجأة تذكر حدثا حصل في إحدى مدن غزنة، قالوا هناك قبر إذا دعوا فهو يهتز، وذهب بنفسه وراقب طويلا، وبدا كأن القبر يهتز، جلس هناك، وفكر مدة، وأصبح واضحا أن المجاورين صنعوا حلقة، كانوا يحركونها من وقت إلى آخر من دون أن يلاحظ أحد، وعندما تهتز الحلقة، يبدو كأن القبر يهتز - مثلما يبدو لشخص ركب سفينة، وهو لم يركبها من قبل، كأن الشاطئ يتحرك. انطلاقا من هذه الفكرة، أمر المجاورين بأن يذهبوا إلى مكان بعيد عن الحلقة، فبعدوا كثيرا، ولم تلاحظ أي حركة في القبر، ابتسم وقبل أن يعود أمر بهدم الحلقة، وبناء قبة عليه، وكذلك أمر المجاورين بحزم بالأا يقوموا بأعمال الكذب والنصب



بعدها . نعم، هم كانوا مجاورين متجولين ويستطيع أن يأمرهم،  
ولكن مع أهل العلم بحضوره .

وهكذا نُسي «الخط البابري»، ثم في وقت لاحق عندما فُتح  
الحديث في هذا الموضوع رأى في وجوه الناس المقربين له إظهار  
عدم الرضا والتعجب بدلا من التأييد .

ولكنه كان متأكدا من أنه سيأتي وقت يفهم فيه أبناء الشعوب  
التركية أن إصلاح الخط العربي لا بد منه، وسوف يتذكرون  
«الخط البابري» آنذاك بالأسف .

إن كان الأمر هكذا فلا داعي للغضب من همايون . ومن  
الأفضل أن يرسل إليه نسخة من الخط البابري، ولكامران ميرزا،  
والحاجة كلان بنسخة منه، وقد تستفيد منه في يوم ما .

وبدأ يختتم كتابته كأنه وضع حدا لأفكاره، وتمنى أن يقول  
كلمتين أو ثلاثا من النصيحة في نهايتها :

«قبل البدء في عمل عظيم لا بد من استشارة الحكام التابعين  
لك، وأن تأخذ آراءهم .

وإن أردت رضاي فعليك أن ترفض الوحدة وقلة الاختلاط مع  
الشعب، وادع أخاك والحكام التابعين لك ليحضرُوا عندك مرتين  
في اليوم ولا تتركهم لحالهم، وعليك اتخاذ القرار بالاتفاق معهم» .

وكان تردد قليل في مكان ما في قلبه بما يخص حملة  
ما وراء النهر مهما تمنى لأبنائه ظفرا ونصرة، ولذلك وجد أن  
من الضروري أن يوصي همايون بوصية كانت في أعماق قلبه :

«لقد أحرزت فتوحاتي وانتصاراتي عندما كنت في كابل،  
ومسكتها اليوم وجعلتها خالصة، ولا طمع لأي أحد منكم فيها» .

اقشعرّ جسمه فجأة، لأن كابل أصبحت له بلدا بدل بلده،  
ووطننا بدل وطنه،

وإن كانت العودة إلى الوطن ليست من نصيبه فهو يوصي أن  
يدفن في إحدى حدائق كابل التي بناها بنفسه، وتُمنى أن تهب  
نسائم طيبة من جهة النهر المقابلة عندما ينام نوما أبديا في  
التراب الحار واللين.

وتأثر كثيرا وكتب الجملة الأخيرة بسرعة: عليك أن تجمع  
الجيش بشكل جيد، وهنا بعض كلمات شفوية يعرفها وينقلها  
إليك بيان شيخ.

وتقبل تحياتي المشتاقة.

كُتب في اليوم الثالث عشر من ربيع الأول.

هكذا أنهى بابر رسالته ووضع نقطة.

وهنا نستطيع أن نضع نقطة للقصة، ولكن هناك ملاحظة  
صغيرة، لم تتسع لها القصة، ونرجو ألا يتهمنا القارئ على  
تعبيرها هنا.

وإن شخصا ذكيا مثل بابر عانى عذابا طويلا بسبب النقطة -  
وأثبتته الحياة - يا للعبة الدهر، فقد عانى بابر حتى بعد وفاته  
جبر الفتحة والكسرة - كُتب اسمه خلال سنوات طويلة بشكل  
بابر (الباء الثانية بالكسرة)، وقبل الاحتفال بمرور خمسمائة  
سنة على ولادته، صاح عالم ذكي وقال: «إنه ليس بابر، بل بَابِر»  
(الباء الثانية بالضم)، وتم تصحيح الغلطة المنتشرة المشهورة.

وهذا هو تاريخ وقدر وموقع نقطة واحدة.  
تم. نقطة.



## عروس من المدينة

### نرجيزة غلاموفا

طرد نور الصباح عتمة الليل، ولكن الشمس لم تشرق بعد، تحجبها الجبال العالية، وقد نبحت الكلاب، وصاحت الديوك، وبدأت القرية تنهض، وفي أفنية البيوت ظهرت الكنائس يحملن المكنس والدلاء، وإن حرمت نفسك من نومك اللذيذ، فإنك ستشاهد مشهداً عجيباً: لبست الكنائس كلهن فساتين زاهية الألوان، وأرواباً وسراويل من الديباج والتفتا، كأنهن خرجن لعرض الملابس الشعبية وليس لكنس الشوارع، وبدأ جمال الشوارع بعد الكنس والتطظيف، وظهرت الأزهار والأشجار بجمالها، وأشرقت الشمس من خلف الجبال، أما أبواب البيوت التي ليس فيها عرائس فتفتح بعد وقت، وفي إجازة نهاية الأسبوع تشفق الأمهات على بناتهن اللواتي بلغن سن الزواج؛ فيتركنهن حتى يشبعن من النوم ويستيقظن بأنفسهن، وعندما ارتفعت الشمس عن الأفق فُتح باب في آخر الشارع وخرجت رنا، كانت تلبس روباً قطنياً بالياً، وتلف على رأسها شالاً ذا نقشة صفراء، ورشّت الماء من الدلو على الأرض بلا رغبة، ودخلت البيت متجهة إلى غرفة النوم، واستلقت بجانب زوجها الذي كان يغط في نوم عميق، واستيقظت الخالة جنت على صوت أقدام كرتها، «ها هي قد انتهت من رش الماء، فهل دخلت المطبخ؟ لا...» ونهضت الخالة جنت بتجهم وبدأت تجهز الفطور، وهي تضع الصحون والكؤوس

بقوة لتصدر أصواتها هتته النائمين، وأحسّ الأخ قُدْرَتَ بتعكّر مزاج زوجته من مسكها الإبريق.

- أين الآخرون؟

وعض لسانه في الحال، فلم يكن هناك من داع لأن يسأل سؤالاً يثير حساسية زوجته.

- أين يمكن أن يكون الآخرون في الصباح الباكر؟ ربما ينامون في أحلامهم اللذيذة، أهنية الناس نظيفة جدا، ويمكن لحس العسل إذا وقع عليها، أما فناؤنا فيكنس سطوحيا فقط، لقد مرّت سنتان ولكنها لم تتعلّم حتى الآن، والأدهى من ذلك أنها أصبحت كثيرة النوم، كم قلت لك إن عروسا من المدينة لا تناسبنا! كانت الخالة جنّت تتحدث وهي تصيح بأعلى صوتها، كأنها تخاطب الجيران وليس الأخ قدرت.

- ربما.

- من أين؟ كيف؟ كان من الممكن أن تتجب أولادا كثيرين، ولكن ليس هناك أمل في كنتكم هذه؛ إنها إذا هبّت عليها الرياح انحنّت مثل الريحانة!

نظر الأخ قدرت إلى زوجته نظرة خاصة وقال:

- هل نسيت أنك لم تتجبي خلال أول خمس سنوات من زواجنا؟

- ولذلك أقول إن ولدي الوحيد الذي طلبته من الله تعالى

يجب أن يكون له أولاد كثيرون، أما بنات المدينة فلا ينجبن إلا مولودا واحدا، أو مولودين!

- هنا ليست مدينة، وسيعطيها الله أولادا كثيرين، سيكون

الأولاد أمامك وخلفك ولن تستطيعي التحرك منهم!

بدأت الخالة جنت تبكي.

- كنتك لا تحترمني، الكنائن الأخريات ينادين أمهات أزواجهن

«يا أمي!» أما كنتك، فهي..

- يا زوجتي، لو قالت لك أمي، فهل يزيدك شيئاً أو يتغير

اسمك جنت؟ إن كنتا مؤدبة جداً، فخلال السنتين لم يحدث أي

نزاع بينكما، أما الكنائن اللواتي يقلن لأمهات أزواجهن يا أمي

فكم سببن لهن من العذاب.

- أنا معك في هذا، فهو يسعدني ويرضييني.

- انظري إلى ابنك وكنتك... إنهما مناسبان لبعضهما وكأنهما

يفرّدان مثل عصفورين، وهذا يعني أنك حققت حلمك، احمدي

ربك!

مع دخول أوميد غير الأخ قدرت تعبير وجهه، وحيّا ابنه:

- تعال، يا ابني! كيف أصبحت؟

- أين زوجتك المحبوبة؟ أما زالت نائمة؟ وماذا كانت تفعل

طوال الليل؟

- كفى، يا زوجتي!

قطع الأخ قدرت كلامها، بينما ظلّ أوميد صامتا، لقد فهم

منذ زمن أنه لا فائدة من المناقشة مع أمّه، وظهرت رنا بعد

زوجها بقليل وحيّت الجميع، وظلّت واقفة خجولة تنظر إلى

الأرض، ولم تعرف ماذا تقول أو ماذا تفعل، ولفتت حماتها

وجهها عنها، ولم تردّ تحيتها، فقال الأخ قدرت لكي ينقذها

من موقفها الحرج:

- تعالي يا بنيتي، بدأ الشاي يبرد.

أثناء الفطور سكت الجميع ولم يتحدثوا في شيء، وبعد الفطور تفرقوا وذهب كل منهم في طريقه، وبقيت رنا وحيدة، فجمعت الأواني وغسلتها، ثم دخلت غرفتها وجلست على الأريكة... منذ سنتين وهي تعيش في هذه الأسرة، ولكن كل شيء هنا يبدو لها مؤقتاً، الجبال تحيط بها من كل النواحي، والشمس الحارة تشرق بعد منتصف الليل مباشرة، والأبقار والحمير تروح وتجيء هنا وهناك، وتثير الغبار في شوارع القرية، وكل هذا لا يبدو مناسباً لها، فكيف يمكن أن تقضي عمرها بين هذه الأشياء؟

كانت هذه الحياة كلها كحلم في ظن رنا... وستستيقظ منه بعد فترة وستسافر إلى مدينتها، إلى أحضان والديها، ولو لم تكن تحب زوجها أوميد لغادرت منذ زمن، لكنها أحبته من النظرة الأولى، عندما رآته في يوم حفلة زواج صديقتها، واعترضت أمها في البداية، ولكن رنا كانت عنيدة، وقد أيدها والدها؛ أعجبه أوميد كشاب جاد له فكر مستقل.

وبعد حفلة زواجهما سيطر حب أوميد عليها، وأعطاهما جناحين، وبدا العالم حولها جميلاً، ولكن... مع مرور الزمن اختلط جمال الطبيعة، وهواء الجبال النقي، وحتى حب زوجها، مع أشياء صغيرة عادية، وبدأت رنا تشعر بالملل من كل شيء، ومما زاد الطين بلة أن حمايتها طلبت منها أن تناديه «يا أمي». ذات يوم اشتاقت رنا إلى أمها، وكانت تنظر إلى الطريق المؤدية إلى المدينة وهي غارقة في أفكارها، واقترب منها زوجها، واحتضنها من كتفها وسألها:

- هل اشتقت إلى بيتك؟

- نعم.

- يا رنا، هل يمكنني أن أطلب منك شيئاً؟  
ونظرت رنا إلى زوجها نظرة مستفسرة، فقال:

- نادي أمي «يا أمي»!

تتهّدت رنا بعمق، وقالت:

- هل تعرف أن أمي أنا بالنسبة إليّ كانت صديقتي القريبة جداً، وكنت أقول لها أسراري، وأخذ نصيحتها، إنها امرأة رائعة، أما أنا، وللأسف، فلم أنادها «يا أمي» ولا مرة.  
وسكت أوميد، وبعدها لم يهتم برغبة زوجته، وانشغل بأعماله.

وازدادت علاقة رنا مع حماتها برودة، وإن لم تكن تعارض كلامها، فقد كانت تقوم بكل أمور البيت على أحسن وجه.  
كانت تجلس مستسلمة لخواطرها، وفجأة أحسّت بطعم مرّ في فيها، فقامت من مكانها وأسهرت إلى الفناء، وجلست بجانب حوض زرعت فيه بعض النباتات، وكانت حماتها قريبة منها فنظرت إليها باهتمام.

وفي المساء، حينما كانت رنا تكنس الشارع، اقترب منها رستم - ابن الجيران - مسرعاً وقال:

- يا رنا، إنك تبدين متعبة اليوم، كنت أراقبك من فوق السطح، وجدت لونك أبيض.

- لا بأس، ربما أكلت شيئاً ما.

يعيش رستم جار الخالة جنّت في المنزل الملاصق، وهو في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره، غير أنه يشبه الأطفال،



قَصّر الله من طوله، ولكنه نشيط، وهو أكثر أولاد القرية احتراماً لجارته رنا، ولا يستطيع أن يفهم علاقته بها، وعلى كل حال فقد كان يحترمها، وارتبط بها ارتباطاً شديداً، وهو يكره أوميد، وكان يعجب رنا احترام هذا الولد الصغير الحنون، وأحياناً كان يساعدها، ويمكن القول إنه كان لها الصديق الوحيد في القرية كلها.

- اسمحي لي أن أكنس فناءك!

- لا، ماذا يقول الناس؟

- ما عليك من قولهم، وأرجو ألا تكوني مريضة، إنك ضعيفة ومتعبة.

ابتسمت رنا وقالت:

- أنت غريب يا رستم؟

- طيب، حافظي على نفسك، وأين زوجك المجنون؟

ألا يستطيع أن يساعده قليلاً؟

- لا تقل هذا، هو مشغول، وأشغاله كثيرة.

- أعرف شغله! إن ثلوج السنة الماضية أنفع منه بكثير!

وذهب إلى جهة الأولاد الذين كانوا يلعبون بالكرة في مكان قريب.



لم ترتج رنا في النوم طوال الليل، وعند الفجر أخذتها نومة خفيفة، ولكن زوجها لكزها في خصرتها ليوقظها، وقال:

- قومي، حان الفجر.

ونظرت رنا إلى زوجها غير راضية، وخرجت إلى الشارع... وابتسمت؛ لقد رأت أن الشارع قد كُتس ورش الماء على الأرض،

«إنه شغل رستم»! أدركت رنا ذلك في الحال، فعادت إلى البيت، وكنتست ساحة الفناء ورشتها بالماء، ثم فكّرت في العودة إلى غرفة النوم والاستلقاء على السرير، ولكنها دخلت المطبخ وبدأت تجهز الفطور.

وكالعادة اجتمع أفراد الأسرة حول المائدة، وبدأوا في تناول الفطور، واسترقت رنا النظر إلى وجه حمايتها... لا علامة رضا... لا تغيير... وما الفائدة من إعداد الفطور؟ وما الفرق بين إعدادها أو عدمه؟ وقرّبت قطعة خبز من فمها وشعرت بالطعم المرّ كما حدث معها أمس، فقامت إلى الخارج مسرعة، وقال الأخ قدرت:

- يبدو أن كنتك مريضة، رافقيها إلى المستشفى لمراجعة الطبيب.

فردّت زوجته:

- لم يحصل معها شيء، هذه هي عاداتها!  
توقف أوميد عن تناول الفطور، ورفع يديه بالدعاء ثم مسح وجهه، وأسرع إلى رنا، فقال الأخ قدرت لزوجته:  
- كم انتظرتُ ولم ألاحظ سعادتك، وانظري كم حاولتُ كنتك؟  
لماذا لا تبسمين؟

فأجابته الخالة جنّت وهي تبكي:

- الجيران يضحكون مني ويقولون: «إن كنتك لا تحترمك، ولم تقل لك يا أمي خلال سنتين، وأنت لا تستطيعين أن تخضعيها لأوامرك»!

ابتسم الأخ قدرت ساخرا وقال:

- لا داعي لإعلان كل شيء لأهل القرية، أنت تضخمين الأمور وتجعلين من الحبة قُبَّة! إن كان هذا الأمر مهمًا بالنسبة إليك فتحدثي مع الكَنَّة بصراحة.

- قلت لها، ولكنها عنيدة، ربما تسمع كلامك!  
ونظرت الخالة جَنَّتْ إلى زوجها نظرة فيها رجاء، فارتبك الأخ  
قدرت وقال:

- طيب، سأحاول.  
كانت رنا تكوي قميص زوجها جالسة تحت السقيفة، وعندما  
دخل حموها نهضت ووقفت احتراماً له.  
وبدأ الأخ قدرت الحديث قائلاً:  
- يا بنتي، لا تغضبي من أمك، إنها امرأة حنون بطبيعتها،  
ولكنها ترجو أن ترى أحفادها، وإن شاء الله ستدركين ذلك عندما  
يأتي أولادك؛ فإنها ستربيهم بنفسها بكل المحبة والحنان!  
سكتت رنا، وأحسّ الأخ قدرت من احمرار عينيها أنها كانت  
تبكي:

- هل اشتقت إلى أمك؟  
هزّت رنا رأسها في هذه المرة مشيرة «نعم».  
- سأقول لابني أن يرسلك إلى المدينة، وستبقين في استضافة  
والديك بضعة أيام!  
ذهب الأب وابنه إلى العمل، وخرجت حماتها لابسة ملابس  
جديدة، وبقيت رنا في البيت وحدها.  
ظهر لها رأس رستم من فوق الجدار، فنادها ثم قفز إليها ووقف  
أمامها، وأخرج من عبّه حبات من الخوخ، ومدّ يده بها قائلاً:

- خذي هذه، إنها لك.
- شكرا.
- من الآن سأحضر لك الفواكه كل يوم، وعليك أن تأكلي جيدا.
- استغفرت رنا قول رستم، وسألته:
- لماذا تقول هذا الكلام؟
- لأنك ستصبحين أمّا عن قريب!
- من أين أتيت بهذا الكلام؟ من قال لك هذا؟
- أهل القرية كلها يعرفون، الجميع يتحدثون عن هذا.
- أنا نفسي لا أعرف، فكيف يعرفون هم؟
- أمس جاءت الخالة جنّت عند أُمي، وقالت لها هذا الخبر،
- وقد كانت سعيدة جدا، حتى أنها كانت تبكي من الفرح!
- فقالت رنا وهي غير مصدقة الخبر:
- لا ... لا ...
- أقسم لك، أو أموت في لحظتي إن كنت كاذبا، والآن عليك
- أن تحافظي على نفسك.
- وابتسمت قائلة:
- ولذلك كنتَ الشارع اليوم؟
- لم أكنسه أنا.
- لماذا تكذب؟ ومن كُنسه إذن؟
- ربما أحد فاعلي الخير!
- وضحكت رنا وهي تقول:
- طبعاً، إن كنت أنت واحدا من هؤلاء، ولكن لا تفعل هذا مرة
- أخرى، سأفعله بنفسي، وعلى كل حال فأنا أشكرك.

- هذا لا يستحق الشكر، ولكنك تخرجين متأخرة، تخرجين بعد الجميع!

- وماذا في ذلك؟ عندما يحلّ الفجر تكون قد جفت الساحات أمام بيوت الآخرين، أما ساحتي فتكون مبللة رطبة! ضحك رستم ضحكة مرحة وقال:

- أنت غريبة يا رنا، ولكن الأمر ليس في ذلك، رنا... هل يمكنني أن أسألك سؤالاً؟  
- تفضل.

- لماذا لا تتعاملين مع أي أحد في القرية؟ أم أنك تختلفين عنهم؟

- طبعاً، أختلف، وإلا لما تركت المدينة وعشت في هذه القرية البعيدة عن رحمة ربنا!

استاء رستم من هذا الجواب، فسألها:

- ألا يعجبك هذا المكان؟

- لا!

- هل ستفادين قريتنا إذن؟

- نعم، سأغادرها، ولكن لا تقلق، سأزورك عندما أجيء إلى

هنا، هذا إذا لم تغادرها أنت حتى ذلك الحين!

فقال رستم فخوراً:

- أنا لن أغادر هذا المكان أبداً!



جهزت رنا السفارة للعشاء، ثم أسرعت إلى الفناء، وراقبت الشمس وهي تختفي بين الجبال، وتتحلى أطرافها بأشعتها

الذهبية؛ أعجبها المنظر فقالت لنفسها: «كم هي جميلة! وكيف لم ألاحظ ذلك حتى الآن»!

وأحسّت رنا بالطعم المرّ نفسه، ولكن إحساسها هذه المرة كان إحساساً جديداً، كان إحساساً لذيذاً، وصار مزاجها جيداً، ووضعت يديها على بطنها بحنان، «أصحيح هذا، وهل سأصبح أمّاً؟» ولما دعاها حموها للمائدة تبعثرت أفكارها.

كانت السماء مزدانة بالنجوم، واستيقظ القمر الذي أطلّ على غرفة النوم فأيقظ رنا، وصوّت بومة من خلف الجبال، ولم يغيّر كل هذا من سكون الليل الساحر.

ظهرت رنا على عتبة الباب، تلبس روباً دافئاً أهدتها إياه أمها، وعلى رأسها شال ذهبي يناسبها تماماً، وجلست قليلاً على أعلى السلم، ونظرت إلى الجبال السوداء فبدت لها عظيمة وجليلة ومخلصة وصادقة؛ وسرحت بفكرها: «ستحفظني وأولادي من كل شرّ»!

واستغربت في الحال من التغير الذي طرأ على أفكارها: «ماذا يحدث معي؟»

...وحان الوقت ليخلي ظلام الليل المكان لضوء الصباح، وأخذ القمر والنجوم في الاختفاء، ومازالت رنا تجلس وتراقب الجبال العالية الممتدة أمامها، ستشرق الشمس من خلفها بعد دقائق، وستهدي العالم أشعتها الدافئة، وستستمتع بها رنا أيضاً، وظهر ضوء الصبح، وبدأت ولادة يوم جديد، ولاحظت رنا أنها جزء من هذا الصبح الساحر، ووجدت إجابة عن سؤال كان يحيرها؛ إن عاطفة الأمومة بدأت تولد فيها مثل هذا اليوم الجديد.

نهضت رنا ونزلت، كانت خطواتها رشيقّة، وكنست الشارع  
والفناء ورشته بالماء، ثم دخلت المطبخ ورتبت السفرة للفقور،  
وبعد قليل دخلت حماتها .

- السلام عليكم يا أمي!

ارتعش صوت رنا، وقد قالت يا أمي بلا إرادة منها، وعلت  
وجه الخالة جنّ ابتسامة هادئة، ولكنها لم تجب في الحال .

- وعليكم السلام يا ابنتي، كيف أصبحت؟

- جيدة جدا، يا أمي، أنا اليوم استقبلت الصباح!

- وهل أعجبك؟

- طبعاً، أعجبنى، ولم أكن أعرف أنه جميل بهذا القدر!  
ودخل الأب وابنه غرفة الطعام، وأعطى مزاج الخالة والكّة  
للفطور نكهة جديدة طيبة، وصار الحديث دافئاً .

عندما اختلى أوميد بزوجه قال لها :

- يا رنا، لم نخرج إلى أي مكان منذ زمن، لنذهب إلى المدينة

ولنتنزه، ما رأيك؟

- وماذا تقول أمي؟

وأعجب رنا رنة صوتها وهي تسأل بهذا النغم الحنون اللطيف،  
وسمعت صوت الخالة جنّ التي كانت تراقب العصفورين  
السعيدين من بعيد :

- اذهب يا ولديّ، اذهب، ولكن لا تتأخرا، لأن المائدة تبدو

خالية من دونكما .

وبعد أن خرج ابنها وكنتها، اتجهت الخالة جنّ إلى الباب وهي  
تمسك في يدها كوباً فارغاً، وجاءها صوت الأخ قدرت حازماً :

- إلى أين أنت ذاهبة يا زوجتي؟
- سأذهب إلى الجيران، سأبحث عند أحدهم عن قشدة؛ فإن كنتك تحبّ «الششبرك»!
- وما علاقة القشدة بذلك؟
- إن كنتك لا تأكل «الششبرك» إلاّ بالقشدة.



### بعض الملاحظات بشأن هذه القصة:

أولاً: هذه قصة اجتماعية تبرز إحدى المسائل الصعبة في حياة المجتمع الأوزبكي، وهي العلاقة بين الحماة والكنة، وفي العادة فإن ما نسبته نحو تسعين في المائة من الفتيات عندما يتزوجن يعشن في بيت العائلة، أي مع والدي الزوج، وعلى العروس خدمة الأسرة، والقيام بتنظيف (كنس) فناء الدار من الداخل، وكذلك الساحة أمام البيت في الشارع، كما قرأنا في القصة.

ثانياً: من طرق المخاطبة عند الأوزبك أن العروس تخاطب حماتها أو تتأديها بكلمة يا أمي، وهي في اللغة الأوزبكية: (آيي oyi) في طشقند وحولها، و(آيا aya) في وادي فرغانة، وتخاطب حماها بكلمة يا أبي، (أدا ada) في كلام أهل طشقند، و(دادا dada) عند أهل وادي فرغانة، وهكذا يخاطب العريس والدي العروس أيضاً، ويعتبر هذا الأمر عادياً وطبيعياً ومقبولاً كما أن هناك عند الأوزبك طريقة أخرى في الخطاب، وتكون بإضافة (jon) إلى الاسم أو كلمة المخاطبة، فتصبح كلمات المخاطبة (آيي جان oyi jon)، و(آيا جان ayajon)، و(أداجان adajon)،



و(داداجان dadajon)، وهذا يعني زيادة الاحترام، والحب، والحنين.

وهكذا عند المخاطبة بالأسماء، فمثلا أخاطبك بـ«محمودجان» (Mahmudjon) إذا كنت صديقا لي في مثل سنّي، أو محمودجان أكا (الأخ محمود) إذا كنت أكبر مني سنّا، فهذا زيادة في احترامي لك، وإذا خاطبتك بـ محمود أكا (أي: الأخ محمود) فلا بأس، وتضاف الكلمة (أكا = الأخ) للاحترام، وهذا الأمر مطلوب عند مخاطبة الشخص الأكبر سنّا، وللبينات تضاف كلمة خان، وعلى هذا فإن رنا تكون رناخان.

وطلبت الخالة جنّت حماة بطلة القصة من رنا أن تخاطبها بـ«أمي» (آيي جان oyijon)، ليعرف الآخرون أنها تحترمها كثيرا.

رأيت أن من الضروري شرح هذه المسألة لكي يكون الأمر واضحا للقارئ العربي.

## الزنبقة

### أولوغ بيك حَمدَم

أمامي قمة الجبل الضخمة ذات الحافة الحادة المستقيمة. والكل يسعى بنفسه إلى الزنبقة الخفاقة الحمراء الأسطورية الجمال التي توجد على هذه القمة. والسماء في لباسها من السحب الحمراء والسوداء والبيضاء. إنه ليس ليلاً ولا نهاراً، الوقت مختلط. وكل هذا يشكل منظراً مدهشاً خلف الزهرة التي تهتز فوق القمة العالية، وتؤثر في القلوب عندما تنظر إليها من الأسفل. وفي رأيي، كأن السماء وصلت إلى حلمها الأعلى فهي تدور مزينة حول الزهرة. وماذا يجري في الأسفل؟ كم من الناس يتسلقون الجبل ويصعدون إلى الزهرة الساحرة، وكم منهم يقع إلى الأسفل على الأحجار على عمق مئات الأمتار ويتبعثر. ولم يصل أحد إلى منتصف المسافة بعد. هناك شعاف ودّع فيها أفراد قليلون - عبروا شعافاً غيرها - حياتهم. ولكن، يا للعجب، لماذا لا يتراجع ابن آدم عن حلمه الهوائي وهو يرى كل هذا، أقرّ ويقرّ ألف مرة، بل مليون مرة باستحالة الصعود إلى القمة والوصول إلى الزنبقة من خلال مصير الآخرين؟! ولماذا يرمي نفسه إلى هذا الجحيم الذي لا يمكن الصعود إليه، وهو يرى ويعرف كل هذا؟ ويأمل أن يصل الزنبقة سليماً؟.. وأقرب من المتسلقين الذين يصعدون إلى القمة ولا يتنازلون، لكي أسأل عن هذا. أمسكت أحدهم من كتفه وأدرت وجهه إليّ

وقد وضع قدمه على حجر ضخّم، وأكثرت عليه الأسئلة. ولم يقل شيئاً، بل ابتسم باستهزاء وأشار بأصبعه إلى الزنبقة! ثم تسلق الحجر متحركاً كالنملة وانخرط في الفوج الذي يتقدم إلى الأمام واختفى. أما أنا فلم أر شيئاً إلا أناسا لا حصر لهم تحركاتهم غير منظّمة. ثم ابتعدت قليلاً عن الشّعة ونظرت إليها من جديد:

الزنبقة!.. تذكرت الكعبة - بلا إرادة - وملايين الناس الذين يسعون إليها من الأطراف الأربعة... فالزنبقة مثل الشمس والآخرين مثل الكواكب - يدورون حولها.. وعدلت عن ملاحظاتي قبل أن تأتي إلى نهايتها، لأن الزنبقة تدعوني... تدعوني أنا فقط! وكأنها ترفض الآخرين، وتتبه إليّ فقط، وتدعوني أنا فقط إليها! آه، كم هي جذابة، وكم يفيض قلبي بالسعادة!.. إنها اختارتني من بين هؤلاء الناس، إذن، هي تعرف أنني أستطيع أن أصعد إليها بلا ضرر، وأنتي أستطيع أن أنفذ هذه المهمة! إن هذه الفرصة ليست من نصيب أحد غيري، فعليّ أن أستفيد منها. ياه، كم أنا سعيد!.

أسرعت ووضعت قدمي على ذلك الحجر الكبير، ومسكني أحدهم وأدارني إلى مواجهته، نظرت إليه ورأيت شاباً، ويسألني تلك الأسئلة التي سألتها رجلاً تقدم منذ زمن، ونظرت إلى الشاب فترة ما، ووجدته غريباً جداً أمامي - أمام إنسان سعيد مدعو لحضرة الزنبقة، أشفقت عليه لحظة، ولكنني لم أقل شيئاً، ولا أعرف كيف ابتسمت له بمعنى ما، ثم أشرت إلى الأعلى، إلى الزنبقة! وواصلت طريقي.

كان الصعود صعبا . تارة تجد بعض الأحجار والحفر التي توضع عليها الأقدام، وتارة لا تجد لا حجارة ولا حفرة. حين أتمسك بالأحجار المسطحة وأعبر مسافة مهلكة ثم أنظر إلى الخلف أندesh. ولكن في قلبي ذكر الزنبقة، والتفاتها إليّ، إليّ أنا شخصا ... عندما أتخيل ذلك، أكون مستعدا لإلقاء نفسي في الجحيم. ذات لحظة وقع رجل، كان يصعد متسلقا في مسافة باعين أمامي، وقع إلى الأسفل، في قعر السحاب والضباب، وهو يصيح ويلوح برجليه ويديه مثلما تخفق الفراشة بجناحها. في داخلي تحرك شيء ما إلى الأسفل - كأن صوت الموت لامس قلبي. «أليس في هذا درس لك، يا غبي؟ هل تظن أنك ستصل إليها؟ أما المنزل فبعيد جدا ... إنه بعيد جدا لن يصل إليه بصر عيوني؟...».

استفاد شخص من شرودي وتفكيري، فقد وضع رجله على كتفي ودفع نفسه مستندا إليّ، وثبت يده على حجارة في الأعلى، ونتيجة دفعه تحرك الحجر الذي كانت عليه رجلي وبدأت أهوي إلى الأسفل متزلجا - وداعا! - وشعرت بطعم كلمة جاءت على بالي، وسمعت صوتها ... لكن، الحمد لله، تعلقت يداي بحجر آخر في مكان ما وأنقذت من موت محقق. أما في الأسفل فيختلط الحجر الذي ينزل من تحت رجلي بالأحجار والناس وتحدث فاجعة ... أغلقت عيني. وشعرت بقلبي كم من الناس هلكوا، ماذا سيحدث الآن؟ وأين الاطمئنان الذي كان قبل قليل؟ وبأي ضمير سأتي إلى حضرة الزنبقة؟ وأخيرا، عندما أصل إليها تأكل ذكرى الناس الأبرياء طرف قلبي!

ولكنني لم أفعل ذلك عمدا، فإن ذلك الرجل هو الذي دفعني. فهو المذنب الحقيقي، ولست أنا! وأبحث عما يبرر عملي. ثم نظرت إليه، فإذا هو يتابعني ويتسم. أستغفر الله! لم أعتد على أحد، ولم أظن شخصا يعاديني، وماذا يريد مني منافسي؟ وبدأ يرمي حجارة عليّ: يا إلهي، ما هذا؟ أفكر في ذلك، ووقعت الحجارة على وجهي، وتكاد تشعل النار في عيني، كان الألم شديدا إلى درجة كبيرة، وصحت من شدته: «يا الله، لن أرضى إن لم تعذب هذا الملعون!...» .

لماذا أضمرت سوء النية، وطلبت موت إنسان ما؟ لن أسامح نفسي. إن ذنوبي السابقة التي ارتكبتها قبل قليل لا تساوي شيئا أمام ذنبي هذا. لماذا حدث هذا؟ قبل قليل هلك مئات من الناس بسبب الحجارة التي خرجت من تحت رجلي، أما الآن فهذا الشخص مثل حيوان... ولا تسكن الملاحظات في قلبي، أحزن فقط، وليسبب ما أريد أن أغطس في ماء شلال، وأريد أن أسبح حتى أشبع. وفي هذه اللحظة سقط مراقبي إلى الأسفل وهو يمسك الحجر الذي تحرك من مكانه، وغرق في قعر الضباب في الأسفل.

أتجمدُ بلا حركة فترة طويلة. وأخيرا، يضجّي الوقت شغلي الشاغل. أتذكر الزنبقة من جديد، دعوتها لي ووعداها. يرتعش قلبي من جديد. وأفهم أن القدرة التي تسعى إلى الحياة والسرور تتملك جسمي ووجودي، وعليّ أن أطيعها وأتبعها مثل ما يتبع الكلب صاحبه. يترك شغلي وعذابه قلبي رويدا رويدا، ثم يعود فيزعج ذكره قلبي أحيانا .

الآن انحصر تفكيري في الزنبقة، وأنا أسمع إليها بألم مجهول مختلط بسرور. وماذا يمكن أن تتخيل عند قياس درجة الحس في باطني. ولكن لن أستطيع أن أقيس السرور عندما أصل إلى حلمي. أما سلكت الدرب لأجلها؟ أما عانيت العذاب لأجلها؟ أما قدمت ضحايا من أجلها؟ إذن، إلى الأمام وإلى الأمام من جديد!

أخيراً، تلك القمة الرأسية! ألقت حولي: لم يبق من الذين كانوا يأتون كالنمل إلا قليل. «إنه مصيرهم!» فكرت في هذا بهدوء. وبعد قليل أترك أفكاري وأكرس نفسي للوصول إلى القمة. حينها يقع القليلون الذين صمدوا مثل النجوم التي قطعت من السماء. وأتردد في نفسي: هل يستطيع إنسان ما أن يتجاوز هذا الحاجز؟ ولكن، يا إلهي، إنني أقف أمام القمة وحدي. إذن وعد الزنبقة صحيح! تلهمني بذبذبات قلبي وتقوي يدي ورجلي. ويتسلق كل جسمي الصخر اللامع المسطح، وعلاوة على ذلك فإن رأسي مثل الألف. لم أبذل نفسي لأمر مثل هذا من قبل، كأني أتحوّل إلى نملة. ويسيل العرق مثل الماء. والخوف يملك قلبي عندما تكون الوضعية صعبة، ولكنني أعرف أنني لن أراجع عن طريقي وإن متّ، وأعرف أن ذكر الزنبقة لا يسمح بذلك. وأزحف مثل العنكبوت. عليّ أن أعبر هذا المعبر فقط، وأجتاز المرحلة الأخيرة! وأصل إلى السعادة التي لم يحلم بها إنسان! ويتوقف نفسي في حلقي وأختق بالسعادة... يا للعجب، لعل السعادة في الدنيا مثلاً وهي من نصيبي!

إن الأفكار اللذيذة جيدة، ولكنها بدأت تعرقل وصولي إلى الهدف، وتزيد من مشقتي. أجمع أفكارى وأوجه كل قوتي التي كنت أصرفها للتفكير في عبور المعبر. والآن يتوحد كل جسمي - عقلي وجسدي وروحي، وأتجاوز القمة الخطيرة وإن كانت هنالك صعوبة! يا إلهي، لقد انتصرت! الحمد لله! ومن فرحتي أخذت أقفز من دون انقطاع على القمة التي وصلت إليها. وأخيرا، أنا في ذلك المكان من التعب وأنا أحضن الأحجار... وأحلم. ورأيت في حلمي هذا المعبر ومشقاته. وصلته من جديد. ولكن عندما عبرت رأيت ما لم أتصور فهناك قمم رأسية متتالية بلا عدد لا يستطيع إنسان أن يتصور بلوغها. وأستيقظ من حلمي وأنا أصيح ولا أنظر إلى الأعلى، لا يجرؤ قلبي. ولسبب ما أتابع السحب التي تسبح في الأسفل. وأشتاق إلى الأرض، ومشكلات الحياة والناس. أما الآن فأفهم جيدا أن الطريق إلى الخلف مسدودة. ويعتصر الألم قلبي. أتلمس وأجس، ولا أستطيع أن أنسى أنني محكوم بالنظر إلى الأعلى ومعرفة الحقيقة هناك. نعم، حان الوقت للاستناد إلى «عسى ولعل»: إما الحياة أو الموت! أخيرا، أجمع كل قدراتي وقوتي وأرفع رأسي إلى الأعلى وعيوني مغلقة. يا الله، يا رزاق! وينبض قلبي، ويجفّ حلقي، وأفتح عيني.



**عبد الله قادري (Abdulla Qodiriy)**

(١٨٩٤م - ١٩٣٨م)، وُلد في طشقند، وهو أحد الرواد البارزين في الأدب الأوزبكي. نشر روايته الأولى «الأيام الماضية» في ثلاثة مجلدات في عامي ١٩٢٥ - ١٩٢٦م. وروايته التاريخية الثانية بعنوان «العقرب من المحراب» عام ١٩٢٨م، له عدد من المقالات والقصائد والقصص القصيرة والطويلة منها «أحوالنا»، و«إلى شعبي»، و«حفلة العرس»، و«عابد الفأس»... ترجم قصة «الزواج» لغوغول، وقصة «بستان الكرز» لتشيخوف وقصصاً أخرى للكتاب الغربيين إلى اللغة الأوزبكية، حكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم في عام ١٩٣٨م، وأثبتت براءته في عام ١٩٥٦م.

**جولبان (عبد الحميد سليمان أوغلي)**

Chulpon (Abdul-Hamid Sulaymon o'g'ly)

(١٨٨٧ - ١٩٣٨م) - أحد الممثلين البارزين للأدب الأوزبكي، وُلد في أسرة مثقفة في أنديجان. وبدأ إبداعه في ١٩١٣ - ١٩١٤م، وساهم في تطوير الأدب الأوزبكي مساهمة كبيرة، ونشرت مؤلفاته الأولى في جريدتي «صداي فرغانة» (صوت فرغانة)، و«صداي تركستان» المحليتين، وكذلك في مجلة «شورا» (السوفييت) في أورنبورغ في روسيا. وفي السنوات من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٦م نشر ثلاث مجموعات شعرية: «أسرار الصباح»، و«النهضة»، و«الينابيع»، وفي الثلاثينيات أعد جولبان مجموعتين شعريتين: إحداهما «ساز» (آلة موسيقية)، والثانية «جور» (المصاحبة)، نشرت الأولى في وقتها، أما الثانية فلم تنشر بسبب وقوعها في فخ سنوات القمع، ووقع جولبان ضحية لسياسة القمع مثل الأدبيين الآخرين: فترت وعبد الله قادري، فقد اعتُقل في عام ١٩٣٧م، وحُكم عليه بالإعدام، ونفذ الحكم في ١٩٣٨م، ثم أثبتت براءته في عام ١٩٥٦م. ترجم جولبان قصة «الأم» لغوركي، وقصتي «دوبروفسكي» و«باريس غادونوف» لبوشكين، ومسرحية «هاملت» لشكسبير إلى اللغة الأوزبكية.

**غفور غلام (Ghafur Ghulom)**

(١٩٠٣ - ١٩٦٨م)، ولد في طشقند، نشر له نحو عشرين مجموعة شعرية، منها «الأناشيد الحية»، و«كوكان»، و«أنت لست يتيما»، و«الاشتياق»، و«سيكون الاحتفال في شارعنا أيضاً»: كان عضواً في أكاديمية العلوم في أوزبكستان، اشتغل في جرائد «كمبغل دهقان» (الفلاح الفقير)، و«قيزيل أوزبكستان» (أوزبكستان الحمراء)، و«شرق حقيقي» (حقيقة الشرق).



**عبدالله قهار (Abdulla Qahhor)**

(١٩٠٧ - ١٩٦٨)، ولد في مدينة خوقند في منطقة فرغانة، نُشرت له رواية «مصاييح قوشجينار»، ومسرحيات كوميدية عديدة، منها «الأسنان المريضة»، و«صوت من التابوت»، و«أمهاتي العزيزات»، ونُشرت له قصص طويلة أيضا: «الزُمير»، و«الحب»، و«حكايات من الماضي»، وترجم رواية «جامعاتي» لغوركي، و«الخيال ذو النار» لغلادكوف، و«الحرب والسلام» لتولستوي إلى اللغة الأوزبكية.

**سيد أحمد حسن خوجايف (Sayid Ahmad)**

ولد عام ١٩٢٠م في طشقند، نشرت له الرواية الثلاثية «الأفق»، وعدة مجموعات قصصية، منها «المحبة»، و«قصص فرغانة»، و«ذو القلب الرجالي» وغيرها، اشتهر ككاتب مسرحي، له مسرحيات عديدة، منها: «عصيان الكنائس» (كتبها على أساس هذه القصة)، و«العريس» وغيرها. ترجم بعض الأعمال الأدبية إلى الأوزبكية، وكذلك ترجمت قصص عديدة له إلى اللغات الأجنبية المختلفة.

**ناصر فاضلوف (Nosir Fozilov)**

وُلد عام ١٩٢٩م في منطقة تركستان بجمهورية كازاخستان، نشر أول قصة له عام ١٩٥٣م، ثم نشر قصصا وكتبا كثيرة، منها «آق ساي» (النهر الأبيض)، و«سرطان»، و«قصص الربيع» وغيرها. ترجم قصصا من الأدب الكازاخي إلى اللغة الأوزبكية، يعمل حاليا في مجلة «شرق يولدوزي».

**أولماس عمريبيكوف (Ulmas Umarbekov)**

(١٩٣٢ - ١٩٩٥)، ولد في طشقند، نشرت له رواية «من الصعب أن يكون إنسانا»، ومسرحيات «أمانة القيامة»، و«لا تسرعني أيتها الشمس»، و«المحكمة»، و«الجنة»، و«اليوم الأول من الخريف» وغيرها. وكذلك نُشر له كتاب «اللقاء عند الثلوج العالية» (في اللغة الروسية)، وعدد كبير من القصص القصيرة والطويلة. وكان وزير الثقافة في أوزبكستان، ورئيس اللجنة في منظمة التضامن لدول آسيا وأفريقيا، وكان نائب رئيس مجلس الوزراء في أوزبكستان.

### فرهاد موسى جانوف (Farhod Musajonov)

أديب وناثر وكاتب مسرحيات وسيناريوهات سينمائية، ولد في عام ١٩٣٢م في طشقند، نشر له نحو ثلاثين مجموعة قصصية، مثل «راكضا وراء الشمس»، و«شد حيلك يا علي قولوف»، و«قطرة ماء من ينبوع»، وله قصص طويلة منها «في يوم الإثنين بعد الفطور»، و«أشتاق إلى شارع حديقتي»، و«السيف والحسام»، وغيرها، ومسرحيات «الحمام الأبيض»، و«بحثا عن النجاة»، و«أنا تحت أمرك» وغيرها. ويعمل حاليا في مؤسسة «أوزبك - فيلم» السينمائية.

### أوتكير هاشيموف (Otkir Hoshimov)

ولد عام ١٩٤١م في طشقند، نشرت له أول مجموعة مقالات عام ١٩٦٢م بعنوان «الفارس الفولاذي»، ثم نشرت له مجموعات قصصية كثيرة، منها «هواء الصحراء»، و«ماذا يقول الناس...؟»، و«وتهب الرياح»، و«الربيع لن يعود»، وغيرها، وروايات «إن كان ضوء فتمة ظل»، و«ما بين البابين»، و«العمر الذي مضى في الحلم»، ومسرحيات مثل «هم شخص آخر»، و«عرس مبروك»، و«وفاء الإنسان» وغيرها. ترجم مؤلفات هيميغوي، وسيمونوف، وكوبرين، وبرهولس إلى اللغة الأوزبكية، وكذلك ترجمت مؤلفاته إلى مختلف اللغات الأجنبية. عمل رئيس هيئة التحرير في مجلة «شرق يولدوزي» («نجمة الشرق»)، وفي الوقت الحاضر هو رئيس اللجنة في المجلس الأعلى - برلمان أوزبكستان.

### أمان مختار (Omon Mukhtor)

شاعر وناثر وكاتب مسرحيات، ولد عام ١٩٤١م في بخارى، نشر أول مجموعة شعرية له عام ١٩٦٥م، ونشر بعد ذلك أكثر من عشرين كتابا، منها «الطيور والأحلام»، و«عروس من المدينة»، و«الوظيفة» وغيرها، ويعمل حاليا رئيس تحرير مجلة «شرق يولدوزي».

**طاهر مليك (Tohir Malik)**

(١٩٤٦) وُلِدَ في طشقند لأسرة مثقفة، ودرس في كلية الصحافة بجامعة طشقند، عمل معلماً في المدارس، واشتغل في دور النشر، ثم في الإذاعة والتلفزيون بالجمهورية، وكان رئيس تحرير مجلة «شرق يولدوزي» ثم مجلة «ياشليك»، وكان أميناً في اتحاد كتاب أوزبكستان. نشرت أول قصة خيالية له عام ١٩٧١ بعنوان: «وفاة حكمت أفندي»، ثم نشر له عدد من المجموعات القصصية والروايات: «الغبار السام» (١٩٧٨)، و«سُفراء طريق الحليب» (١٩٧٩)، و«ناس بقوا في التقاطع» (١٩٨٥)، و«عصفور أم سالم» (١٩٨٧)، و«شارع واحد وليلة واحدة» (١٩٨٨)، و«وداعاً، يا طفولتي!» (١٩٨٩)، و«الطلقة الأخيرة» (١٩٩٠)، و«الشيطنة» (١٩٩٥). وغيرها. وتتميز مؤلفاته بأسلوبه الخاص. ويكتب مؤلفاته النثرية بأسلوب خيالي، أو الخيال العلمي، أو المغامرات. وترجم مؤلفات من الأدب العالمي ومنها من الأدب البلغاري.

**طاغي مراد (Toghay Murod)**

(١٩٤٨ - ٢٠٠٣) وُلِدَ في محافظة سرخان دريا، نُشِرَ له عدد من القصص الطويلة، مثل «الناس في ضوء القمر»، و«أغنية الأرض الأم» وغيرها، ورواية «الحقول المورثة عن أبي»، ترجم مسرحية «بنت الرجل الغني» لجيك لندن، وقصصاً أخرى له، وكتاب «الحصان البري» لسيتون طومبسون. وعمل رئيس قسم في مجلة «فن وتورموش» («العلم والحياة»).

**آيدُنْ حاجييفا (Oydin Hojiyeva)**

ولدت في بخارى، نُشِرَ لها أكثر من عشرين مجموعة شعرية، منها «الأغاني التي أحبها»، و«ندى الصباح» (باللغة الروسية)، و«زهرة الحلم»، وكذلك لها كتاب مقالات بعنوان «أبحث عن النبأيع»، وقصص وقصائد للأطفال، تعمل رئيسة هيئة التحرير في مجلة «كولخان» («الشعلة») الخاصة للأطفال.

**خورشيد دوست محمد (Khurshid Dost Muhammad)**

وُلِدَ عام ١٩٥١م في طشقند، نُشِرَ له عدد من القصص القصيرة والطويلة، منها «النظرة»، و«المأوى»، و«الاستجواب»، و«القتل الأوزبكي الصافي»... وكذلك نُشِرَت مجموعته القصصية «بيت في آخر الفناء». يعمل في الوقت الحاضر رئيس هيئة التحرير في صحيفة «الحرية»، ورئيس اللجنة في المجلس الأعلى (البرلمان) بجمهورية أوزبكستان.

### نارمراد نارقابلوف (Normurod Norqobulov)

وُلد عام ١٩٥٤م في محافظة يكاباغ بمنطقة قاشقداريا، خدم في الجيش بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٣، وتخرج في كلية الصحافة عام ١٩٨٢م، ويعمل في إدارة البرامج الأدبية والدرامية في تلفزيون أوزبكستان.

### خيرالدين سلطانوف (Khayruddin Sultonov)

وُلد عام ١٩٥٦م في طشقند، نُشرت له كتب «الشمس للجميع» (١٩٨٠)، و«حكاية المساء» (١٩٨٣م)، و«بلد أمي» (١٩٨٧م)، و«أما العمر فيمر» (١٩٨٨م)، و«أحلام بابر» (١٩٩٢م)، وكذلك ترجم مؤلفات الكتاب الروس: ي. ناغيين، وس. أليكسييف، وف. شوكتشين إلى اللغة الأوزبكية.

### نرجيزة غلاموفا (Nargiza Gulomova)

وُلدت في طشقند عام ١٩٦٥م، وتخرجت في كلية علوم الأحياء والأراضي بجامعة طشقند، نشرت لها قصص قصيرة في عدد من المجلات والجرائد الدولية، كما نشرت مجموعة قصصية لها بعنوان «اللقاء» عام ٢٠٠٨م في دار غفور غلام للنشر.

### أولوغبك حَمْدَم (Ulug'bek Hamdam)

وُلد عام ١٩٦٨م، درس في جامعة طشقند، حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٩٧م في الجامعة نفسها، نشرت له روايات ومجموعات قصصية، منها رواية «التوازن»، ورواية «الإنسان والإطاعة»، ومجموعة قصصية «الانفراد»، وكتاب المنظومات بعنوان «الوردة» وغيرها.

#### د. مرتضى سيد عمروف

- وُلِدَ في مدينة مرغيلان بجمهورية أوزبكستان عام ١٩٦٠م.
- درس في قسم اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية بجامعة طشقند الحكومية، وفي قسم اللغة العربية بمعهد بلدان آسيا وأفريقيا بجامعة موسكو الحكومية باسم لومونوسوف.
- عمل مدرسا للغة العربية في كلية اللغات الشرقية بجامعة طشقند.
- يعمل أستاذا مشاركا في كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٩٧م حتى الآن.
- له عدد من البحوث في مجال الترجمة والأدب العربي نُشرت في المجلات الجامعية والعلمية المختلفة.
- كذلك له عدد من الترجمات من الأدب الروسي والأوزبكي نشرت في مجلات «نوافذ» بجدة، و«الفصل الثقافية»، و«الفصل الأدبية».
- ترجم رواية «سقيفة الصفا» للكاتب السعودي حمزة محمد بوقري إلى الأوزبكية والروسية، نشرت في طشقند (٢٠٠٣) وموسكو (٢٠٠٤م).

#### أ.د. نعمة الله إبراهيموف

- ولد عام ١٩٤٥م في مدينة مرغيلان في وادي فرغانة بأوزبكستان.
- تخرج في قسم اللغة العربية بكلية اللغات الشرقية بجامعة طشقند الحكومية عام ١٩٧٠م.
- عمل مدرسا عام ١٩٧٠م، وأستاذا مساعدا عام ١٩٧٥م، وأستاذا مشاركا عام ١٩٧٩م، وأستاذا عام ١٩٨٥م، ورئيس قسم اللغة العربية عام ١٩٨٠م، وعميد كلية الدراسات واللغات الشرقية بجامعة طشقند الحكومية عام ١٩٨٩م.
- مدير جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية من ١٩٩١م إلى ٢٠٠٥م.
- رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية من ٢٠٠٥م وحتى الآن.
- عضو أكاديمية العلوم لجمهورية أوزبكستان (٢٠٠٠م)، فاز بجائزة الإمام البخاري العالمية (١٩٩٦م، ١٩٩٩م)، دكتور فخري بجامعة سين كيون كوان في سيئول (كوريا الجنوبية)، وعضو حقيقي للأكاديمية العالمية للعلوم والتعليم بولاية كاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٦م).
- انتُخب عام ١٩٩٧م رئيسا لجمعية الصداقة «أوزبكستان - مصر»، وفي عام ٢٠٠١م رئيسا لمجلس جمعيات الصداقة والعلاقات الثقافية والمعرفية لجمهورية أوزبكستان مع البلدان الأجنبية، ورئيس مجلس مديري جامعات جمهورية أوزبكستان. من عام ٢٠٠١م حتى عام ٢٠٠٥م.
- وفي عام ٢٠٠٣م انتُخب عضوا لمجمع اللغة العربية (مصر)، وقنصلا فخريا

لنطقة فوكوسيم (يابان) بأوزبكستان (٢٠٠١م)، وعضوا للمجلس الأعلى (برلمان جمهورية أوزبكستان).

● ترأس في برلمان أوزبكستان اللجنة الخاصة بإعادة وثائق الأرشيف الأوزبكية من الخارج.

● له عدة مؤلفات علمية، وهي:

١ - الفولكلور والتقاليد الأدبية في نشأة السير الشعبية العربية. نظرية فنون آداب الشرق، موسكو، ١٩٨٢م.

٢ - سيرة علي الزئبق، ترجمة إلى الروسية، موسكو، ١٩٨٣م، ط ٢ - ١٩٨٤م.

٣ - السيرة الشعبية العربية، موسكو، ١٩٨٤م، ٢٥٧ صفحة.

٤ - ابن بطوطة ورحلته إلى آسيا الوسطى. موسكو ١٩٨٨م، ١٢٨ صفحة.

٥ - «أحاديث الإمام البخاري» (ترجمة إلى اللغة الأوزبكية تحت إشراف نعمة الله إبراهيموف) في ٤ مجلدات، طشقند ١٩٩١ - ١٩٩٦م.

٦ - الأدب الشعبي العربي في العصور الوسطى، طشقند، ١٩٩٤م، ٢٤٣ صفحة (في اللغة الأوزبكية).

٧ - الأدب الملحمي الشعبي العربي في العصور الوسطى، طشقند، ١٩٩٤م، ٣٣١ ص (في اللغة الروسية).

٨ - قواعد اللغة العربية، الكتاب الأول، طشقند، ١٩٩٧م، ٤٥٣ صفحة، الكتاب الثاني طشقند، ٢٠٠٤م، ٦٣٥ صفحة (بالاشتراك، في اللغة الأوزبكية).

٩ - The Travels of Ibn Battuta to Central Asia. Ithaka Press. ١٩٩٩. P. ١٧٠.

١٠ - الآثار التاريخية الإسلامية في أوزبكستان، تأليف ورئاسة هيئة التحرير، طشقند، ٢٠٠٢م، ٢٦٣ صفحة (في اللغات الأوزبكية والإنجليزية والعربية).

## العناوين الأصلية للقصص القصيرة ومصادرها

- 1) **Жинлар базми. Абдулла Қодирий.** Ўзбек ҳикоялари антологияси (танланган ҳикоялар тўплами). Тошкент, «Шарқ» нашриёти, 1997 й., 16-20-бетлар.  
الزار، عبدالله قادري، مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، ۱۹۹۷م. ص. ۱۶-۲۰.
- 2) **Қор қўйнида лола. Чўпон (Абдулҳамид Сулаймон ўғли).** Ўша манбаъ, 21-29-бетлар.  
زنبقة في غضون الثلج، جوليان (عبد الحميد سليمان أوغلي). المرجع السابق. ص. ۲۱-۲۹.
- 3) **Менинг ўғригина болам. Ғафур Ғулом.** Ўша манбаъ, 31-35-бетлар.  
أيها الولد اللص، غفور غلام، المرجع السابق. ص. ۳۱-۳۵.
- 4) **Адабиёт муаллими. Абдулла Қаҳҳор.** Ўша манбаъ, 37-40-бетлар.  
معلم الآداب، عبد الله قهار، المرجع السابق. ص. ۳۷-۴۰.
- 5) **Каравот. Абдулла Қаҳҳор.** Асарлар. Беш жилдлик. Иккинчи жилд. Тошкент, Ғафур Ғулом номидаги Адабиёт ва санъат нашриёти. 1987 й., 299-303-бетлар.  
المهد، عبد الله قهار، المؤلفات في خمسة مجلدات، المجلد الثاني، طشقند، دار غفور غلام للطباعة والنشر، طشقند، العام ۱۹۸۷م، ص. ۲۹۹-۳۰۳.
- 6) **Келинлар қўзғолони. Саид Аҳмад.** Ўзбек ҳикоялари антологияси (танланган ҳикоялар тўплами). Тошкент, «Шарқ» нашриёти, 42-50-бетлар.  
عصيان الكنائن، سيد أحمد، مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، ۱۹۹۷م. ص. ۴۲-۵۰.
- 7) **Кўкёл. Носир Фозилов.** Ўша манбаъ, 95-100-бетлар.  
ذو الشعر الأزرق، ناصر فاضلوف، المرجع السابق. ص. ۹۵-۱۰۰.

- 8) **Нозик масала. Фарҳод Мусаџонов.** Ўша манбаъ, 102-105-бетлар.  
المسألة الحساسة، فرهاد موسى جانوف، المرجع السابق. ص. ۱۰۲-۱۰۵.
- 9) **Қиёмат қарз. Ўлмас Умарбеков.** Ўша манбаъ, 107-114-бетлар.  
أمانة القيامة، أولماس عمرييكوف، المرجع السابق. ص. ۱۰۷-۱۱۴.
- 10) **Оппоқ қор. Омон Мухтор.** Ўша манбаъ, 157-160-бетлар.  
الثلج الأبيض، آمان مختار، المرجع السابق. ص. ۱۵۷-۱۶۰.
- 11) **Ажиб дунё. Тоҳир Малик.** Ўша манбаъ, 189-207-бетлар.  
الدنيا العجيبة، طاهر مليك، المرجع السابق. ص. ۱۸۹-۲۰۷.
- 12) **Ош. Ўткир Ҳошимов.** Сайланма. Тошкент, «Шарқ» нашриёти, 1998 й., 620-630-бетлар.  
الوليمة، أوتكير هاشيموف، من كتاب «المختارات»، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، ۱۹۹۸م. ص. ۶۲۶-۶۳۰.
- 13) **Бобоси ва невараси. Тоғай Мурод.** Ўзбек ҳикоялари антологияси (танланган ҳикоялар тўплами). Тошкент, «Шарқ» нашриёти, 1997 й., 216-219-бетлар.  
الجد والحفيد، طاغي مراد، مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، ۱۹۹۷م. ص. ۲۱۶-۲۱۹.
- 14) **Саф. Ҳушид Дўст Муҳаммад.** Ўша манбаъ, 243-246-бетлар.  
الصف، خورشيد دوست محمد، المرجع السابق. ص. ۲۴۳-۲۴۶.
- 13) **Энг юксак чўққи. Ҳушид Дўстмуҳаммад.** Озод изтироб қувончлари китобидан. Тошкент, «Маънавият» нашриёти, 2000 йил, 49-51-бетлар.  
أعلى قمة، خورشيد دوست محمد، قصة من كتاب «سرور الاضطرابات الحرة»، طشقند، دار «المعنويات» للطباعة والنشر، عام ۲۰۰۰م، ص. ۴۹-۵۱.



- 14) Рамазон. Ойдин Ҳожиева.** «Паноҳим». Шеърлар ва ҳикоялар китобидан. Тошкент, «Шарқ» нашриёти, 1998 й., 226-228-бетлар.  
 رمضان، آیدن حاجیفا، من کتاب مجموعة شعرية وقصصية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، ۱۹۹۸ م. ص. ۲۲۶-۲۲۸.
- 17) Камалак. Нормурод Норқобулов.** Ўзбек ҳикоялари антологияси (танланган ҳикоялар тўплами). Тошкент, «Шарқ» нашриёти, 1997 й., 262-268-бетлар.  
 قوس المطر، نارمراد نورقوبلوف، مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، ۱۹۹۷ م. ص. ۲۶۲-۲۶۸.
- 18) Нукта. Хайриддин Султонов.** Ўзбек ҳикоялари антологияси (танланган ҳикоялар тўплами). Тошкент, «Шарқ» нашриёти, 1997 й., ۲۶۹-۲۸۳-бетлар.  
 النقطة، خير الدين سلطانوف، مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، ۱۹۹۷ م. ص. ۲۶۹-۲۸۳.
- Shaharlik kelinchak. Nargiza G'ulomova.** «Yosh yuraklar yolqini» kitobidan. G'afur G'ulom nomidagi nashriyot-matba'a ijodiy uyi. Toshkent. 2003 yil. 73-79 -betlar.  
 عروس من المدينة، نرجيزة غلاموفا، من كتاب «شعلة القلوب الشابة»، دار غفور غلام للطباعة والنشر، طشقند، العام ۲۰۰۳ م، ص. ۷۳-۷۹.
- Lola. Ulug'bek Hamdam.** «Yosh yuraklar yolqini» kitobidan. G'afur G'ulom nomidagi nashriyot-matba'a ijodiy uyi. Toshkent. 2003 yil. 6-9 -betlar.  
 الزنيقة، أولوغ بيك حمّدم، من كتاب «شعلة القلوب الشابة»، دار غفور غلام للطباعة والنشر، طشقند، العام ۲۰۰۳ م، ص. ۶-۹.

## إصدارات قادهة

عشيق الصين الشمالية

(رواية)

تأليف: مارغريت دوراس

ترجمة وتقييم: محمد عزيز الحصيني

مراجعة: د. ليلى عثمان فـ لـ

(ترجمت عن الفرنسية)

# ها صدر من هذه السلسلة

تأليف : جلال آل أحمد	نون والقلم	318
تأليف : تشاندرا سيخار كامبار	سيرى سامبيجي	319
تأليف : جورج أورويل	أيام بورمية	320
تأليف : ايتالو كالفينو	ست وصايا للألفية القادمة	321
تأليف : ت. س. إليوت	السكرتير الخصوصي	322
تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين	قصص برازيلية	323
تأليف : رولان بارت	شذرات من خطاب في العشق	324
تأليف : جيمز ماكبرايد	لون الماء	325
تأليف : أمريتا بريتام	وجهان لجواء	326
تأليف : اليخاندرو كاسونا	المنزل ذو الشرفات السبع	327
تأليف : مجموعة من القاصين الباكستانيين	من الأدب الباكستاني الحديث	328
تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك	مختارات من القصة التركية المعاصرة	329
تأليف : بهرام بيضائي	مسرحية محكمة العدل في بلخ	330
تأليف : بنانا يوشيموتو	مطبخ - خيالات ضوء القمر	331
تأليف : جوتتر جراس	الطباخون الأشرار	332
تأليف : هاينرش فون كلايست	الجرة المكسورة	333
تأليف : أندريه شديد	شمل تشابه ضائع	334
تأليف : فلاديمير هلباتش	حكايات الهنود الأمريكيين و أساطيرهم	335
تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين	زهرة الصيف	336
تأليف : ليوبولد سيدار سنغور	طام - طام زنجي	337
تأليف : نيكولو ماكيافلي	اليبروح	338
تأليف : جوهر مراد	منزل النور	339
تأليف : تشنوا أشببي	كثبان النمل في السافانا	340
تأليف : أرتور شنتسler	أناطول وجنون العظمة	341
تأليف : ايفان بونين	غرام ميتيا	342
تأليف : فيمي أوسوفيسان	أرنجندين والحارس الليلي	343
تأليف : تنغ - هسنغ يي	ورقة في الرياح القارسة	344
تأليف : إيريش كستتر	مدرسة الدكتاتور	345
تيد هيوز	رسائل عيد الميلاد	346
تأليف : سليمان جيفو ديوب	حكايات وخرافات أفريقية (1)	347
تأليف : فريدريش شيللر	الطفل الملك	348
تأليف : سليمان جيفو ديوب	مسرحية عذراء أورليان	349
	حكايات وخرافات أفريقية (2)	350

# ما صدر من هذه السلسلة

الأدغال والسهول العشبية تحكي القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين	349
تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية	
تأليف: وول سوينكا	350
2- تحول الأخ جيرو	
تأليف: أو. هنري	351
تأليف: ب. بريشت	352
تأليف: هنري برونل	353
يتبعها فن الهايكو	354
مسرحية «المقهى»	
تأليف: لاوشه	
تأليف: برايان فرييل	355
1- صناعة تاريخ	
2- ترجمات	
تأليف: ج. م. كويتيتزي	356
تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين	357
مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	
تأليف: إيجون وولف	358
مسرحيتا: 1- تلاميذ الخوف	
2- الغزاة	
تأليف: وليام سارويان	359
تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية	360
تأليف: سيلافومير مروچيك	361
تأليف: تحسين يوجل	362
الصورة (مسرحية)	
الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	
تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندجي ماليشكا	363
ستانيسلاف ليم (ستانيسواف) سوافومير مروچيك	
تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات	364
سبع نساء... سبع قصص	
تأليف: نويل كاورد	365
زمن الضحك	
(ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	
تأليف: رُوبين دايشيد	366
غونزاليس غالغو	
(رواية)	
تأليف: تيان هان	367
مسرحيتا: 1- سهرة في المقهى	
2- موت ممثل مشهور	
تأليف: مايكل هلمان	368
إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	

## ما صدر من هذه السلسلة

369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: ييجي شانيافسكي
370	ليلة التنبؤ (رواية)	تأليف: بول أوستر
371	هذا الجيل المحفوظ (مسرحية)	تأليف: نويل كاورد
372	لا وجود لخصوصيات صغيرة	تأليف: أمادو همباتي با
373	الليلة التي أمضاها شوروفي	تأليف: جيروم لورنس
	السجن (مسرحية)	وروبرت إي. لي
374	مختارات من الشعر الإيراني	تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: فروغ فرخزاد
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونیکا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونیکا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي

قسمة الاشتراك

البيان		إبداعات عالية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
		دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت		٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت		١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
لمؤسسات في دول الخليج العربي		٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي		١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
مؤسسات في الدول العربية الأخرى		-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
لأفراد في الدول العربية الأخرى		-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي		-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي		-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

جاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك [ ] تجديد اشتراك [ ]

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقدًا / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: ٢٠٠ / / م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد  
ولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.  
وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب  
ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147  
دولة الكويت

# أسماء وكلاء التوزيع

## الأردن:

وكالة التوزيع الأردنية  
عمان ص ب ٣٧٥ عمان - ١١١١٨  
ت - ٥٣٥٨٨٥٥ فاكس (٩٦٢٦) ٥٣٣٧٧٣٣

## البحرين:

مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف  
ص.ب ٢٢٤ / المنامة - البحرين  
ت ٢٩٤٠٠٠ - فاكس (٩٧٣) ٢٩٠٥٨٠

## عمان:

المتحدة لخدمة وسائل الإعلام  
مسقط ص.ب ٣٣٠٥ - روي الرمز البريدي ١١٢  
ت ٧٠٠٨٩٦ - ٧٨٨٣٤٤ فاكس ٧٠٦٥١٢

## قطر:

دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع  
الدوحة ص.ب ٣٤٨٨ - قطر  
ت ٤٦٦١٦٩٥ فاكس (٩٧٤) ٤٦٦١٨٦٥

## فلسطين:

وكالة الشرق الأوسط للتوزيع  
القدس/ شارع صلاح الدين ١٩  
ص.ب ١٩٠٩٨ ت ٢٣٤٣٩٥٤ فاكس ٢٣٤٣٩٥٥

## السودان:

مركز الدراسات السودانية  
الخرطوم ص.ب ١٤٤١ ت ٤٨٨٦٣١ (٢٤٩١١)  
فاكس ٣٦٢١٥٩ (٢٤٩١٣)

## نيويورك:

MEDIA MARKETING RESEARCHING  
2551 SI AVENUE LONG ISLAND CITY  
NY - 11101 TEL - 4725488  
FAX 1718 - 4725493

## لندن:

VERSAL PRESS MARKETING LIMITED  
POWER ROAD, LONDON W 4SPY  
TEL 020 8742 3344  
FAX: 2081421280

## الكويت:

شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع  
شويخ - المنطقة التجارية الحرة - شارع الموهنيك -  
مبنى رقم D14 الدور الأول  
ص.ب ٢٩١٢٦ - الرمز البريدي ١٣١٥٠  
ت ٠٠٩٦٥٢٤٦١٣٥٣٦ فاكس ٠٠٩٦٥٢٤٦١٣٥٣٦

## الإمارات:

شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع  
دبي، ت: ٩٧١٤٢٦٦٦١١٥ - فاكس: ٣٦٦٦١٣٦  
ص.ب ٦٠٤٩٩ دبي

## السعودية:

الشركة السعودية للتوزيع  
العامه - شارع الملك فهد (الستين سابقا) - ص.ب ١٣١٩٥  
جدة ٢١٤٩٣ ت ٦٥٣٠٩٠٩ - فاكس ٦٥٣٣١٩١

## سورية:

المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات  
سوريا - دمشق ص ب (٩٦٣١) ١٢٠٣٥  
ت ٢١٢٢٥٢٢ فاكس ٢١٢٧٧٩٧

## مصر:

دار الأخبار للتوزيع  
شارع الجلاء رقم ٦ - القاهرة  
ت - ٥٨٠٦٤٠٠ فاكس ٥٧٨٢٦٣٢

## المغرب:

كة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر والصحافة (سبريس)  
زنقة سجلماسة الدار البيضاء ٧٠  
ت ٢٢٢٤٩٢٠٠ فاكس (٢١٢) ٢٢٢٤٩٢١٤

## تونس:

الشركة التونسية للصحافة  
تونس - ص.ب ٤٤٢٢  
ت - ٣٢٢٤٩٩٠ فاكس - ٣٢٣٠٠٤ (٢١٦٧١)

## لبنان:

شركة الشرق الأوسط للتوزيع  
ص.ب ١١/٦٤٠٠ بيروت ١١٠٠١/٢٢٢٠  
ت - ٤٨٧٩٩٩ فاكس - (٩٦١١) ٤٨٨٨٨٢

## اليمن:

القائد للتوزيع والنشر - ص.ب ٣٠٨٤  
ت - ٧/٣٢٠١٩٠٩/٣ فاكس (٩٦٧) ٣/٣٢٠١٩٠٩

# سلسلة إبداعات عالمية

«إبداعات عالمية» سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكانت في السابق تصدر - شهريا - عن وزارة الإعلام تحت اسم سلسلة «من المسرح العالمي» حتى بعد انضمامها إلى المجلس الوطني عام ١٩٩٤، وكانت تعنى بنشر المسرحيات العالمية فقط. وقد صدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر ١٩٦٩، تحت عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم»، تأليف: مانويل جاليتش، وبعد تغيير مسمائها إلى سلسلة إبداعات عالمية عام ١٩٩٨، أصبحت تعنى بنشر الترجمات الإبداعية الراقية من لغات مختلفة، وتتطلق أهداف السلسلة (إبداعات عالمية) من فلسفتها في نشر الوعي الثقافي القائم على التراث الإنساني، من خلال نشر وتقديم ترجمات رصينة من الآداب العالمية، من روايات وقصص قصيرة ودواوين شعر ومسرحيات... وغيرها، من لغاتها الأصلية، بهدف تزويد المكتبة العربية بآثار هذه الثقافات المختلفة.

وترحب السلسلة باقتراحات النشر والترجمة المقدمة من المتخصصين، على أن تكون وفق الشروط التالية:

١- أن تكون المادة المقترحة ترجمتها مميزة في المستوى الفكري والأدبي الرفيع، ولم يسبق نشرها في أي مكان آخر.



٢- يجب ألا يزيد حجم المادة على ٣٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدواه.

٣- يجب تقديم النص الأدبي المقترح نشره، أو ترجمته مع الكتاب في لغته الأصلية، ويرسل مطبوعاً على الآلة الكاتبة مع وضع نسخة من النص المترجم في ديسك أو CD، مع تدوين أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة.

٤- السلسلة غير مسؤولة عن إعادة الكتب الأجنبية والنصوص الأصلية أو المترجمة التي لا يتم قبولها.

٥- المواد المقدمة للنشر أو الترجمة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري من قبل هيئة تحرير السلسلة، ويجري إرجاع النصوص إلى أصحابها لإجراء التعديلات أو الإضافات اللازمة عليها قبل نشرها، كما يجب ألا تحتوي النصوص على عبارات منافية للدين أو الأخلاق. وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع المترجم للنشر تصرف مكافأة للمترجم بمعدل ٢٠ فلساً عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي.

وفي جميع الحالات ينبغي إرسال سيرة ذاتية وافية (C.V) للمترجم، تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه الأدبي السابق، وعنوان المراسلة التقليدي والإلكتروني، واسمه الثلاثي باللغة الإنجليزية حسب جواز سفره، بالإضافة إلى كتابة اسم البنك الذي يتعامل معه ورقم حسابه الذي ستحول المكافأة عليه.

# الفهرس

5	..... المقدمة
7	..... من مظاهر تطور الفن القصصي في الأدب الأوزبكي
29	..... الزار
37	..... زنبقة في غضون الثلج
47	..... أيها الولد اللص
55	..... معلم الآداب
61	..... المهدي
67	..... عصيان الكنائس
81	..... ذو الشعر الأزرق
89	..... أمانة القيامة
101	..... المسألة الحساسة
107	..... الوليمة
113	..... الثلج الأبيض
119	..... الدنيا العجيبة
153	..... الجد والحفيد
159	..... رمضان
163	..... الصف
169	..... أعلى القمة
173	..... قوس المطر
185	..... النقطة
203	..... عروس من المدينة
217	..... الزنبقة



# منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

## مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية

فن القصة في الأدب الأوزبكي له تقاليد عريقة وغنية. وللأدب الأوزبكي جذور تاريخية مستمدة من الأدبين اليوناني والتركي. كما تعتبر قصص «قصي ريغوزي» لناصر الدين برهان الدين ريغوزي (في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ذات أثر كبير في تطور الأدب الأوزبكي. وقد أسست مجموعة «أدباء التجديد» في بداية القرن العشرين الميلادي بوصفها بداية لنهضة الأدب الأوزبكي: حيث نشر عبدالله قادري - مؤسس النشر الأوزبكي الحديث - قصتي «الزار» و«سباق الخيل». ونشر محمود خواجه بهبودي قصة «من قتل أباه». ونشر جولبان قصة بعنوان «الطبيب محمد ديار».

كان الاتجاه السائد في الأدب الأوزبكي يميل إلى وصف القضايا الحيوية المهمة بقصص واقعية في العشرينيات من القرن الماضي. كما في قصة «الفلاح تورغون» للكاتب الروائي إلبيك. وتندرج في الاتجاه نفسه السائد آنذاك قصص الكاتب جولبان وهي «الفتاة الخبازة»، «في الليالي المنيرة». «زنبقة في غصون الثلج». «القيامة». وفي قصة جولبان «بين الخرابات» نشاهد وصفا واقعيا لحياة الشعب الأوزبكي بما فيها من مشاهد مرعبة لقمع الجيش الأحمر للشعب الأوزبكي بعد أحداث قوقان. وقد كشفت وجها حقيقيا لنظام البلاشفة (النظام الشيوعي).

وكذلك فقد أضاف إبداع الأديب القاص محمود سوباي كنزا حقيقيا إلى الأدب الأوزبكي من خلال قصته «تورسونباي» التي تكشف وجه الخدامين للإمبراطورية الحمراء.

أما في سنوات الثلاثينيات فساهم الأدباء الأوزبك أمثال: عبدالله قهار، وغفور غلام، وآيدين، وشاكر سليمان بإبداعاتهم في تطور الفن القصصي الأوزبكي. واشتهر عبدالله قهار بقصته «إنسان بلا رأس». بالإضافة إلى قصص أخرى كـ «مستان»، «فتح عين الأعمى»، «المرأة التي لم تأكل زيبيا»، «المتنزه»، «ميرزا»، «الرمان»، «اللس»، «الفنان»، «معلم الآداب». حيث استقى خبرته الروائية من أدباء عالميين بارزين ومن الأدب الروسي بصفة خاصة. أما قصص غفور غلام فنجد فيها خصائص وتقاليد الفولكلور والأدب الأوزبكي الكلاسيكي. كما في قصصه «الشباب»، «صيد في ألاتيه»، «جورا بوزه»، «الحيلة الشرعية»، «أيها الولد اللص».

بدأت مرحلة التحديث في فن القصة الأوزبكية في الستينيات من حيث تحول نهجها وأسلوبها إلى اللغة العاطفية والعلاقات الإنسانية. على يد الكاتب الأديب سيد أحمد: إذ كتب قصص «مصباح الإقبال»، «دوتار»، «الأمواج»، «مياه الربيع» وأخيرا «عصيان الكنائس». بالإضافة إلى أدباء آخرين برزوا بعد ذلك.

أما في السبعينيات فقد نشر عدد من الكتاب مجموعاتهم القصصية الاجتماعية أمثال حميد غلام «نجوم الأرض»، وأوكتام عثمانوف «الليلة غير الهادئة»، وشكور خالمرزاييف «عندما ينتقل الحجر الثقيل» وزاهد أعلم «العيون الصغيرة». ففي هذه الفترة وصفوا تناقضات الحياة المتنوعة ووجهات النظر المختلفة.

كما يتميز الأدب الأوزبكي بالقصص التاريخية، فيمكن القول إن الكاتب مير كرم عاصم هو واضع حجر الأساس في «فن القصة التاريخية». فقد كتب قصصا قصيرة وطويلة في التاريخ مثل «شيراك» و«تيمورمليك».

وأخيرا فقد تطرق فن القصة الأوزبكية القصيرة إلى وصف حياة شعوب البلدان الخارجية في العالم. فتعد مجموعة «قصص عربية» لمير محسن خطوة ناجحة في هذا المجال.